عبد المجيد همو

اليهودية بعد عزرا
وكيف أُقرّت

مراجعة وتدقيق
إسماعيل الكردي

الأوائل
2003



اليهودية بعد عزرا

وكيف أُقرّت

الكتاب : اليهودية بعد عزرا وكيف أُقِرَّت؟
المؤلف : عبد المجيد همو
الإشراف الفني : يزن يعقوب
الإخراج : دار الأوائل - سائد الراشد
التدقيق العام : إسماعيل الكردي

الطبعة الأولى 2003 م

الناشر : الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية
سورية . دمشق .
الإدارة : ص . ب 3397 .
التوزيع : ص . ب 10181.
تلفاكس : 00963 11 2248255
جوال : 00963 93 411550
00963 93 418181
البريد الإلكتروني : alawael@scs-net.org
alawael@daralawael.com
موقع الدار على الإنترنت : www.daralawael.com

موافقة وزارة الإعلام : رقم 50040 تاريخ 2001/2/13

الفهرس

الإهداء

إلى وَرَثَةِ الأنبياءِ

إلى كُلِّ عالمٍ تحرَّرَ من رجسِ الصّهاينةِ

ودافعَ عن الحقِّ بقلمهِ ولسانهِ

أُقدِّمُ هذا الكتابَ متواضعاً

عبد المجيد همو



مُقدِّمة

لقد ساءني دعوات التّطبيع للفكر اليهودي الحديث، ورأيتُ فيه خطراً وأيّ خطر، ورأيتُ - أنا الذي لا أملك من الأسلحة إلا القلم - أنْ أناضل ضدّ التّطبيع وأفكاره، وما كان عليّ إلا نبش الماضي لأظهر زيف الصّهيونية في ركائزها الأولى، وبدأت ثلاث عشرة سنة وأنا أنبش في مغاور التّوراة، وفي مكامنها، فلم أحصل إلا على الفكر المتناقض، والدّعوات الهدامة للمجتمعات، والكراهية والحقد ضدّ الشّعوب والنّظرة المتعالية المتعصبة ضدّ بني البشر.

ثلاث عشرة سنة من عمري أعيش بين سطور العهد القديم، أبحث علّي أصل إلى شيء يدعى ديانة سماوية يهودية.

فما ألفيتُ إلا ركاماً، وحطام الدّنيا لا يثبت أمام نسمة ريح فكيف بعاصفة من الحقيقة؟

ولكني - وهالني ما رأيت - رأيتُ أنَّ النّاس مقتنعون بأفكارهم؛ يصرخون إنْ صرخ اليهود، ويبكون على بكائهم، ويفرحون لفرحهم، تُرى لماذا؟

هل عَمِيَ النّاس، وأعمتهم أبواق الصّهيونية؟ هل دَمَّروا أفكارهم، وغسلوا أدمغتهم، ووسوسوا في عقولهم كما وسوس الشّيطان في عقل آدم وحواء من قبل؟

هل استطاعوا تطبيع البشر كافة، ولم يبقَ منهم إلا القليل؟

تُرى لماذا نسمع بعض الصّرخات ضدّ الصّهيونية، ثم تخنق، ولا نعود نسمعها، ولا نراها؟

هل الإرهاب الصّهيوني هو الذي أسكتهم وأخافهم؟

لماذا نرى علماءنا المسلمين وعلى منابرهم يقرُّون أنَّ اليهودية دين سماوي دون أنْ يميزوا بين دعوة موسى ـ عليه السّلام ـ التي نادت بالإسلام وبين دعوة العزير (عزرا) والتي أقرَّت اليهودية كما هي؟

هذه النّقطة بالذات أحببتُ أنْ أناقشها في كتابي هذا، محاولاً ما أمكنني كشف الحقيقة، والله من وراء القصد.

عبد المجيد همو

الباب الأول

كيف أُقِرَّت اليهودية بعد عزرا

الفصل الأول:

تاريخ تدوين الأسفار.

الفصل الثّاني:

التّوراة والأخلاق.

الفصل الأول

تاريخ تدوين الأسفار

ناقشتُ في كتابي السّابق « ما بين موسى وعزرا ، كيف نشأت اليهودية » ، وأثبتُّ أنَّ العهد القديم لم يكن مُجَمَّعَاً قبل عزرا ، وإنّما جمعه من تقاليد أربعة :

1 ـ التّقليد الإيلوهي .

2 ـ التّقليد اليهوي .

3 ـ التّقليد الكهنوتي .

4 ـ التّقليد التّثنوي .

ومن ثم كتب عزرا ونحميا أسفار التّكوين والخروج والعدد والأحبار والتّثنية ويشوع ، وانقسمت اليهودية إلى فرقتين : السّامرية واليهودية ، وبدأت كل فرقة تسير حسب هواها ، وحسبما أملى لها كَهَنَتُهَا .

وسأناقش في هذا الفصل أقوال العلماء في جميع هذه المادة الضّخمة ؛ التي كَوَّنت ما يُسمّى بالعهد القديم .

1 ـ آراء حول جمع التّوراة ككل ؛ وسأسوق بعض الأمثلة عن أقوال علماء في جمع التّوراة هذه ، وخير ما نبدأ هذه النّقطة ما قاله رحمة الله بن خليل الهندي العثماني : (فأقول : لا سند لكون هذه التّوراة المنسوبة إلى ـ موسى عليه السّلام ـ من تصنيفاته ويدلُّ عليه أمور :

الأمر الأول: إنَّ تواتر هذه التّوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون ، والنّسخة التي وُجدت بعد ثماني عشرة سنة من جلوسه على سرير السّلطنة لا اعتماد عليها يقيناً ، ومع كونها غير معتمدة ضاعت هذه النّسخة أيضاً غالباً قبل حادثة بختنصر ، وفي حادثته انعدمت التّوراة

وسائر كتب العهد العتيق عن صفحة العالم، ولما كتب عزرا هذه الكتب - على زعمهم - ضاعت نسخها وأكثر نقولها في حادثة انتيوكس.

الأمر الثّاني: جمهور أهل الكتاب يقولون: إنَّ السِّفرَيْن الأول والثّاني من أخبار الأيام صنعهما عزرا بإعانة حجي وزكريا الرّسولَيْن... وظاهر أنَّ هؤلاء الأنبياء الثّلاثة كانوا متبعين للتّوراة، فلو كانت توراة موسى هذه التّوراة المشهورة لما خالفوها ووقعوا في الغلط... الأمر التّاسع؛ قال القسيس نورتن: إنَّه لم يكن رسم الكتابة في عهد موسى عليه السّلام)[1].

ويقول الأب اصطفان شربنتيه: (في السنة 398 ق. م عهد الملك ارتحششتا إلى عزرا بإعادة تنظيم المنطقة، كان رجلاً ذا حزم فأعاد إلى الإيمان طهارته، وأمر بفسخ الزّوجات المقرونة مع غير اليهود، وفرض شريعة إله السّماء كشريعة الدّولة، لا شك أنَّ هذه الشّريعة هي التّوراة الحالية التي حَرَّرَها عزرا انطلاقاً من مختلف التّقاليد.

وتُعَدُّ التّأدية المهيبة للعبادات الموصوفة في نحميا / 8 - 10/ من أهم ساعات تاريخ إسرائيل، فهي بمثابة ميلاد رسمي لليهودية، فالاجتماع لا يُعقد في الهيكل، بل في السّاحة، وليس عبارة عن ذبائح دموية، بل عبارة عن قراءة الشّريعة والصّلاة؛ هكذا نشأت العبادة الجمعية)[2].

ويتضح مما تقدم أنَّ التّوراة كُتبت بعد إبراهيم الخليل - عليه السّلام - بألف وثلاثمائة عام، وبعد عهد موسى بأكثر من ثمانية قرون، وهي بالطّبع غير التّوراة التي نزلت على موسى، ويؤكد لودز ذلك بقوله: إنَّنا لا نستطيع أنْ نؤيِّد صحة رجوع أي قسم من الأقسام الخمسة وحتى الوصايا العشر إلى عصر موسى.

إنَّ ما ورد من روايات في هذه الأسفار قد تعرَّض أكثر من بقية أسفار التّوراة إلى مراجعة وتكرار وإعادة تصنيف، وإلى تغيير وتوسيع مستمرَّين على مرّ العصور.

ويعترف العالم اليهودي سيلفر بأنَّ التّوراة الحالية لا تُمَثِّلُ توراة موسى الأصلية في أية ناحية، وحتى الوصايا العشر - التي يكاد العلماء يجمعون أنَّها الشّيء الوحيد المتبقي من التّوراة الأصلية - لم تكن في شكلها ومضمونها الحاليين كتلك التي أتى بها موسى.

---

(1) العثماني رحمة الله بن خليل، إظهار الحق، ج1، ص41 - 42.

(2) الأب شربانتيه اصطفان، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، ص75.

ويقول العالم الألماني مورتكارت: لا يمكن الاعتماد ـ من النّاحية العلميـة ـ علـى أساطير التّوراة، إذ برهنـت الأبحـاث الأثريـة علـى عـدم صحـة أكثر تلـك الأسـاطير التـي وردت في التّوراة، كما توجد أبحاث تبرهن عكس هذه الأساطير.

وقد أكد الباحث محمد عزة دروزة هذا الرّأي حينما قال:

(في الأسفار الأربعة عبارات تدلُّ على أنَّها لم تُكتب من قِبَلِ موسى، ولا بإملائه، ولا في حياته، وإنَّما كُتبت بعده، وقد تكون بعده بمدة طويلـة، بـل تكـون كُتبـت، أو أُعيـدت كتابتـها بعد سبي بني إسرائيل، وعودتهم من السّبي في القرن الخامس ق. م...

ففي كُلٍّ من أسفار العـدد، والأحبـار، والتّثنيـة، شـؤون وأحـداث ووصايـا وتشـريعات متنوعة مذكورة بصيغ مختلفة وزيادة ونقـص في سـفر الخـروج السّـابق عليـها في التّرتيب. وفي سفر التّثنية شـؤون وأحـداث ووصايـا وتشـريعات مذكـورة بصيـغ مختلفـة، وزيـادة ونقـص في أسفار الخروج والعدد والأحبار السّابقة عليـه. وفي كُـلٍّ من الأسـفار الأربعـة إشـارات إلـى مـا سوف يحلُّ ببني إسرائيل من مصائب وشدائد وإجلاء عن أرض كنعـان وعـودة إليـها في سـياق التّرغيب في اتباع وصايا الرّبّ ورسومه، والإنذار في حالة مخالفتها.

وقد احتوى سفر الأخبار كثيراً مما احتوته أسفار صموئيل والملوك الأربعة التي سبقتهما في التّرتيب بشيء من الزّيادة والنّقصان، بل وقد احتوى بعض ما احتوته أسفار التّكويـن والخـروج والعدد، جميع هذا لا يتضح إلا في حالة تَعَدُّد الكُتَّـاب واختـلاف الأوقـات، واسـتقاء الكُتَّـاب من مصادر مختلفة بينهما بعـض التّطـابق، وبعـض التّخـالف، كمـا أنَّ فيـه واقـع بنـي إسـرائيل وسيرتهم وطروئهم على أرض كنعان، وهو ما وقع بعد موسى)[1].

وقد قال بذلك التّسجيل في زمن ما بعد السّبي الكثير من الكُتَّاب والاتجاهات، ولم يُستثن من ذلك اتجاه أو كاتب.

إنَّ تسجيل بعض مقاطع من العهد القديم لم يُباشَر بها سوى بعد السّبي البابلي عـام **586** ق. م. ومما لا شـك فيـه أنَّ الخطـر الدّاهـم والدّائـم الـذي كـان يحيـط ببنـي إسـرائيل مـن

---

(1) دروزة محمد عزة، تاريخ موجبات الجنس العربي في بلاد الشّام، ص138.

إمبراطوريات الشّرق العربي الكبرى أقنع حاملي وناشري ذلك التّراث الدِّيني بمباشرة عملية الجمع والتّكوين بهدف الحفاظ عليه، ومن المفيد في هذا المجال التّذكير بأنْ أقدم المخطوطات التي تحوي نصوصاً من العهد القديم هي لفائف البحر الميت، والتي تعود للقرن الثّاني ق.م، وتحوي نصوصاً مجددة تتباين بشكل كبير عن رديفها في النّسخ الحالية.

كما أنَّ نسخة التّوراة الحالية والتي تعود بتاريخها إلى **1008** م، وتُسمَّى نسخة لينيغراد؛ حيث النّسخة الأصلية تتباين إلى درجة كبيرة عن النّسخة اليونانية الأقدم؛ أي السّبعونية، أما أقدم نسخة بلغة التّوراة فهي نسخة القاهرة التي تعود لسنة **998**م)[(1)].

نقف أمام هذا النّص لنبدي بعض الملاحظات:

1 ـ إذا كانت وثائق البحر الميت تعود للقرن الثّاني ق.م، وموسى في القرن الثّالث عشر أو الرّابع عشر، فهل تُعَدُّ هذه الوثائق صحيحة الكتابة؟!

2 ـ لماذا اختلفت الوثائق بعضها عن بعض؟ وهذا الخلاف ألا يُشكِّكُ فيها جميعاً؟!

3 ـ لم يتطرق حتى إلى توراة السّامرية، بل وأهملها، لماذا؟!

4 ـ السّبعونية في القرن الثّالث ق.م، كما يقولون، وبينها وبين قمران حوالي مئة سنة، فلماذا الخلاف إنْ كانا ينقلان من مصدر واحد؟!

5 ـ نسختا لينينغراد والقاهرة بعد مضي ألفي عام وزيادة عن موسى، وهما تختلفان عن بقية النّسخ، فما الأسباب؟! وأين الأصل؟!

إنَّ هذا كله يدفعنا إلى تبنِّي نظرية فلهاوزن والقائلة بأنَّ هناك مصادر عديدة لكتاب العهد القديم: **1** ـ اليهويه. **2** ـ الإيلوهية. **3** ـ الكهنوتية. **4** ـ التّثنوية.

ثم تختلف هذه المصادر من كاتب إلى آخر، فاليهوي فيه أربعة أقلام مختلفة كُلٌّ منه يكتب كما يهوى..

(**1**) منى زياد، جغرافية العهد القديم الجذور، ص**21**.

إنَّ هذا كله يدفعنا إلى القول إنَّ الدِّين اليهودي بُني على النّقاط التّالية :

1 ـ لا وجود لما يُسمَّى توراة موسى على الإطلاق ، والتّيار اليـهوي ـ إذا كـان مجمعاً من عـدة كُتّاب ـ لهو دلالة أكيدة على ضياع التّوراة بشكل نهائي ، وكُلٌّ منهم أراد كتابة ما يحلو له .

2 ـ إذا كانت توراة موسى مفقودة فمـا الدّلائـل التـي تدلنـا علـى أنَّ هـذا الدِّيـن لـه علاقـة بموسى من قريب أو من بعيد؟!

3 ـ ماذا نقول بالمصدر الإيلوهي والذي لا يعبد يَهْوَه ، وإنَّمـا يعبـد إيـل ، فـهل إلـه موسـى هو يَهْوَه أم إيل؟ وما سبب وجود هذين الإلهين؟

4 ـ إنَّ طغيان العنصر اليهوي على اليهودية لا يشير أبداً إلى قدمـه ، بـل إنَّنـي أقـول إنَّ التّيـار الإيلي هو الأقدم واليهوي هو المزروع في الدّيانة الجديدة والتي لا تمت بصلة إلى موسى وديانته .

5 ـ المصدر الكهنوتي : قدّره الكثير من الكُتّاب أنَّه عائد إلى زمن عزرا ونحميا ، ورغـم أنَّ التّوراة لم تعترف بنبوة عزرا ووجود أنبياء في زمنه كحزقيال وحجي وزكريا ، لكنْ؛ لـم تُنسب كتابة التّوراة إليهم ، وإنَّما نُسبت إلى عزرا ، لماذا؟

هذه النّقاط أحببتُ أنْ أقف عندها لأقول : لا أثر لهؤلاء الأنبيـاء ـ إنْ صحـت نبوءتـهم في التّوراة ـ ولا أراهم أنبياء ، أما إذا كانوا كذلك فقد حُرِّفت آراؤهم كما حُرِّفت التّوراة .

إذن؛ هذه الكتب لم تُسجَّل إلا بعد السّبي وفي أيام الدّولـة الإخمينيـة التـي تعـاونت معـهم ، فأسقطوا بـابل ، وأسـلموها إلـى كـورش ، ومـن ثـم سـمح لـهم ارتحششـتا بإقامـة محميـة لـهم في فلسطين .

هذا الذُّل الذي شعروا به جعلهم يُسجِّلون أهداف اليهودية المثالية ، فكان ما يلي :

1 ـ الدّيانة اليهودية تحريف للدّيانة الموسوية .

2 ـ اختصاص بيَهْوَه دون إيل وتغليب يَهْوَه على إيل .

3 ـ الشّعب المختار من يَهْوَه .

4 ـ الأرض الموعودة ليتركب الثّلاثي يَـهْوَه؛ شـعب؛ أرض ، وهـل هنـالك مـن إلـه في القديم دون مسكن؟ ومـن ثـم أُعطيـت القـدس لتكـون مسـكناً لإلهـهم ، فـألصقوا

الهيكل بسليمان، ووصفوه وصف مَنْ لا يعرف الإله الواحد، وكان الهيكل وثنياً بابلياً لا علاقة له بإيل لا من قريب ولا من بعيد.

5 - ضيَّقوا الحلقة على أنفسهم، لأنَّهم رأوا أنفسهم قلّة، وخافوا من الذّوبان في بوتقة المجتمعات، فدعوا إلى التّمييز العنصري والانغلاق.

هذه المبادئ الخمسة التي طالب بها عزرا في كتابته للتّوراة الحالية، وما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أنَّ موسى ذاته كتب هذه التّوراة منذ قصة الخليقة، أو أنَّه أشرف على وضع النّص الذي كتبه عديدون من بعده، بل يجب القول إنَّ ازدياداً تدريجياً حدث سَبَّبَتْهُ مناسبات العصور الاجتماعية والدِّينية، ويرى أصحاب موسوعة تاريخ العالم أنَّ هذا الكتاب يضم أجزاءً أُلفت ما بين 1150ق. م، وبين 130 ق. م، وأجزاء أخرى كالأسفار الخمسة الأولى، فقد أخذت صورتها النّهائية حوالي عام 400ق. م، وتحوي كتابات يرجع تاريخها الشّفوي إلى ستة قرون سابقة على هذا التّاريخ، بينما الأسفار التّاريخية فقد كُتبت حوالي سنة 550 ق. م، مع تصنيفات أخرى للكتاب قدمت لها الموسوعة اقتراحات بتواريخ مختلفة ومتباعدة تباعداً كبيراً[1].

6 - والمهم من هذا كله أنَّه لا يوجد باحث علمي ذو شأن يقول إنَّ التّوراة هي أسفار موسى، وإنَّه كتبها، وهناك إجماع على أنَّها كُتبت بعد موسى بقرون طويلة، وأنَّها نتيجة تصانيف مختلفة لمؤلفين مختلفين مزاجاً ومشرباً، وتُدلِّلُ مدرسة فلهاوزن على ذلك بأدلة أهمها وأخطرها أنَّ اسم الإله يختلف في هذه الأسفار ما بين سفر وآخر، إضافة إلى تكرار القصص فيها مما يشير إلى عدد من الكُتَّاب لم يلتقوا لتصفية الأمر بينهم، مع فروق واضحة و جوهرية وعميقة في اللغة والأسلوب بين هذه الأسفار.

7 - ولهذا؛ خرجت متضاربة متناقضة في أخبارها وأحكامها، وهذه التّناقضات لا يمكن التّوفيق بينها مهما بذل المرء من تكلُّف.

8 - لأنَّها تدل على أنَّ كتابتها تمت بأيدي أشخاص مختلفين في أزمنة مختلفة، ثم جُمعت بعد ذلك.

---

(1) وليم لانجري وآخرون، موسوعة تاريخ العالم، ص66.

ويقول الدكتور محمد الشّرقاوي بعد أنْ ناقش رسالة سبينوزا :

(والمعرفة التّاريخية للظّروف الخاصة بكل أسفار الكتاب لا تتوفر لدينا في معظم الأحيان، والواقع أنّنا نجهل الأشخاص الذين كتبوها، أو نشك فيهم، ومن ناحية أخرى لا ندري في أية مناسبة وفي أي زمان كتبت هذه «الأسفار التي نجهل مُؤلِّفيها الحقيقيين ولا نعلم في أيدي مَنْ وقعت، وممَّنْ جاءت» المخطوطات الأصلية التي وُجد لها عدد من النّسخ المتباينة، ولا نعلم أخيراً إنْ كانت هناك صياغات أو قراءات كثيرة في مخطط تُعَدُّ مصدراً آخر)[1].

بعد هذه المقدمة سنتناول كل سفر من أسفار العهد القديم على حدة، إذا استطعتُ الوصول إلى مُؤلِّفيه ومعرفة في أي عام تمَّ تدوينه.

ـ هنالك اختلاف في نسبة أسفار التّوراة إلى غير مُؤلِّفيها، وإليك بعض الأمثلة: يقول الباحث ج سميث عن سفر الخروج :

إنَّ سفر الخروج الذي نقرؤه بين أسفار الكتاب المقدس لم يُكتب إلا بعد فترة طويلة من الأحداث الواردة فيه، وربما كانت هذه الأحداث محفوظة جيلاً بعد جيل، إذ كان بعضها ـ كما لا يزال الحال حتى الآن ـ ضمن التّلاوة الدِّينية التي يرتلها رجال الدِّين في المناسبات وبخاصة عيد الفصح.

ويقول رحمة الله : فإذا تركنا أسفار موسى إلى ما سواها من الأسفار وجدنا النّتيجة نفسها، فإنَّ هذه الأسفار نُسبت إلى غير مُؤلِّفيها الحقيقيين، ويبدو أنَّ المؤلفين كانوا متأخرين عما نُسبت لهم هذه الأسفار، وقد قرَّرَ الكُتَّاب الغربيون هذه الحقيقة، فبعضهم يرى أنَّ سفر يوشع كَتَبَهُ إرْمِيَا، وبين يوشع وإرْمِيَا أكثر من ثمانية قرون تقريباً، ويرى آخرون أنَّه تصنيف صموئيل، ويرى فريق ثالث أنَّه تصنيف فنحاص، وسفر القضاة ينسبه بعض الكُتَّاب الغربيين إلى حزقيال، وينسبه آخرون إلى عزرا، وينسبه آخرون إلى فنحاص، وبين عزرا وفنحاص أكثر من تسعة قرون.

---

(1) محمد عبد الله الشّرقاوي، مقارنات في الأديان، ص 68.

وسفر دانيال لا يمكن أنْ يكون قد كتب في ذلك الزّمن البعيد الذي عاش فيه دانيال؛ أي عندما سقطت بابل في يد الملك كورش 538 ق . م .

بل لابُدَّ أنْ يكون هذا السِّفر قد كُتب بعد ذلك بثلاث قرون أو أربعة للأسباب التّالية :

1 ـ يتضمن هذا السِّفر كلمات مقدونية ، مع أنَّ اليهود في زمن الأسر البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونانيين ولا حكت أسماعهم اللغة اليونانية .

2 ـ فيه وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق عصر الإسكندر .

3 ـ اقتبس طرفاً من أقوال إرْمِيَا وحزقيال وزكريا مع أنَّ هؤلاء الأنبياء لم يكونوا قد وُجدوا إبان الأسر البابلي[1] .

ولنبدأ بالسّير مع أسفار العهد القديم فنرى متى تمَّ تدوين كل سفر من الأسفار ، وقد ناقشنا هذا سابقاً في تسجيل عزرا ، وماذا سجل ، ورأينا أنَّ التّوراة الحالية تُنسب إلى عزرا ، وناقشنا ذلك في وقتها ، أما الآن فإنَّنا سنمرُّ فيما بعد الأسفار الخمسة ، وقد انتهينا من مناقشتها سابقاً .

1 ـ سفر يشوع:

ويشوع له من الأهمية ما للأسفار الخمسة ، فهو باني أمجادهم في الفتوحات حسب آرائهم ، وهو صاحب المجازر الدّموية الكبرى ، وقد بَيّنّا خطر تسجيل هذه الفتوحات في كتابنا التّوراة؛ تحريف وتزوير التّاريخ ، والآن سنناقش متى تمَّ تسجيل هذا السِّفر .

لم يتفق علماء اليهود والنّصرانية على الوقت الذي كُتب فيه هذا السِّفر ، ولا مَنْ سَجَّله ، وقد أورد رحمة الله ـ في كتابه إظهار الحق ـ الخلاف حول تسجيل هذا السِّفر : (فاسمع حال كتاب يشوع الذي هو في المنزلة الثّانية من التّوراة ، فأقول لم يظهر لهم إلى الآن بالجزم اسم مصنفه ولا زمان تصنيفه ، وافترقوا إلى خمسة أقوال :

1 ـ قال جرهارد ، ودي بوتي ، وهيون ، وباترك ، وتاملاين ، ودكتور كري إنَّه تصنيف يشوع .

2 ـ وقال دكتور لايت فت : إنَّه تصنيف فنحاص .

3 ـ وقال كالون : إنَّه تصنيف إليعازر .

---

(1) العثماني رحمة الله بن خليل الهندي ، إظهار الحق ، ج1 ، ص227 .

4 ـ وقال دانتل: إنَّه تصنيف صموئيل.

5 ـ وقال هنري: إنَّه تصنيف إرْمِيَا.

فانظر إلى اختلافهم الفاحش، وبين يشوع وإرْمِيَا مدة ثمانمائة وخمسين سنة تخميناً، ووقوع هذا الاختلاف الفاحش دليل كامل على عدم سند هذا الكتاب عندهم، وعلى أنَّ كل قائل منهم يقول: بمجرد الظّن رجماً بالغيب، بلحاظ بعض القرائن الذي ظهر له أنَّ مصنفه فلان، وهذا الظّن هو سند عندهم)[1].

أما سبينوزا فله رأي آخر في هذا السِّفر (سفر يشوع)، فقد بدأ اسبينوزا بسفر يشوع لأنَّه أهم أسفار العهد القديم بعد الأسفار الخمسة، قال: وسنبرهن لأسباب مماثلة أنَّ سفر يشوع ليس من وضع يشوع، وتتلخص هذه الأسباب في أنَّ شخصاً يشهد ليشوع في السِّفر المنسوب إليه بأنَّ شهرته قد طبقت الآفاق، فقد ورد في السِّفر المذكور، وكان الرّبّ مع يشوع، وذاع خبره في كل الأرض، كما شهد له بأنَّه لم يغفل شيئاً مما أوصى به موسى، (لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يناد بها يشوع بحضرة جماعة إسرائيل، وبأنَّه عندما تقدم به السّن دعا الجميع كل المجمع، ثم قضى نحبه).

وجمع يشوع أسباط إسرائيل، وقال يشوع لجميع هذا الشّعب، فقال له الشّعب ليشوع، وكتب يشوع لجميع هذا الشّعب، فقال الشّعب ليشوع، وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الرّبّ، و كان بعد هذا الكلام أنْ مات يشوع ابن نون، عَبَدَ الرّبّ ابن مائة وعشر سنين، فدفنوه في تخم ملكه.

وعلاوة على ذلك فإنَّ الرّواية تمتدُّ إلى الوقائع التي حدثت بعد موته فيذكر مؤلف سفر يشوع مؤكداً أنَّ الإسرائيليين كانوا يُعظِّمونه بعد موته، ما عاش المسنون الذين عرفوا يشوع.

ويذكر السِّفر أنَّ إفرائيم ومنسَّى لم يطرد الكنعانيين المقيمين بجازر، فأقام الكنعانيون بين إفرائيم إلى هذا اليوم، وكانوا عبيداً يؤدون الجزية، فلم يطردوا الكنعانيين، فسكن الكنعانيون في وسط إفرايم إلى هذا اليوم. والغريب المدهش أنَّ هذه القصة المروية في سفر يشوع قد رُويت نفسها في سفر القضاة بنصها.

---

(1) العثماني رحمة الله بن خليل الهندي، إظهار الحق، ج1، ص45.

ويقول سبينوزا: (وتدلُّ هذه الطّريقة في الحديث إلى يومنا هـذا علـى أنَّ مَنْ يكتـب ذلـك يتحدث عن شيء قديم للغاية)[1].

ويتحدث رحمة الله عن أخطاء وقعت في سفر يشوع مما يدلّ دلالة قاطعة علـى أنَّ الكتـاب ليس من عمل يشوع على الإطلاق.

(ولو لاحظنا الآيـة الثّانيـة والسّتين مـن البـاب الخامس عشـر مـن هـذا الكتـاب مـع الآيـة السّادسة والسّابعة والثّامنة من الباب الخـامس من سـفر صموئيـل الثّـاني يظـهر أنَّ هـذا الكتـاب كُتـب قبـل السّـنة السّـابعة مـن جلـوس داود عليـه السّـلام، ولذلـك قـال جـامعو تفسـير هـنري واسكات ذيل شرح الآية الثّالثة والسّتين المذكورة: يُعلَم من هذه الآية أنَّ كتاب يوشع كُتب قبل السّنة السّابعة من جلوس داود عليه السّلام، وتدلُّ الآية الثّالثة عشرة من الباب العاشر من هـذا الكتاب: أنَّ مصنفه ينقل بعض الحالات عن كتاب اختلفت التّراجم في بيان اسمه، ففـي بعـض التّراجم كتاب اليسير وفي بعضها كتاب ياصار، وفي بعضـها كتـاب ياشـر، وفي التّـراجم العربيـة المطبوعة 1844، سفر الأبرار، وفي التّرجمة العربية المطبوعة 1811، سفر المستقيم، ولم يُعلَـم حال هذا الكتاب المنقول عنه، ولا حال مصنفه، ولا حال زمـان المصنـف، غـير أنَّـه يُفـهم مـن الآية الثّامنة عشرة من الباب الأول من سفر صموئيل الثّاني أنَّ مُؤلِّفه كـان معـاصراً لـداود عليـه السّلام أو بعده. فعلى هذا الغالب أنْ يكون مُؤلِّف كتاب يوشع بعد داود عليه السّلام.

ولما كان الاعتبار للأكثر، وهـم يدعـون بـلا دليـل أنَّـه تصنيـف يشـوع فـاطو الكشـح عـن جانب غيرهم، وأتوجه إليهم وأقول: هذا باطل لأمور)[2].

2 ـ سفر القضاة:

وهو الكتاب الثّالث بعد كتب موسى ويشوع، وفيه تصوير لاضطراب بنـي إسـرائيل بعـد موسى ويشوع، ويقولون إنَّ مدة القضاة طال 415 سنة، ولا أرى هذه الفـترة الطّويلـة، ولكـن كَتَبَةَ التّوراة كعادتهم يبالغون في الأرقام، ولهذا؛ أعطوه فترة واسعة.

---

(1) د. الشّرقاوي محمد عبد الله، مقارنات في الأديان، ص84، واسبينوزا، الرّسالة، ص65.

(2) العثماني رحمة الله بن خليل الهندي، إظهار الحق، ج1، ص47.

وهذا السِّفر لا يخلو من التّناقضات التي وُجدت في أسفار العهد القديم كلها، فقد احتلَّ بنو يهوذا ـ حسب ادعاء السِّفر ـ أورشليم، وحارب مع يهوذا سبط شمعون، ثم في سفر صموئيل نرى أنَّ داود يحتلُّ أورشليم من جديد.

ويتصدر السِّفر متابعة المجازر والتّحريم كما فعل سفر يشوع، غير أنّنا فجأة نرى أنَّ بني إسرائيل قد ذُلُّوا واجتاحهم الملوك الآخرون من الأمم.

1 ـ استعبدهم عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة، وخلصهم هود بن جبرا، واستراحت الأرض ثمانين سنة.

2 ـ استعبدهم يابين ملك حاصور الكنعاني عشرين سنة، وخلَّصتهم النّبية دبورة (النّحلة) واستراحت الأرض أربعين سنة.

3 ـ استعبدهم بنو مدين، ولجأ بنو إسرائيل إلى الكهوف، وخلّصهم يربعل بن يوأش الإبيعزري، واستراحت الأرض أربعين سنة.

4 ـ استعبدهم بنو عمّون، وخلّصهم يفتاح ابن الزّانية من جلعاد، واستراحت الأرض مدة ثلاثين سنة.

5 ـ استعبدهم الفلسطينيون، وخلّصهم شمشون بن منوح، وقد قضى لإسرائيل مدة عشرين سنة، وهو في حياة قضاها عهراً وزناً.

6 ـ وحدثت حروب بين بني إسرائيل بين بنيامين، وبني إسرائيل، وانتهى سبط بنيامين حسب قول التّوراة، وندم الشّعب من أجل بنيامين لأنَّ الرّبّ جعل شقاً في أسباط إسرائيل، والأغرب من ذلك أنَّ هذا السِّفر يصور أنَّ القتل أصاب النّساء، ولم يصب الرّجال، ولهذا؛ لم يعرفوا كيف يزوجون شباب بنيامين، وكأنَّ الحرب قامت بها النّسوة، فقُتلنَ، وحُرمنَ في المعارك.

(وكتاب القضاة الذي هو في المنزلة الثّالثة فيه اختلاف عظيم لم يُعلم مصنفه ولا زمان تصنيفه):

1 ـ قال بعضهم: إنَّه تصنيف فنحاص.

2 ـ وقال بعضهم: إنَّه تصنيف حزقيا.

وعلى هذين القولين لا يكون هذا الكتاب إلهامياً.

3 ـ وقال بعضهم: إنَّه تصنيف إرْمِيَا.

4 ـ وقال بعضهم: إنَّه تصنيف حزقيال.

5 ـ وقال آخرون: إنَّه تصنيف عزرا.

وبين عزرا وفنحاص زمان أزيد من تسعمائة سنة، ولو كان عندهم سند لما وقع هذا الاختلاف الفاحش، وهذه الأقوال كلها غير صحيحة عند اليهود، وهم ينسبونه رجماً بالغيب إلى صموئيل، فحصلت فيه ستة أقوال، وبهذا نخرج إلى أنَّ السِّفر لم يُسجَّل مباشرة، ولا عُرف متى تمَّ تسجيله، ولا مَنْ سجَّله، ويقول سبينوزا بهذا الصّدد: (إنَّ سفر القضاة ليس أفضل سنداً من سابقه، فهو لا يظن أنَّ شخصاً سليم العقل يعتقد أنَّ القضاة أنفسهم كتبوه، لأنَّ نهاية الرّواية تكشف بوضوح أنَّ مؤرخاً واحداً هو الذي كَتَبَهُ كله من أوله إلى آخره؛ إذ جاء فيه: (وفي تلك الأيام لم يكن لبني إسرائيل ملك، وكان كل إنسان منهم يعمل ما حَسُنَ في عينيه، ومن جهة أخرى كان مُؤلِّفه يكرر دائماً أنَّه لم يكن في عصره أي ملك لإسرائيل، فلا شك أنَّه لم يُكتب إلا بعد أنْ كان لبني إسرائيل ملوك)[1].

3 ـ سفر راعوث:

سفر يتحدث عن الولادة غير الشّرعية لجد من أجداد داود وهو بوعز، فقد قصَّت التّوراة حكايات عن نسب داود غير الشّرعي، ففارص هو ابن زنى نتيجة زنى يهوذا بثامار، وبوعز تزوج من راعوث المؤابية والتي لا يدخل نسلها ملكوت السّماء حتى الجيل العاشر، وبوعز ولد عوبيد، وعوبيد ولد يسي، ويسي ولد داود.

كما يتَّهم هذا السِّفر راعوث بأنَّها نامت عند بوعز قبل أنْ تتزوج به ويتزوج بها، وبهذا؛ تكون قد زنت به قبل أنْ يتم زواجهما.

وهذا السِّفر ردٌّ على ما كَتَبَهُ عزرا من عدم زواج اليهود إلا من يهودية، وقد قال في هذا الأب شربانتيه:

---

(1) اسبينوزا، الرّسالة، ص276.

(مؤلفات حكمية على عهد الفارس راعوث...

أراد عزرا أنْ يعيد صفاء الإيمان، ففرض على اليهود المتزوجين من نساء غريبات أنْ يطلقوهن، فوجد الله أنْ عزرا يبالغ، فألهم هذه الرّواية الطّريفة، تزوج بوعز وهو يهودي تقي من بيت لحم من راعوث وهي امرأة مؤابية، فولد لهم ابن هو عوبيد أبو يسي جد داود.

عبرة في الشّمولية وتذكير ظريف من قبل الله لنا جميعاً نحن الذين يظنون أنَّهم يحبون لأنَّهم حفظوا وصاياه)[1].

وحسب ما قال شربانتيه فإنَّ هذا النّص سُجِّلَ في القرن الرّابع ق.م، وبعد تسجيل عزرا توراته في القرن الخامس ق.م.

ولا نعلم بالضّبط متى سُجِّلَ هذا السِّفر؟ ومَنْ سَجَّله؟ وكيف؟

فالسّامريون لا يسلمون إلا في الكتب الخمسة ويوشع، ويقول بعض العلماء إنَّهم يسلمون بالقضاة، ولا أراه.

وراعوث من الكتب المُسلَّم بها عند جمهور العلماء النّصارى، سواء كانوا بروتستانت أو غيرهم، كما هو مُسلَّم به عند اليهود، ولا خلاف فيه عند الجميع، ويرى رحمة الله أنَّ كتاب راعوث الذي هو في المنزلة الرّابعة ففيه اختلاف أيضاً، قال بعضهم إنَّه تصنيف حزقيا، وعلى هذا لا يكون إلهامياً، وقال بعضهم إنَّه تصنيف عزرا، وقال اليهود وجمهور المسيحيين إنَّه صموئيل، وفي الصّفحة / **205**/ من المجلد السّابع من كاثوليك هرولد المطبوع سنة **1844**، كُتب في مقدمة البيبل الذي طُبع **1819** في اشناربور: (أنَّ كتاب راعوث قصة بيت وكتاب يونس حكاية) يعني قصة غير معتبرة وحكاية غير صحيحة)[2].

4 ـ سفر صموئيل:

ويشتمل هذا السِّفر على سفرين: صموئيل الأول وصموئيل الثّاني، في الأول يتحدث عن ولادة صموئيل ونسبه، فهو إفرايمي ليس من نسل الكهنة اللاويين، ولا من يهوذا نسل الملوك فيما بعد، ولا هو من نسل بنيامين المنقرض، وإفرايم بن يوسف حسب التّعبير التّوراتي.

---

(1) الأب شربانتيه اصطفان، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، ص91.

(2) العثماني الهندي رحمة الله بن خليل الهندي، إظهار الحق، ج1، ص50.

ولادته أشبه بولادة إسحق من أم عقيم استجاب يَهْوَه لندائها من أجل الأولاد، وكانت ضرة لامرأة ولود، ويتهم ليوتاكسل بأنَّ ابنَيْ عالي هما اللذان زرعا هذا النّسل في رحم امرأة إلقانة بن يروحام.

وقد حاول كَتَبَةُ التّوراة أنْ ينفوا هذه الشّبهة لأنَّ ضرتها كانت ولوداً نذرته أمه ليَهْوَه كما تقول التّوراة، ونذرته لله (إيل كما يقول النّص الإيلي) ومن ثم حكم بعد ذلك إسرائيل، وفي أثناء حكمه كرهه إسرائيل، وتمنوا أنْ يكون لهم ملك، وكان شاول، والخلاف بين صموئيل وشاول جعله يرشح داود ابن يسي ملكاً لإسرائيل.

وشاول لم يكن له سبط قوي يحميه، فبنيامين قد ضَعَّفته قصة التّوراة حروب بينه وبين إسرائيل، بل قل إنَّ هذا السّبط قد انتهى حسب حكم التّوراة ليقوم من بعده سبط يهوذا.

لم يشر القرآن الكريم إلى هذه الأسباط، ولا إلى الانتماءات لهما، كما لم يشر إلى الخلاف بين طالوت وداود، وكيف ورث داود الملك، وكيف صار ملكاً.

ويحتلُّ سفر صموئيل مكانة بارزة في العهد القديم، فهو آخر القضاة وعلى يديه قامت الملكية، وصار أول الملوك طالوت (شاول)، وظل الانقسام بين الدِّين والدّولة، فقد تسلم شاول الملك وبقي المنصب الدِّيني لصموئيل، ومَنْ يقرأ سفر صموئيل يشعر أنَّ رجال الدِّين أقوى قبضة في ذلك الوقت من رجال الدّولة، ونرى في هذا السِّفر أنَّ شاول يحاول مراضاة صموئيل ما أمكنه ذلك، لكنه لم يفلح.

والذي نراه في صموئيل أنَّ دور صموئيل قد اختفى نهائياً، وصار داود وتاريخ داود هو الأساس لسفر صموئيل الثّاني، مما دعا بعض علماء النّصارى إلى وضع اسم أسفار الملوك على صموئيل الأول الثّاني.

هذا السِّفر ليس بأحسن حالاً من بقية الأسفار فقد قال سبينوزا في هذا: (وأسفار صموئيل كذلك قد كُتبت بعد صموئيل بعدة قرون، لأنَّ القصة تستمرُّ بعد موته بوقت طويل)[1].

---

(1) سبينوزا، الرّسالة، ص276.

(وأسفار صموئيل كذلك قد كُتبت بعد صموئيل بعدة قرون لأنَّ القصة تستمر بعد موته بوقت طويل)[1].

5 ـ سفر الملوك الأول والثّاني:

وقد مرَّ معنا في كتاب «ما بين موسى وعزرا، كيف نشأت اليهودية»[2] أنَّ عزرا هو كاتب هذه الأسفار، وأنَّه قد وقع في أغلاط، وخاصة في النّسب، لأنَّ السّلاسل ناقصة، وسفر الملوك هما سفران الأول والثّاني.

6 ـ سفر أخبار الأيام:

وهما سفران خاصان بملوك يهوذا خلافاً لما في سِفري أخبار الملوك اللذين كانا لملوك يهوذا وإسرائيل. (فائدة جليلة لابُدَّ من التّنبيه عليها:

اعلم، أرشدك الله ـ تعالى ـ أنَّ جمهور أهل الكتاب يقولون إنَّ السِّفر الأول والثّاني من أخبار الأيام صنفهما عزرا بإعانة حجي وزكريا الرّسولين... ولو لم يُدَوِّن عزرا هذه الكتب مرة أخرى لم توجد في زمانه فضلاً عن الزّمان الآخر، وهذا الأمر مُسلَّم عند أهل الكتاب أيضاً)[3]. والذي أراه أنَّ هذين السِّفرين لم يُسجَّلا إلا بعد انقسام السّامرية على اليهودية، فحذف كاتب السِّفرين تاريخ مملكة السّامرة نهائياً بعد أنْ أوردها في أخبار الملوك.

7 ـ سفر عزرا ونحميا:

لم يكتب عزرا سفره، ولم يكتبه نحميا أيضاً، وإنَّما كُتب السِّفران بعد زمن طويل من موتهما، فقد وُجد عزرا ونحميا في أيام الملك ارتحشستا، وقد توفي عزرا سنة **395** ق.م، أما تسجيل سفريهما فقد ورد في أوائل العصر اليوناني؛ لا يُعرف كاتبها، ويُسمّى كاتب الأخبار، كان مشروعه ينمُّ عن طموح، فقد أراد أنْ يؤلف تاريخاً من آدم إلى عزرا، يذكر ذلك العلامة مراجعه، وهي عبارة عن عشرين كتاباً بعضها معروف بصموئيل والملوك،

---

(1) الشّرقاوي محمد عبد الله، مقارنة الأديان، ص 85.

(2) ما بين موسى وعزرا، كيف نشأت اليهودية، عبد المجيد همو، دار الأوائل، دمشق، ط1، 2003.

(3) العثماني الهندي، إظهار الحق، ج1، ص170.

والبعض الآخر مجهول، وضع كتابه في مجلدين وجزأهما إلى أربعة؛ أخبار الأيام الأول والثّاني، عزرا ونحميا.

ومن الأمور المتعة أنْ نقارن بين بعض مقاطع سفري الأخبار وما يقابلها في أسفار صموئيل والملوك، ولو قمنا بمثل هذا العمل لوجدنا كيف يُكتب المدراش. وإليكم بعض الأمور المميزة:

1 - يعرض لنا كاتب الأخبار نظرة في اللاهوت، وهو يضفي الكمال المثالي على حقبة من التّاريخ الماضي، تاريخ داود وسليمان، وينتقل سريعاً من آدم إلى داود، ويتوقف طويلاً عند داود وترف سليمان وعبادته للأوثان.

2 - يهمل كاتب الأخبار تاريخ مملكة الشّمال، وهو يهتم قبل كل شيء بتاريخ الهيكل والعبادة والكهنة واللاويين.

3 - أراد أنْ يثبت أنَّ الملوك والشّعب سعداء إنْ كانوا أمناء، وأنَّهم تعساء إنْ كانوا غير أمناء[1].

ولي على هذا النّص النّقاط التّالية:

1 - خالف الجمهور في أنَّ عزرا هو كاتب سفري الأخبار.

2 - رأى في هذه الكتابة أنَّها أقرب إلى المدراش والمدراش كتابة معلم لطلابه في المدرسة، ولهذا يتكرر الكلام كثيراً، ليتفهمه الطّلاب، وليحفظوه.

3 - كُتبت هذه الأسفار بعد انقسام السّامرية على اليهودية.

4 - أهملت ملوك السّامرية عن قصد حتى لا يعود للسّامرية تاريخ يباهون به اليهود.

5 - إنَّ تزوير مملكة السّامرية وجعلها منحرفة عن عبادة الله ووقفها على عبادة الأصنام ليس إلا تزويراً خالصاً من قبل رجال كهنوت يَهْوَه.

6 - إنَّ يهود السّامرة - حسب نص التّوراة - يعبدون إيل، بينما اليهود يعبدون يَهْوَه.

---

(1) الأب شربانتيه اصطفان، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، ص90.

8 ـ سفر طوبيا:

يقول طابع التّرجمة اليسوعية في مقدمة سفر طوبيا: (يبدو لنا سفر طوبيا كمجرد حكاية محصورة بين عائلتين؛ عائلة طوبيا البار وعائلة نسيبه راعوئيل.

كان طوبيا الأب وهو سبط نفتالي يقيم في نينوى بين المسبيين من مملكة الشّمال بعد سقوط سامرة، وكان يمارس شريعة موسى بأمانة مثالية، ولكن الله سمح امتحاناً له بأنْ يفقد نظره، ويصبح عرضة لسخرية مَنْ حوله.

وفي بيت راعوئيل قد حلّت محن أخرى؛ وهي أنّ شيطاناً كان يُميت بعول ابنته سارة السّبعة، الواحد تلو الآخر، مما جعلها في حالة يأس، لكن الله أراد أنْ يتدارك هذين الشّرين، فألبس الملاك روفائيل شكلاً بشرياً، وأرسله إلى طوبيا، الأب فرض أنْ يكون الملاك رفيق سفر لابنه طوبيا...

ويقول أين ومتى كُتب هذا السِّفر؟

لا يمكننا التّفكير إلا بتاريخ قريب العهد، قد يكون في منتصف الجيل الرّابع أو الجيل الثّالث، ويرجح أنّ الأصل كان في اللغة الآرامية، وقد عُثر على بعض قطع منه في مخطوطات قمران، ولا نملك نصاً كاملاً سوى النّص اليوناني)[1].

وهذا السِّفر أولاً من الأسفار التي لا تعترف بها اليهودية ولا البروتستانت، وهو من الكتب المشكوك بها، وليس من الكتب الأصلية.

ويرى الأب شربانتيه أنّها قصة جميلة جداً، وهي عبارة عن مدراش هجادة حَدَّدَ كاتبه قراءة تاريخ الآباء، واستخلص منه قصة ذات مغزى لاهوتي، وأرّخها في زمن الجلاء[2].

وهو من الكتب القانونية الثّانية غير المعترف بها.

---

(1) الطّبعة اليسوعية، لعام 1986، ص 831.

(2) الأب شربانتيه، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، ص 87.

9 ـ سفر الجامعة:

سفر الجامعة من الأسفار المشكلة التي وردت في العهد القديم، فقد اختُلف في نسبتها اختلافاً كبيراً، فبعضهم نسبها إلى سليمان عليه السّلام، وقال آخرون بأنَّه قصة رجل بائس، فالكل باطل وقبض الرّيح.

وقد قال الأب شربانتيه: (ويستتر الكاتب تحت اسم كاذب كوهيليت، ومعناه الجمعية، لعله لسان حال الجمعية يستمع إلى عظة جميلة حسب فيها حساب كل شيء، ويبدو أمله فيها عادلاً وصالحاً، ويسير فيها العالم بحسب تخطيطه، ولسان حال الجمعية يجرؤ على القول كل ذلك باطل وقبض الرّيح)[1].

لم يُعرف مؤلفه ولا تاريخ كتابته، وذلك كله نعرفه من خلال معنى هذا الكتاب أنَّه وُضع في زمن كان اليهود فيه في ضياع ويأس وقنوط، وسَجَّل لهم هذا الكتاب نفسيتهم وآراءهم.

ويقول الأب اغناطيوس زيادة في مقدمة الطّبعة اليسوعية:

(يبتدئ الغموض بشخص المؤلف نفسه الذي يدعي في الفصل الأول أنَّه ابن لداود في أورشليم، فيبدو لنا وكأنَّ له كل حكمة سليمان وغناه المضروب بهما المثل...

وفي نهاية السِّفر خلاصة كتبْتَهَا يد ثانية تضعه بين الحكماء...

هل يكون السِّفر مجرد عبارة متحسسة لفكر متشائم، هذا إنْ لم يكن كما اعتقد الكثيرون خليطاً من تآليف مختلفة الأصل)[2].

10 ـ سفر يهوديت:

اسم يهوديت قد يخاله القارئ خاصاً بفتاة يهودية، ولكنَّ التّوراة ترى عكس هذا، فقد أوردت هذا الاسم لفتاة حثية تزوجها العيسو بن إسحاق، وقد غضب عليه أبوه وأمه من أجل هذا الزّواج، (ولما كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ زوجه يهوديت ابنة بيري الحثِّي وبسمة ابنة إيلون الحثِّي، فكانتا مرارة نفس لإسحق ورفقة)[3].

---

(1) الأب شربانتيه، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، ص87.

(2) المقدمة اليسوعية، ج2، ص209.

(3) تكوين 26/ 34ـ35/ .

ولكن السِّفر نفسه وقع في تناقض في الإصحاح السّادس والثّلاثين، فجعل بسمة بنت إسماعيل، وليست بنت إيلون الحثِّي، كما أنَّها لم تورد يهوديت ولا أباها في ذكر زوجات عيسو، وإنَّما أوردت عدا بنت إيلون الحثِّي. 36/ 1 ـ 5/ ، فأي كلام نُصدِّق؟

ووردت كلمة يهوديت باسم سفر، وهو مثل سفر طوبيا، لا وجود له في التّوراة العبرية، وقصة السِّفر تاريخية إذا صحَّ التّعبير، أما صفته التّاريخية فإثباتها صعب جداً، وقد نقدها ليوتاكسل بشكل مرّ من أجل أخلاقيتها، وسيمرُّ معنا هذا في بحث الأخلاق عند اليهود.

والسِّفر يسمح للمرأة أنْ تبيع شرفها وعفافها في خدمة اليهودية، ويقول صاحب المقدمة اليسوعية: (إنَّ عمل يهوديت هذا لا ينسجم مع أخلاقنا المسيحية الرّقيقة، وقد ننفر منه على صواب لو رأينا فيه عملاً واقعياً.

وجدير بالملاحظة أنَّنا نجد في هذا السِّفر مديحاً ضمنياً للتّعفف في التّرمل)[1]. ولا يستطيع الإنسان معرفة متى كُتب هذا السِّفر ولا مَنْ كاتبه.

ويقول الأب شربانتيه: إنَّ يهوديت مدراش يُعبِّرُ عن الحماس الذي بعثته ملحمة المكابيين (ويهوديت واستير تُشدِّدان على نقطة جوهرية وهي أنَّ الله هو المخلص، وأنَّه يختار لذلك أوهى الطّرق؛ أي يد امرأة)[2].

11 ـ سفر استير:

من الأسفار المحيرة، فهو سفر معترف به في المذاهب النّصرانية كافة، وعند اليهود، لكنهم يختلفون بعد ذلك في عدد الإصحاحات والآيات، ففي النّسخة العبرية نجد حتى الفصل العاشر وقد ورد منه ثلاث آيات.

ويقول القديس ايرونيموس: هذا ما وجدناه في النّسخة العبرانية قد ترجمناه مُدقَّقاً، وما يليه، وجدناه مكتوباً في النّسخة العامية المسطورة بالكتابة واللغة اليونانية، وكان بعد ختام

---

(1) المقدمة اليسوعية، ج3، ص853.

(2) الأب شربانتيه، قراءة، ص 88.

الكتاب هذا الفصل الثّاني، فضربنا عليه خطأ على مألوف عادتنا، ويقول ايرونيموس بعد الآية الأولى من الإصحاح الحادي عشر (وكان هذا المبدأ في النّسخة العامية، ولم يوجد في العبرانية ولا في نسخة أحد من المترجمين).

ويقول في نهاية الإصحاح الثّاني عشر: إلى هنا كانت المقدمة وما يلي ورد عند قوله في أثناء السِّفر، ونصبوا أملاكهم وأموالهم، ولم نجده إلا في النّسخة العامية فقط، وهذه صورة الكتابة، ويقول بعد الآية السّابعة من الإصحاح الثّالث عشر: إلى ههنا صورة الرّسالة، وما يلي وجدناه مكتوباً بعد قوله: فمضى مردكاي، وصنع جميع ما أمرته به استير، ولا وجود له في العبرانية، ولا في نسخة أحد من المترجمين.

وفي بداية الفصل الخامس عشر: ثم وجدنا هذا في النّسخة العامية، ويقول بعد الآية الثّالثة: ثم وجدنا هذا أيضاً، وفي بداية الفصل السّادس عشر نسخة الملك ارتحششتا التي كتبها في اليهود وأقاليم مملكته، ولا وجود لها في النّسخة العبرانية. فما سفر استير هذا؟

إنّه أشبه بقصة يهوديت، السّماح للمرأة اليهودية أنْ تتزوج من غير اليهود لمصلحة اليهود، وقد صارت استير محظية عند ارتحششتا لتُؤَلِّبَ الملك ضدّ أعداء اليهود، ولتقتل منهم الآلاف المؤلفة، ولا زال اليهود يتجهون بعيد الفوريم من أجلها.

ولي على هذا السِّفر ما يلي:

1 - إنَّ السِّفر خالف وصية التّوراة في الزّواج من غير اليهود.

2 - إنَّ السِّفر خالف وصية التّوراة في وحدانية الله، فقد جعل اليهودُ أبناءَ الله العلي 16/ 16.

3 - جعلت من الملك الفارسي يعترف بأنَّهم (اليهود) أبناء الله، ويدللهم، ويكرمهم.

4 - لا يدري أحد مَنْ كتب هذه الزّيادات على العبرانية.

5 - إنَّ اسم مردخاي (مردكاي) اسم مشتق من مردوخ أو مردوك البابلي، وهذا يفسر لنا تأثير بابل على اليهود.

ويقول صاحب الطّبعة اليسوعية: (أما تاريخية التّفاصيل وجوهر السِّفر أيضاً فتعترضهما صعوبات جمة على الرّغم مما جاء من ملاحظات شديدة عن الأخلاق الفارسية، وطوبوغرافية صحيحة عن مدينة شوشن، من الممكن أنْ يكون اليهود قد تعرضوا لتعنيفات من هذا النّوع

أثناء الحكم الفارسي، وقد حاك المؤلف حول ذكرها قصة خيالية، أما تاريخه فهو حديث دون شك، فقد يرجع إلى الجيل الثّاني ق.م).

لا يمكن أنْ تكون استير ولا عمّها مردخاي من الذين سبوا مباشرة، إذ أنَّ السّبي 586 ق.م، وارتحششتا في عام 392 ق.م، فكيف يمكن التّوفيق بين الزّمنين؟ ثم إنَّ استر تسمية فارسية (ستري) والتي تعني عذراء، وهامان هو الاسم العيلامي هومان، والسِّفر مُختلَق، ويفتقد لأية أسس تاريخية.

12 ـ سفر أيوب:

أحد الأسفار المعترف بها لدى الجميع، لكنني أحبُّ أنْ أنبه إلى عدة نقاط:

1 ـ قال أكثر النّقاد: إنَّ أيوب عربي، وسفر أيوب عربي الأصل، ثم نقله، ونسخه اليهود.

2 ـ مما يثبت عروبة أيوب وجوده في القرآن الكريم، وهو أحد الرُّسُل الخمسة والعشرين الذين ورد اسمهم في القرآن الكريم.

3 ـ لم يعترف به اليهود أنَّه منهم، فقد ردُّوا نسبه إلى عيسو بن إسحق، لم يقولوا عنه: إنَّه من نسل يعقوب.

4 ـ فكرة السِّفر تختلف عن فكرة القرآن الكريم، ففي القرآن الكريم نرى أيوب الصّابر مثال الصبر على الشّدائد والمصائب، بينما نراه هنا في التّوراة يُجدِّف على الله.

5 ـ نرى الشّيطان في السِّفر أنَّه يحضر مجمع الآلهة وأبناء الله معه. تعالى الله عن هذا عُلُوّاً كبيراً.

6 ـ يلعب الشّيطان دوراً كبيراً في مشكلة أيوب كما توردها التّوراة، بينما لا نرى هذا الدّور في القرآن الكريم.

يرى الأب شربانتيه أنَّ تاريخ صنعه يعود إلى عهد الفرس، ويرى صاحب قصة الحضارة أنَّ تاريخ هذا السِّفر يعود إلى أيام الأسر، ويرى أنَّ عذاب أيوب ليس إلا عذاب الإسرائيليين في السّبي[1].

---

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج2، ص390.

ويقول أحمد داود إنَّ الرّؤية عن هذه الشّخصية منتحلة من محيط بني إسرائيل، والسّبب يكمن في أنَّ الرّأي التّقليدي يُحدِّد أرض عوص بمنطقة شرقي فلسطين[1].

13 ـ سفر المزامير:

سفر من أسفار التّوراة المعترف بها، يتألف من مئة وخمسين مزموراً، والمزمور في اللغة العربية النّشيد أو الأغنية، فقد أُخذ من كلمة زمر غني، ومنه في العربية الزّمر والمزمار آلة موسيقية نفخ ترافق الغناء.

ولو سَمّوه سفر الأناشيد أو الأغاني لكان أصحّ، وقد وُجد ـ منسوباً لسليمان ـ سفر سَمّوه نشيد الإنشاد، أما المزامير فقد نسبها كَتَبَةُ التّوراة لعدة أشخاص.

1 ـ موسى عليه السّلام؛ المزمور التّسعون.

2 ـ داود من 3 ـ 43، ما عدا الثّالث والثّلاثين، ومن 51 ـ 65، ومن 68 ـ 70، ثم 86، ومن 101، 110، 122، 124، 131، 133، ومن 138 ـ 145.

3 ـ لبني قورح 42، ومن 44 ـ 49، 84، 85، 87.

4 ـ آساف 50، ومن 73 ـ 83.

5 ـ سليمان 72.

6 ـ إيثان الأزراحي 89.

أما البقية فلم ترد منسوبة على الإطلاق.

وقد ورد خلافات كبيرة حول نسبة هذه المزامير ومؤلفيها ووقت تأليفها، والأغرب من هذا أنَّ المسلمين حاولوا أنْ يوفقوا بين الحكم القرآني من جهة، والتّوراتي من جهة أخرى، ولما لم يرد اسم المزامير في القرآن وورد اسم الزّبور قالوا إنَّ المزامير هي الزّبور، وقد بيَّنتُ الفارق الكبير في ردّي على التّوراة، بين المزامير والزّبور، فالمزامير ليست إلا أدعية وأناشيد دينية إنْ

(1) داود أحمد، تاريخ سورية العام، ص53.

صحّ التّعبير، والزّبور كتاب سماوي كالتّوراة والإنجيل والقرآن، أُنزل هذا الكتاب على داود عليه السّلام.

ويقول العلامة رحمة الله العثماني من ناحية تأليفه وزمنه (وزبور داود لم يثبت بالسّند الكامل أنَّ مصنفه فلان، ولم يُعلم زمان جمع الزّبورات (وهو يقصد المزامير) في مجلد واحد لم يتحقّق أنَّ أسماءها إلهامية أو غير إلهامية، واختلف الفقهاء المسيحيون في مصنفه:

1 - فارجن وكريزاستم واكستاين وانبريس وبوتهيمس وغيرهم من القدماء على أنَّ هذا الكتاب كله تصنيف داود عليه السّلام.

2 - أنكر قولهم هليري واتهائي وسيش وجيروم وبوسي بيس وغيرهم.

3 - وقال هورن: إنَّ القول الأول غلط محض.

4 - وقال بعض المفسِّرين: إنَّ بعض الزّبورات صُنفت في زمن المقابيين، لكنَّ قولهم ضعيف.

وعلى رأي الفريق الثّاني لم يُعلم اسم مصنف زبورات، وهي أزيد من مئة وثلاثين؛ عشرة زبورات من تصنيف موسى من التّسعين إلى التّاسع والتّسعين وواحد وسبعون زبوراً من تصنيف داود.

والزّبور الثّامن والثّمانون من تصنيف هيمان، والزّبور التّاسع والثّمانون من تصنيف أتهان، والزّبور الثّاني والسّبعون، والزّبور المئة والسّابع والعشرون من تصنيف سليمان، وثلاثة زبورات من تصنيف جروتهن، واثنا عشر زبور من تصنيف أساف.

لكنْ؛ قال بعضهم: إنَّ الزّبور الرّابع والسّبعين والتّاسع والسّبعين ليسا من تصنيفه، وأحد عشر زبوراً من تصنيف بني قورح وهم ثلاثة. وقال بعضهم: إنَّ شخصاً آخر صَنَّفها ونسبها إليهم، وبعض الزّبورات تصنيف شخص آخر.

وقال كانت: إنَّ الزّبورات التي صَنَّفها داود خمسة وأربعون زبوراً فقط، والزّبورات الباقية من تصنيفات آخرين، وقال القدماء من علماء يهود: إنَّ هذه الزّبورات تصنيف هؤلاء الأشخاص آدم، إبراهيم، موسى، أساف، همان، جدوتهن، ثلاثة من أبناء قورح. وأما داود فجمعها في مجلد واحد.

فعندهم داود عليه السّلام جامع الزّبورات فقط لا مصنفها.

وقال هورن: المختار عند المتأخرين من علماء يهود، وكذا جميع المفسرين المسيحيين، إنَّ هذا الكتاب تصنيف هؤلاء الأشخاص موسى، داود، سليمان، أساف، همان، تهان، جدوتهن، ثلاثة أبناء قورح.

وكذلك الاختلاف في جميع الزّبورات في مجلد واحد، فقال بعضهم: إنَّها جُمعت في زمن واحد، وقال بعضهم: جمعها أحبَّاء حزقيا في زمانه، وقال آخرون: إنَّها جُمعت في أزمنة مختلفة.

وكذلك الاختلاف في أسماء الزّبورات، فقال بعضهم: إنَّها إلهامية، وقال آخرون: إنَّ شخصاً من غير الأنبياء سَمَّاها بهذه الأسماء[1].

ويقول الأب شربنتيه: ولعل بعض المزامير / 137 - 44 - 80 - 89/ نشأت في تلك الحقبة (حقبة السّبي) كنداء إلى الله الأمين[2].

ويُعلِّق الأب شربنتيه فيقول: إنَّ مزامير المراقي (المصاعد) من / 120 - 134/ أُلِّفت بعد الجلاء، وهي تُعَبِّرُ تعبيراً وافياً عن هذه الرّوحانية.

ويضيف: وفي مطلع معظم المزامير معلومات عن المؤلف وعن الفن الأدبي، وكثيراً ما يصعب علينا فهم معناها.

المؤلف يعني الاسم المتعلق بحرف الجر أنَّ المزمور يُنسب إلى هذا المؤلف، أو أنَّه ينتمي إلى مجموعة مزامير تحمل هذا الاسم، ذلك بأنَّهم حين جَدَّدُوا قراءة المزامير شعروا بميل إلى إدخالها في سياق حياة الشّخصيات الكبرى[3].

ولم يستطع أحد من الباحثين إرجاع هذه النّصوص إلى أزمنة معينة، وهذا الباحث غوستاف لوبون يقول: وترجع المزامير إلى أدوار مختلفة؛ أجل إنَّ داود الذي عُزيت إليه

---

(1) رحمة الله العثماني، إظهار الحق، ج 1، ص169 - 170.

(2) الأب شربانتيه، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، ص65.

(3) المصدر السّابق، ص98.

طويل زمن كان شاعراً ممتازاً لا ريب فيه، بيد أنَّه يستحيل أنْ نعرف بين الأغاني العبرية **أي** المزامير صنعه، والمزمور الوحيد الخاص به هو النّشيد المحزن الذي وضعه بعد موت شاول وناتان على التّحقيق[1].

ويرى سبينوزا في الرّسالة 309 أنَّ المزامير قد جُمعت وقُسمت خمسة أسفار بعد إعادة بناء الهيكل، ويستشهد برواية الفيلسوف اليهودي فيلون في ذلك.

بعد هذه الجولة في المزامير أستطيع أنْ أعطي بعض الملاحظات:

1 ـ لا علاقة لداود بهذه الأناشيد على الإطلاق لا من قريب ولا من بعيد، فداود لم يكن شاعراً، ولم يُذكر ذلك في سيرة حياته؛ لا في صموئيل، ولا الملوك، ولا الأخبار.

2 ـ المزامير غير الزّبور، وإنْ خلط بعض المؤلفين الإسلاميين بينهما، فالزّبور كتاب سماوي تشريعي، والمزامير أدعية وصلوات.

3 ـ هنالك أدعية وردت على لسان المسيح ـ عليه السّلام ـ في الإنجيل، وقد وردت في المزامير، منها (إيلي، إيلي، لم شبقتني؟) و (إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟).

ولغة المسيح لغة آرامية، والمزمور في العبري على لسان داود، والمسيح كان يعبد الله (إيل) ولم يكن يعبد يَهْوَه، فهل كان داود ـ حسب رأي اليهود ـ يعبد إيل أم يَهْوَه؟

4 ـ إذا كان كاتب الإنجيل ينقل من المزمور فداود يعبد إيل ومُدَوِّنو التّوراة قد كَذَّبوا في تسجيلهم يَهْوَه.

5 ـ وإذا كان مُدَوِّن التّوراة قد سرق العبارات من المسيح فمن باب أولى تكذيب عبادة يَهْوَه من قبل داود.

6 ـ هنالك تكرار كثير في هذه الأناشيد، وخاصة تكرار المزمور ذاته في بعض الحالات، كما وجد المزمور / 4/ ورد نفسه في المزمور / 53/ ونسبوه في الحالتين إلى داود، وأرى أنَّه كُتب بعد السّبي لورود العبارة التّالية: (عند رد الرّبّ سبي شعبه يهتف يعقوب ويفرح إسرائيل) ولا يمكن لداود أنْ يتكلّم مثل هذا الكلام في سلطنته وامتداد مملكته.

---

(1) لوبون غوستاف، اليهود في تاريخ الحضارات، ص90.

7 ـ لا يمكن أنْ تكون هذه المزامير لموحِّد كما تدَّعي اليهودية، واسمع لهذا النّص: (الله قائم في مجمع الآلهة، وفي وسط الآلهة يقضي) فهل هذا الكلام صادر عن مؤمن بالله مُوحِّد له؟!

8 ـ الإشراك ظاهر؛ إذ يَعُدُّ اليهود أنفسهم أبناء يَهْوَه، ويقول المزمور نفسه: (أنا قلتُ إنَّكم آلهة، وبنو العلي كلكم) مزمور 82/ 6. هذه التّعابير تعابير يهودية، كما أقرت فهم أبناء يَهْوَه وأحباؤه.

9 ـ الإله في المزامير إله يهودي، فهو إله الجنود؛ إله النّقمات؛ إله عرقي متعصب، ولهذا؛ فالمزامير هي من إنشاد جماعة اليهود بعد أنْ أُنشئت اليهودية.

لهذا كله أقرر أنَّ هذه المزامير الموجودة لا يمكن أنْ تكون قد وُضعت إلا بعد أنْ نشأت اليهودية.

14 ـ سفر الأمثال:

لقد عقدتُ فصلاً طويلاً في مناقشة سفر الأمثال، وأصله المصري في كتابي (الدّيانة الفرعونية وأثرها في تحريف التّوراة).

هذا السِّفر لا يمت إلى الفكر اليهودي بصلة، لكنهم أدخلوه بعد أنْ حرَّفوا الحكم المصرية لأمون مينوب، وجعلوها سفر الأمثال لسليمان.

أما عن زمن تأليفه فقد أُلِّف في عهد السّبي، وعزرا هو الذي حَرَّفه ونقله إلى هذا الشّكل.

نُسبت هذه الأمثال لسليمان بن داود، وهو المشهور بحكمته كما تقول التّوراة، ولهذا؛ ما عليهم إنْ نسبوا كل شيء له، وهو من الأسفار المعترف بها، ويتألف من واحد وثلاثين إصحاحاً، ولكنَّ كاتب السِّفر لا يخصّه بسليمان فقط، فمنذ الإصحاح الأول وحتى التّاسع لا ينسبها إلى أحد، ويقول في الإصحاح العاشر أمثال سليمان، وحتى نهاية الرّابع والعشرين، وفي الإصحاح الخامس والعشرين يقول: هذه أيضاً أمثال سليمان التي نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا، وينتهي كلام سليمان حسب هذا النّص في الإصحاح التّاسع والعشرين. الإصحاح الثّلاثون يقول في مقدمته (كلام أجور بن متقيه مسا وحي هذا الرّجل إلى إيثيل، إلى إيثيل وأكال) ولا ندري مَنْ هو اجور ومَنْ هو إيثيل وأكال.

أما الإصحاح الحادي والثلاثون كلام لموئيل ملك مسا علمته إياه أمه، فمؤلف سفر الأمثال ـ حسب رأي كَتَبَةِ التّوراة ـ ليس واحداً، ومن البدهي أنَّ هنالك زمناً بين حزقيا وسليمان، وبين حزقيا وموئيل ملك مسا، ولهذا؛ فهو كبقية الأسفار لا يُعلم متى كُتب بشكل رسمي، ولكنَّ أكثر الدّارسين للعهد القديم يرى أنَّ هذا السِّفر كُتب في عهد السّبي.

15 ـ سفر نشيد الإنشاد:

خير ما نكتب عنه ما قاله الأب اغناطيوس زيادة (لا يقرأ نشيد الإنشاد إلا القليل من المؤمنين، لأنَّه لا يلائمهم كثيراً) ويقول الأب شربنتيه: للنّص الحالي قصة طويلة، لا شك أنَّه ينطلق من قصائد حب قديمة، كانوا ينشدونها في السّهرات. ولعله يستوحي من الطّقوس الوثنية، ولا يذكر الله أبداً[1].

ويَعُدُّ شربنتيه أنَّ هذا الكتاب من الكتب التي أُلِّفت في عهد السّلوقيين والبطالمة، فهو وسفر الجامعة وطوبيا وابن سيراخ ويهوديت واستير من عهد واحد. هذا السِّفر غزل إباحي مكشوف نسبوه إلى سليمان عليه السّلام، ولا أعتقد أنَّ له معرفة بهذا السِّفر، وقال زياد منى: إنَّ هذا النّشيد إنْ هو إلا نشيد رعاة في الجبال. والسِّفر قصير يتألف من ثماني إصحاحات.

16 ـ سفر الحكمة:

هذا السِّفر من الكتب المنحولة وغير المعترف بها عند اليهود والبروتستانت، وهو من الأسفار الحكمية كالأمثال والجامعة وأيوب.

إنَّ هوية المؤلف مجهولة، إنَّما الدّلائل تشير إلى أنَّ وطنه كان في مصر، ومن المحتمل أنْ تكون الإسكندرية المركز الكبير لليهودية النّاطقة باليونانية في عصره، وقد كان فيلون في أوائل الجيل الأول للمسيحية مُمَثّلاً لهذا العنصر على الصّعيد الأدبي والفكري، ولكنَّ الكتاب دون شك ليس من تأليفه، ويجب أنْ نُسلِّم كما يظهر بأنَّ سفر الحكمة أقدم منه، إذ يرتقي إلى النّصف الأول من العصر الأول للمسيحية[2].

---

(1) الأب شربانتيه اصطفان، دليل، ص87.

(2) مقدمة الطّبعة اليسوعية، ج2، ص237.

وهذا الكتاب يبشر بالحياة الآخرة، ولهذا؛ لا يعترف به اليهود، ويعدّونه من الكتب المنحولة، يتألف من تسعة عشر فصلاً.

ويقول عنه الأب شربنتيه: (وُضع هذا الكتاب باللغة اليونانية في الإسكندرية في مصر حوالي 50 ـ 32 ق. م. وهو أحدث كتب العهد القديم.

كاتبه يوناني، طويل الباع في الأدب اليوناني، وهو يهودي عاش بعيداً عن الهيجان الذي عرفته جماعة فلسطين حول السّلالة المكابية، فمارس سياسة اليد الممدودة، وحاول أنْ يفكر في دينه اليهودي من خلال ثقافته اليونانية، كما فعل بعده الفيلسوف اليهودي فيلون الإسكندري معاصر يسوع، يُقسِّم كتابه إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ المصير البشري بحب الله. (1 ـ 5).

2 ـ مديح الحكمة. / 6 ـ 11/ .

3 ـ تأمل في الخروج. / 11 ـ وحتى 19/ .

تكاد الحكمة تختفي في الفصول الأخيرة، فالضّربات التي حَلّت بمصر هي عقاب لبعض النّاس وخلاص للآخرين)[1].

17 ـ سفر يشوع بن سيراخ:

هذا السِّفر من الأسفار المنحولة، وهو من الكتب التي لا تعترف بها اليهود ولا البروتستانت، يقول عنه الأب شربنتيه:

ترجم حفيد يشوع هذا الكتاب إلى اليونانية 190 ق. م، ويريد هذا الكتاب المتسم بالبورجوازية التّقية أنْ يثبت أنَّ الأمانة للشّريعة تساعد على اكتساب الحكمة الحقيقية[2].

يتألف السِّفر من واحد وخمسين إصحاحاً أو فصلاً، فهو مؤلف طويل نسبياً وهو قسمان:

1 ـ قسم أدعية وصلوات؛ وينتهي في الفصل الرّابع والأربعين.

---

(1) الأب شربانتيه، دليل، ص92.

(2) الأب شربانتيه، دليل، ص87.

2 ـ قسم تاريخي ؛ يبحث في شخصيات سابقة 45 موسى ، 46 يشوع بن نون ، 47 ناثان أيام داود ، 48 إيليا النّبي ، 49 يوشيا الملك المصلح ، 50 سمعان بن ادنيا الكاهن الأعظم ، 51 يشوع بن سيراخ ، ودعاء له ، ولا نعرف عن يشوع بن سيراخ شيئاً .

3 ـ ويختلف صاحب مقدمة الطّبعة اليسوعية مع الأب شربنتيه فيجعل الحفيد في 130 ق . م ، ويمكننا أنْ نستنتج من ملاحظات حفيده في المقدمة أنَّ يشوع بن سيراخ أنَّه عاش وكتب سفره المذكور قبل خمسين سنة ؛ أي 180 ق . م ، تقريباً[1] .

وهذا يعني أنَّه عاش في عظمة الدّولة المكابية ، وهو حديث عهد بالنّسبة للكتب اليهودية الأخرى ، وكما قلتُ إنَّه غير معترف به .

18 ـ سفر أشعيا :

لعب سفر أشعيا دوراً كبيراً في حياة اليهود ، ويقسمه النّقاد إلى ثلاثة أقسام : أشعيا الأول ، والثّاني ، والثّالث ، ويتألف سفر أشعيا من 66 إصحاح :

1 ـ / 1 ـ 39/ هي جزئياً من تأليفه .

2 ـ / 40 ـ 55/ من تأليف تلميذ عاش في أيام الجلاء .

3 ـ / 56 ـ 66/ من تأليف تلميذ عاش بعد الجلاء .

هذا ما قرره الأب شربنتيه في دليله لقراءة الكتاب المقدس ، ويُحَدِّدُ زمنه (أشعيا) سنة 740 ق . م ، ويَعُدُّ صاحب الطّبعة اليسوعية أشعيا من أعظم الأنبياء ، وقد اقتفى أثره عدة مقلدين حملت نبوءاتهم صدى كلامه عبر الأجيال ، لكنَّ نفوذه قد بلغ إلى حَدٍّ أنَّه طمس أسماء هؤلاء الأنبياء ، فَضُمَّتْ نبوءاتهم إلى سفر أشعيا ، وهو زمن يمتد من القرن الثّامن ق . م ، إلى نهاية القرن الخامس ق . م ، وهو زمن يمتد ما يقارب من أربع قرون .

والكتاب الذي بين أيدينا تقول عنه لجنة الكتاب المقدس البابوية سنة 198 إنَّ البراهين القائلة بألا يسند إلى أشعيا كل الكتاب الحامل اسمه إنَّما هي غير كافية لكنها (أي اللجنة) لم تسدّ الطّريق في وجه الأبحاث في المستقبل ، وزادت هذه الأبحاث قوة البراهين السّابقة ، والسِّفر

---

(1) مقدمة الطّبعة اليسوعية ، ج2 ، ص266 .

لا تماسك فيه، ففي الإصحاح / 1 ـ 39/ ترى أشعيا نفسه يخاصم أحاز وحزقيا وشعب ذلك العهد، وهي الفترة التي سبقت سقوط القدس، أما الفصول / 40 ـ 55/ خراب الهيكل، وسبي الشّعب، والشّعب أسير في بابل، وأشعيا لا ذكر له، والنّبوءات تعلن قرب انتهاء السّبي عن قريب.

وأخيراً؛ الفصول / 56 ـ 66/ تفترض رجوع المسبيين وإعادة بناء الهيكل، وهذا تم في القرن السّادس[1].

ولكني لا أرى هذا للنّقاط التّالية:

1 ـ الفصل 45 يرى أشعيا في كورش المسيح المنتظر الذي حَرَّرَ اليهود من أسر بابل، فكيف تعلن النّبوءات قرب انتهاء السّبي عن قريب؟!

2 ـ إنَّ الإصحاح الثّالث عشر وحي من جهة بابل، وهو واقع في فترة ما قبل الأسر، والإصحاح يدل على أنَّه كان أيام الأسر.

3 ـ في الإصحاح الرّابع والأربعين نبوءة بإعادة الهيكل وإعادة السّبي، ومن ثم ظهور اسم كورش، مما يدل على أنَّ هذا الإصحاح وما بعده كُتب في عهد الدّولة الفارسية، وليس في العهد البابلي.

4 ـ الإصحاح السّابع والأربعون وصفٌ لما حلَّ ببابل على يدي كورش.

والذي أراه أنَّ هذا السِّفر كُتب بعد سكنى اليهود القدس وعودة عزرا إلى فلسطين عام 398 ق.م.

19 ـ سفر إرْمِيَا:

سفر معترف به، بل يتبعه سفر آخر مراثي إرْمِيَا.

فقد ظل إرْمِيَا كإيليا يُلقي خطبه قرابة ثلاث وعشرين سنة، ولم يلجأ إلى تدوين نبوءاته إلا لما حيل بينه وبين الخطابة.

---

(1) مقدمة الطّبعة اليسوعية، ج2، ص340.

وقد أخذ تلاميذ الأنبياء يُدوِّنون أعمال الأنبياء، لهذا؛ خرجت الأعمال غير مرتبة تاريخياً، أو موضوعياً، كما أنَّ الأنبياء لم يراعوا الدّقة التّامة عند التّدوين، ولم يُدوِّنوا الأمور كما قلتُ من قبل، بل حذفوا منها، وأضافوا إليها ما شاءوا. والظّاهرة العجيبة التي تتميز بها العقيدة هو أنَّ الدّيانة ليست خاصة بنبي بعينه أو رسول بعينه، كما هو الحال في الإسلام مثلاً، بل الدّيانة اليهودية هي عبارة عن تراكمات لأشخاص عديدين خلعوا عليهم صفة الأنبياء.

ولنرَ الفارق بين الأنبياء والرُّسُل، فالنّبي ليس مُكلَّفاً بإبلاغ رسالة جديدة، وإنَّما هو يدعو إلى رسالة سابقة يبشر فيها ويدعو إلى الرّجوع إليها، أما الرّسول فهو مُكلَّف برسالة، فموسى رسول مُكلَّف في دعوة سماوية وكتاب سماوي هو التّوراة، أما هرون وسليمان فهما تابعان لداود وموسى، وبرسالتيهما، أما بقية الأنبياء فهم يحاولون إعادة النّاس إلى دين موسى أو دين داود اللذين هما دين واحد ألا وهو الإسلام.

لهذا؛ لا أرى أي شيء جديد يضيفه الأنبياء إلى رسالة موسى إنْ كانوا تابعين لها، أما إذا لم يكونوا تابعين لها فإنَّهم أنبياء كَذَبَة، وهذا ما حصل في الدّيانة اليهودية.

وإرْمِيَا نبيٌّ ـ كما تُحدِّثنا كُتُبُ اليهود ـ شهد الأسر البابلي، وحَذَّرَ منه، وأراد من بني إسرائيل أنْ يمدّوا له يد العون بديلاً من أنْ تحاربه، لكنهم لم يسمعوا منه، فسُجن، وضُرب، ضربه الكاهن فشحور، وسجنه، وحَرَّم عليه الاتصال بالنّاس ما عدا تلميذه باروخ.

وعلينا أنْ نُفرِّق بين عقيدتين؛ عقيدة الأنبياء الذين يدعون إلى دعوة موسى، وبين العقيدة الرّسمية التي يدين بها بنو إسرائيل بشكلها العام، فهنالك الدّعوة للتّوحيد من قبل الأنبياء شَوَّهَهَا بنو إسرائيل في عقيدتهم العامة، من حيث الشِّرك وعبادة أكثر من إله كيَهْوَه وبعل وعزازيل، ولم تُدَوَّن كُتُبُ الأنبياء مباشرة، لهذا؛ حُرِّفَ فيها ما حُرِّفَ، حتى غدت ركيزة للدّيانة اليهودية على يد عزرا، وليس الوحي الذي نزل على الأنبياء.

إرْمِيَا بن حلقيا من طبقة الكهنة في أرض بنيامين، ولما أُوحي إليه صار الكهنة ضدّه، وسفره طويل؛ إذ يتألف من ثلاثة وخمسين إصحاحاً.

ولا نعرف كيف انتهى إرْمِيَا بعد أنْ أنقذه بختنصر من السّجن، هل قتله بنو إسرائيل وعَدّوه خائناً؟! أم مات ميتة طبيعية؟! هذا ما أشك فيه، بالإضافة إلى سفر إرْمِيَا هناك مراثي إرْمِيَا، وهو يتألف من خمسة إصحاحات، وتختلف ديانة إرْمِيَا كثيراً عن الدّيانة التي رواها اليهود عن موسى.

«إنَّ الله لا يريد قرباناً، بل يريد طاعة».

اسمعوا كلمة الرّبّ يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل، هكذا قال الرّبّ، ماذا وجد فيَّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً؟ ولم يقولوا أين هو الرّبّ الذي أصعدنا من أرض مصر الذي سار بنا في البرية في أرض قفرٍ وحفرٍ في أرض يبوسةٍ، وظل الموت في أرض لم يعبرها رجل ولم يسكنها إنسان؟ وأتيتُ بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها، فأتيتم ونجّستم أرضي وجعلتم ميراثي رجساً، الكهنة لم يقولوا أين هو الرّبّ، وأهل الشّريعة لم يعرفوني، والرّعاة عصوا عليَّ، والأنبياء تنبَّأُوا ببعل، وذهبوا وراء ما لا ينفع[1].

والسِّفر كله يُندِّد بعدم سير بني إسرائيل على ما قاله موسى، ولهذا؛ لا يرضى بالحرائق والذّبائح، وينكر الرّبّ أنْ يكون هو قد أوصى بذلك. 7/ 22 ـ 23/ . وهو يأمرهم بالطّاعة لله، ويُندِّد بالأنبياء الكَذَبَة الذين كثروا في إسرائيل.

ولم يستطع باروخ أنْ يأخذ كل نبوءات إرْمِيَا، وإنَّما كتب بعض مقاطع منها أُدخلت إلى السِّفر 15/ 10 ـ 21/ و 18/ 18 ـ 23/ و 20/ 17 ـ 18/ ودُعيت هذه النّصوص اعترافات إرْمِيَا، ولغة هذه الاعترافات هي لغة المزامير.

كان إرْمِيَا يُملي على باروخ كما حدثنا السِّفر ذاته، وجمع تلاميذه بعده حياته، ويمكن أنْ نرى في سفره النّقاط الآتية:

أً ـ 1 ـ 25 وحتى الآية 13 نبوءات ضدّ يهوذا وأورشليم.

---

(1) إرْمِيَا 2/ 4 ـ 9/ .

2َ ـ 25/ 3 ـ 18/ و الآيات / 46 ـ 51/ نبوءات مُوجَّهة ضدّ الشّعْوب.

3َ ـ / 26 ـ 35/ نبوءات حاملة رجاء وتبشّر، فصـول / 36 ـ 44/ حيـاة إرْمِيَا إبّـان حصـار إسرائيل، وأعتقد أنَّ هذا لم يُسجَّل إلا بعد عودة اليهود من الأسر في زمن الدّولة الإخمينية.

20 ـ سفر باروخ:

من الأسفار المنحولـة وغير المعترف بها، وإلى هـذا أشـار صـاحب الطّبعـة اليسـوعية في مقدمته، فقال: لقد بلغنا سفر باروخ باليونانية، وإنَّ صفته الأدبيـة ومحتـواه يجعلاننـا نفتـرض أنَّ تأليفه قد تمَّ في عهد متأخر. ويستند الفصل السّادس خاصة إلى اختبـار شـخصي لبـلاد بـابل حوالي السّنة / 300/، فيصف بكثير مـن الدّقـة أوثانـها وكُهَّانـها وكاهناتـها، ويظـهر إذن سـفر باروك ورسالة إرْمِيَا وكأنهما من تأليف كُتَّاب لم يتركوا لنا أسماءهم[1].

إذن؛ يُنسب هذا السِّفر إلى بـاروك أمين سر إرْمِيَـا النّبـي، أو قـل هـو تلميـذه إنْ صـحَّ الأمر، وهو نبي بعده، وهو مؤلف من ستة فصول، ويمكن قسمته إلى أربعـة أجـزاء مختلفـة وكُتَّاب مختلفين:

1 ـ حالة التّوبة والخطايا.

2 ـ التّفكير في الخطيئة.

3 ـ التّأمل في الشّريعة.

4 ـ القسم الأخير يذكرنا بلهجة أشعيا الثّاني. وكما قلتُ إنَّ هـذا الكتـاب كُتـب أول أمـره في اليونانية بعد 250 ق. م، في نهاية السّنوات 200، وما والاها.

21 ـ سفر حزقيال:

يتألف سفر حزقيال من ثمانية وأربعين فصلاً، فهو سفر طويل إلى حدّ ما، ومَنْ يقرأ سفر حزقيال يشعر أنّه كان معاصراً للنّبي إرْمِيَا، فكلاهما قد شهد سبي القدس، ولكن الظّاهر أنهما

---

(1) مقدمة الطّبعة اليسوعية، ج2، ص544.

لم يلتقيا، فلم يحدثنا أحدهما عن الآخر، سُبي حزقيال مع يوياكين كما تقول التّوراة، ولكن الواقع أنَّ يوياكين قد قُتل، ولم يأخذه بختنصر معه إلى السّبي.

عاش حزقيال على ضفة نهر الخابور (كوبار) بين المسبيين، وكان ينتمي حزقيال إلى طبقة الكَهَنَة، ورغم أنَّه تنبَّأ، فلم نر أي صراع بينه وبين الكَهَنَة كما رأينا ما حصل مع إرْمِيَا.

والظّاهر أنَّ حزقيال لم يتنبَّأ إلا بعد السّبي، ولهذا؛ لا نلحظ له أي رأي قبل السّبي، وإنَّما افتتح سفره وهو على نهر خابور.

وسفر حزقيال هو من الأسفار الرّؤيوية، ويمكن أنْ نقسم سفره إلى الأجزاء التّالية:

1 ـ الرّؤية؛ وهو أول أسفار الرّؤية، إذ رأى فيها يَهْوَه راكباً على عربة نارية تجرها خيول نارية أيضاً.

2 ـ يُبَشِّرُ بخراب أورشليم، ولم تكن قد هُدمت بسبي يوياكين، وهو يردّ على التّوراة التي نسبوها إلى موسى من حيث العقوبة للأبناء من أجل جرائم ارتكبها آباؤهم.

3 ـ يُبَشِّرُ بالعودة بعد خراب أورشليم.

4 ـ عودة أورشليم لتكون كرسي يَهْوَه، ويقول المسيحيون: يؤكد أنَّ أورشليم الجديدة ستكون مشبعة بحضور الله وقداسته.

والشّيء الجديد في حزقيال أنَّه أضفى على يَهْوَه صفات الألوهية، إذ لم يكن قبله سوى إله محلّي مثل الآلهة القبلية السّامية، لا يختلف عنها بشيء، وقد أتى حزقيال فأضفى عليه من صفات الألوهية ما لم تكن موجودة فيه.

وكون الدّيانة اليهودية ثبتت في بابل بشكلها النّهائي جعلها من البدهي أنْ تتأثر بالدّيانات الأخرى التي كانت موجودة.

إنَّ حزقيال يُعَدُّ ركيزة من ركائز الفكر عند عزرا، وقد اعتمد عليه اعتماداً كلياً في تركيبه الدّيانة اليهودية، ووصف الإله يَهْوَه بهذا الشّكل الذي جعل المسيحيين يقبلونه على أنَّه الله إيل، ولنقف عند هؤلاء الأنبياء الذين عاصروا السّبي كما يقال لنتبيَّن أثر حزقيال.

(فقد تعمَّق أشعيا في بعض مقاطع من حزقيال بشكل هادئ وعميق على طريق المدراش، بينما كان إرْمِيَا أكثر حذقاً ودهاءً، وأتى بعدهم دانيال، وكان أكثرهم غموضاً ونبوءاته من النّوع المستعصى)[1].

إنَّ سفر حزقيال يُعَرِّي التّوراة تعرية تامة، ولعل هذا هو سبب تجاهل العلماء والباحثين له، بل ورفضه، لأنَّ حزقيال يضعنا أمام واقع مذهل، بل ومزعج لبعضهم[2].

ولهذا السّبب ضاع الكثير من العلماء في محاولة تفسير بعض طلاسم التّوراة مستشهدين في ذلك بطلاسم أخرى، ومن الأمور التي عَرَّاها حزقيال الجنة، فقد وصفها وصفاً ينطبق على جنوبي العراق، ولم يكن لهذا الموقع أية علاقة مع وصف قصة التّكوين، ومن الأمور التي عَرَّاها أيضاً وصف جبل الله في التّوراة، فقد وصف وصفاً خيالياً لا يتفق على الإطلاق مع وصف جبل في سيناء، وجبل الله الذي ذكره حزقيال يصف أحد المواقع الفينيقية البركانية في حوض المتوسط التي سَمَّاها جبل الله، لما كانت تبعثه في نفوسهم من رهبة وخوف؛ وقد كنتُ (تكلَّم ملك صور) في جبل الله المقدس، وتمشَّيتُ في وسط حجارة النّار. حزقيال 28/ 14/ .

لقد أخذوا الاسم والوصف من حزقيال، ثم وضعوا الجبل في الصّحراء؛ حيث لا بركان ولا حجارة من نار.

ومن الأمور التي فيها عَرَّى التّوراة تفسير الجلد، وهو قبة الفضاء التي تراها العين، تجاهلوا حزقيال فضاعوا في تفسير الجَلَد التي توّج بها سفر التّكوين.

(وقال الله: ليكنْ جَلَدٌ في وسط المياه، وليكن فاصلاً بين مياهٍ ومياهٍ، فعمل الله الجَلَدَ، وفَصَلَ بين المياه التي تحت الجَلَد والمياه التي فوق الجَلَد، وكان كذلك، ودعا الله الجَلَد سماءً. تكوين 1/ 6 ـ 8/ .

ومن الأمور التي عَرَّى بها حزقيال التّوراة محاسبة الأبناء عن الآباء، فقد رفض هذه الفكرة 18/ 1 ـ 4/ ، وقال: كل إنسان مسؤول عن نفسه لا عن أعمال غيره.

---

(1) سهيل ديب، التّوراة تاريخها وغاياتها، ص41.

(2) سهيل ديب، التّوراة تاريخها وغاياتها، ص48.

فهل حزقيال أراد إرجاع التّوراة كما كانت أيام موسى أم أنَّه حرّف كما حرّفت التّوراة؟

بقى حزقيال حجر الزّاوية في تكوين الفكر اليهودي.

ويرى سبينوزا أنَّ سفر حزقيال الموجود ليس إلا شذرة من كتاب أكبر، فقد ذهب منه الكثير، ولم يصلنا منه إلا القليل.

ومن البدهي أنَّ سفر حزقيال لم يُكتب إلا بعد أيام السّبي.

22 ـ سفر دانيال:

وكتاب دانيال من الكتب المشكوك بصحتها، كما هو مشكوك بحقيقة وجود دانيال نفسه، ولعلَّ مؤلف كتاب دانيال كان يرمز إلى واقعة تاريخية تجلّى فيها سخط فئة من اليهود ضدّ حُكّامهم في عهد الملوك المكابيين، إذ ثارت فئة من اليهود حوالي **168** ق. م، ضدّ حكامهم عندما فقدوا أملهم بالحصول على الوعد.

ويرى العلماء أنَّ هذا السِّفر قد كُتب في القرن الثّاني ق. م بين **167 ـ 164**، لا في القرن السّادس ق. م، في سني السّبي. ويمكن أنْ يكونوا قد سرقوا اسم دانيال من الاسم الكنعاني في ملحمة خاصة عُثر عليها برأس الشّمرة. يرتبط هذا الكتاب ارتباطاً وثيقاً بزمن المكابيين، فإنَّ مؤلفه كتبه حوالي السّنة **164** ق. م، ويُدرجه الكتاب المقدس اليهودي بين الكتابات، ويدرجه الكتاب المقدس اليوناني بين الأنبياء، ويُستخدم في الكتاب فَنَّين أدبيين مختلفين:

1 ـ القصص التّقوية أو الفكاهة السّوداء **1 ـ 6**: كان إسرائيل مسحوقاً تحت وطأة انطيوخس، كما كان مسحوقاً قبل ذلك تحت وطأة البابليين والميديين والفرس واليونان، بما فيهم اللاجيون والسّلوقيون.

وكان يشعر بضعفه أمام ذلك العملاق، فقال دانيال: لا تخف فإنَّه عملاق رجلاه من طين، وإذا بحجر خفي ينفصل عن الجبل، ويُحوِّله إلى تراب، فالله لا سيف المكابيين هو الذي سيضع حدّاً للتّاريخ فيقيم ملكوته.

2 ـ رؤيا **7 ـ 12**: رأينا أنَّ الكاتب وضع كتابه في السّنة **164**، إلا أنَّه يتظاهر بأنّه يكتب في زمن اضطهادات آخر زمن الجلاء قبل ذلك بأربعة قرون، ويُطلق على نفسه دانيال، وهو اسم بطل وثني كنعاني ذكره حزقيال. **14/ 14**.

3 ـ قيامة الأموات 12/ 1 ـ 4 : هذا النّص أول نصّ من الكتاب المقدس يعرض لنا بوضوح أمر الإيمان بقيامة الأموات، ولم تكن رؤية حزقيال 37 إلا صورة لقيامة الشّعب، أما هنا فالمقصود هو القيامة الشّخصية، وهذا النّص يُعبِّر بوجه مختلف عما أثبت دانيال[1].

ويرى سبينوزا أنَّ سفر دانيال مأخوذ من كتب الأخبار الكلدانية، ولا علاقة له باليهود لا من قريب ولا من بعيد.

وسفر عزرا يرتبط بسفر دانيال بحيث يسهل إدراك أنَّ كاتبهما واحد استمر في كتابته تاريخ اليهود منذ وقوعهم في الأسر الأول[2].

أما عن لغة هذا السِّفر فقد قال صاحب مقدمة اليسوعية: (إنَّ مؤلفاً ملهماً لم يترك لنا اسمه قد ضمَّ إلى هذه الصّورة الشّهيرة عن الماضي عدة رؤى ذات إنشائي وروائي، لقد كتب هذا السِّفر في ثلاث لغات العبرية والآرامية واليونانية، وهذا يعني أنَّ السِّفر قد أُدخل فيه عدة تقاليد سابقة، ويظهر أنَّ السِّفر في صفته النّهائية قد اكتمل في أيام اضطهاد انطيوخوس بيفان).

لاحظ الباحثون في نصوص الكتاب المقدس أيضاً أنَّ سفر دانيال في لغته الأصلية مكتوب بلغتين هما العبرية والآرامية، تتواليان الواحدة تلو الأخرى على طول السّياق وهذه الظّاهرة نجدها في سفر عزرا، الدِّين اليهودي ص54، ويرى بعض الباحثين أنَّ سفر دانيال قد طرأت عليه أحداث معينة انتهت بتركه على الصّورة التي وصلنا بها، وفي هذا الصّدد يظهر أكثر من افتراض، وأقرب هذه الافتراضات إلى واقع هذا السِّفر يأتي من أنَّ حديثه عن الكلدانيين وعن الإمبراطورية الفارسية ينمُّ عن علم مضطرب بهما وعن فاصل زمني لا يُستهان به، وهو الذي أحاط الحديث في تلك الموضوعات بما يبدو فيه من خلط واضطراب، وبالعكس نشعر في أواخر هذا السِّفر خصوصاً وابتداءً من الإصحاح الثّامن بأنَّ المتحدث يعرف بدقة أحوال الإمبراطورية اليونانية، ولهذا؛ يمكن أنْ نقول إنَّه قد كُتب متأخراً في مرحلة ما من العصر اليوناني لوجود كثير من الكلمات اليونانية فيه، فقد حذف من النّسخة العبرانية، أو زيد على النّسخة اليونانية.

1 ـ الإصحاح الثّالث زيد بين 23 ـ 24 ثمانيا وستين آية.

---

(1) الأب شربانتيه، دليل، ص90 ـ 91.

(2) الدكتور شرقاوي محمد عبد الله، مقارنات في الأديان، ص88.

2 ـ أُضيفت الإصحاحات الثّالث عشر والرّابع عشر، ونُقلت الزّيادة عن ترجمة ثاودوسيون.

وسنورد بعد ذلك مختصراً لكتب الأنبياء الاثني عشر.

1 ـ هوشع:

يتألف من أربعة عشر إصحاحاً، يقول صاحب الطّبعة اليسوعية: لقد تألم هوشع من جرّاء زوجته، ولكنه غفر لها بعد أنْ امتحنها، وهذا الاختيار الأليم قد أصبح فيما بعد رمزاً لتصرف يَهْوَه تجاه شعبه، فالشّعب المختار يشبه بعبادته الآلهة الوثنية، زوجة خائنة لكنّ الله لا يزال يحبه، فإنَّه سوف يعاقبه، ولكنْ؛ ليرده إليه[1].

ولا أدري لماذا اختار هوشع هذا الزّواج الزّاني، ورغم أنَّ السِّفر يُسمِّي الأبناء يزرعيل ولورحامة ليحاسب إسرائيل، ولا يرحمهم، والطّفل الثّالث لوعمي ليسوا شعبي، والسِّفر يتألف من أربعة عشر فصلاً أو إصحاحاً، ويُبشِّرُ النّبي بسقوط السّامرة وعدم رحمة الله لشعبها.

2 ـ يوئيل:

يُبَشِّرُ يوئيل برجوع السّبي إلى فلسطين، فهو إذن من أبناء السّبي، ويرى في رؤياه أنَّ الجراد سيقتحم أراضي يهوذا، وقد فسَّرها جماعة المسيحيين بأنَّهم المسيحيون الذين يملؤون الأرض، ولكنني لا أرى هذا الرّأي، وأرى أنَّه يبشر بخراب الأمم الأخرى، وهو في قمة عنصريته حينما يُخرِّب مصر وجيرانها.

ويقول زياد منى: (وهناك بعض أهل الاختصاص مَنْ يرى أنَّ السِّفر يعود إلى الرّابع ق.م، ومن البراهين المقدمة دعماً لذلك أنَّ الإصحاح الثّاني يتحدث عن هجوم الأمم على أورشليم وتدميرها، وكذلك عن وجود سور لها.

والحجة الثّانية هي وجود المفردة الأوغاريتية هسلح في التّرجمة العربية، الأسلحة في النّص، ورغم قدم هذه المفردة فلم ترد إلا في النّصوص التّوراتية المتأخرة)[2].

---

(1) المقدمة اليسوعية، ص686.

(2) منى زياد، جغرافية العهد القديم، ص42.

3 ـ عاموس:

آمن عاموس بأنَّ العقاب أرضيٌّ، وستحلُّ العقوبة ببني إسرائيل بالغزو الآشوري لأنَّ بني إسرائيل جاؤوا عن طريق الله.

وعاموس ليس من طبقة الأنبياء ولا الكُهَّان، وإنَّما كان راعياً. وسفر عاموس يتألف من تسعة إصحاحات، وكما يتبين أنَّ هذا النّبي كان معاصراً إيليا أو اليشع، ولكنه على الأغلب لم يلتق بهما.

4 ـ يونان:

يونان سفر يتكلّم عن نبي الله يونس، وقد حُرِّف الاسم إلى يونه أو يونان، وهو رسول إلى نينوى عاصمة الآشوريين، والسّؤال الآن كيف ينطلق نبي يهودي إلى هداية البشر من غير بني إسرائيل؟ لا أعتقد هذا، ولهذا لا أرى أنَّ يونان من بني إسرائيل.

وبطل هذه الرّواية الرّائعة أرسله الله ليعظ نينوى، ولكنَّ يونان رأى نفسه غير أهلٍ لهذه الرّسالة، فأراد أنْ يهرب إلى الغرب في البحر في عنبر السّفينة، فأُلقي في البحر، وابتلعه حوت، ثم نجا، فقذفه الحوت إلى الشّرق، وذهب يونان. وعند وصوله إلى نينوى أعلن أنَّ الله سيدمر المدينة وكان مسروراً بذلك، لكنَّ السّكان تابوا، فلم يهلكهم الله.

والحقيقة إنَّ قصة يونس غير هذه، لأنَّ الحقد اليهودي داخل في تركيب القصة التّوراتية، فقد دعا يونس أهل المدينة، ولم يستجيبوا إليه، فهاجر وهو ظان أنَّ الله سيوقع بهم، هاجر من قبل أنْ يُؤذَنَ له، فالتقمه الحوت، وقذفه، ليعود من جديد، فيرى أهل المدينة قد تابوا، وأعلنوا إيمانهم بالله بعد ذهابه.

ويرى الكثرة من علماء المسيحية أنَّ هذا السِّفر قد سُجِّل في فترة أحدث من القرن الرّابع قبل الميلاد، ولهذا؛ فتسجيله تمَّ بعد الرّجوع إلى القدس.

5 ـ ميخا:

أحد الأنبياء الصّغار الذين وُجدوا في العهد ما قبل انهيار الملكية كما يُحَدِّث السِّفر ذاته، وسفره يتألف من سبعة فصول، وهو كما أراه من أنبياء ما بعد السّبي، إذ أنَّه يُبَشِّرُ بمجيء

المخلِّص، وفكرة المخلِّص كما عرفنا جاءت بعد اتصال بني إسرائيل بالفرس، ولـهذا؛ أرى أنَّ هذا السِّفر لم يُسجَّل إلا في العهد الفارسي.

6 ـ سفر ناحوم:

من الأنبياء الصّغار، ويرى أنَّ نينوى سَتُدَمَّر، وهو يحمل الحقد والكراهية عليها، فهو نبي من أنبياء إسرائيل لمملكة الشّمال، وربما كان من أسرى الآشوريين، وسفر ناحوم ثلاثة فصول، فهو سفر صغير.

7 ـ حبقوق:

يتألف من ثلاثة فصول، فهو سفر صغير كشأن سابقه ناحوم. وهو معاصر لإرْمِيَا، غير أنَّه لم يتصدَّ لمشكلة هجوم البابليين، كما تعرَّض له إرْمِيَا، ولم نعرف هل سُبِيَ كحزقيال أم مات قبل السّبي وقبل هجوم بختنصر على القدس؟

8 ـ صفنيا:

ومن الجدير بالذّكر أنَّ اسم والد صفنيا لم يكن من بني إسرائيل، فاسمه كوشي، فهو صفنيا بن كوشي بن جوليا، ولا أدري كيف دخل هذا الاسم إلى التّوراة وأذهان أصحابها، يتألف هذا السِّفر من ثلاثة فصول، فهو من الأنبياء الصّغار، وهو معاصر لأيام يوشيا، فهو في وقت كان الملك فيه إصلاحياً. ولكنَّ نبوءته لا تدلُّ على ذلك، ولهذا؛ أرى أنَّ هذا السِّفر قد سُجِّل بعد ذلك بزمن طويل.

9 ـ حجي:

من أنبياء ما بعد العودة في أيام زر بابل بن شالتئيل وعزرا، وقد أعان عزرا على تسجيل أخبار الأيام الأول، وسفره يتألف من فصلين، فهو أقصر الأسفار قاطبة.

10 ـ زكريا:

هو وحجي ساعدا عزرا في كتابه أخبار الأيام، وسفره أكبر من سفر حجي، فيتألف من أربعة عشر فصلاً، وقد بَشَّرَ بإصلاح داخلي، وحضَّ الشّعب على بناء الهيكل.

11 ـ ملاخي:

يتألف سفره من أربعة فصول. وُجد حوالي 450 ق.م، ومَهَّدَ للإصلاح الدِّيني اليهودي الذي قام به نحميا وعزرا، فهو ركيزة من ركائز الفكر اليهودي.

وقد طالب ـ كما طالب عزرا ـ بفسخ الزّيجات من غير اليهوديات، سواء كان الزّوج من الكَهَنَة أم من الشّعب عامة. ويرى في يوم القيامة يوم يَهْوَه الذي سيحاسب فيه الأمم جميعها ما عدا شعبه، وسيؤمن النّصر له على أعدائه.

12 ـ عوبديا:

سفر عوبديا يتألف من فصل واحد تَوجَّه لأدوم، وهذا التّوجُّه ليس غريباً، إذ أنَّه يحاول إثارة العالم ضدّ أدوم، ويَعُدُّ نفسه كداود صغيراً أمام جوليات العملاق، ويُهدِّد أدوم لأنَّهم فرحوا بزوال دولة إسرائيل ويهوذا، وهو يرى أنَّ الدَّينونة يوم يحاسب يَهْوَه البشر كلهم ويُثيب بني إسرائيل، وهذا النّبي من أنبياء فترة الأسر.



الفصل الثّاني

التّوراة والأخلاق

موضوع شائك جداً ولكننا يمكن أنْ نناقش هذا الفصل ضمن النّقاط التالية:

أ ـ القيمة الخُلُقية للكتاب المقدس.

ب ـ يَهْوَه والأخلاق.

جـ ـ رجال ومواقف.

أ ـ القيمة الخُلُقية للكتاب المقدس:

لا أعتقد أنَّ كتاباً دعا إلى مباذل الأخلاق والانحلال الخُلُقي كما دعا إليها ما يدعونه بالكتاب المقدس، وسأنقل إليك نصاً من نشيد الإنشاد لأريك سُمُوَّه الخُلُقي وإلى أي مدى انحدر هذا الكتاب من التّصوير للأدب المكشوف.

(هاأنتِ جميلةٌ يا حبيبتي، هاأنتِ جميلةٌ، عيناكِ حمامتان من تحت نقابكِ، شَعركِ كقطيع معزٍ رابضٍ على جبل جلعاد، أسنانكِ كقطيع الجزائز الصّادرة من الغسل اللواتي كل واحدة مِتئِمٌ وليس فيهنَّ عقيم، شفتاكِ كسلكة من القرمز، وفمكِ حلوٌ، خَدُّكِ كفلقةِ رمانة تحت نقابكِ، عنقكِ كبرج داود المبني للأسلحة، ألف مجن عُلِّق عليه كلها أتراس الجبابرة، ثدياكِ كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السّوسن، كُلُّكِ جميلٌ يا حبيبتي ليس فيكِ عيبةٌ)[1].

هذا الكتاب الذي يُنشر في أسفاره كلها قصص العهر والغدر والزّنى حتى بأقرب المحرمات وأشدهن غلظة.

---

(1) نشيد الإنشاد، 4/ 1 ـ 7/.

هذا الكتاب الدّاعي إلى الغدر والنّذالة، إلى القتل والتّوحش، إلى عدم الوفاء بالعهد واحتقار بني البشر كيف يمكن أنْ يكون رحمة للعالمين كما لدينا في القرآن الكريم؟! (والملاحظ أنَّ أبطال التّوراة من أنبياء وكَهَنَة وملوك أو الأحبار الذين حَرَّرُوها لم يكن في نفوسهم وعيٌ أخلاقيٌّ قادر على السُّمُوِّ بالخالق، وتنزيهه عن الشّخص والصّفات الملازمة له، فلا عجب أنْ خلعوا عليه صفات البشر، والأدهى من ذلك أنَّها غير لائقة، أو غير مستحبة، وأحياناً مُستقبحة، فهو في مفهومه ليس معصوماً عن الوقوع في الغلط، أو ارتكاب الخطأ؛ من ذلك مثلاً أنَّه يطلب إلى أتباعه حين كانوا متغربين في مصر أنْ يصبغوا أبواب بيوتهم بالدّم لكي لا يُهلكهم خطأ مع المصريين الذين يريد إهلاكهم)[1].

هذا الكتاب الذي سَجَّله أناسٌ لا يقيمون للأخلاق أي وزن، فكيف ترى في كتابهم ما تستفيد منه خُلُقياً، والشّرائع الأرضية تستقي أحكامها عادة من أخلاق النّاس، ومن أنماط حياتهم وتقاليدهم، ومن ظروف المجتمع السّياسية والاجتماعية؟!

والواقع أنَّ التّوراة تنطوي على تفصيلات مدهشة لما قارف الأنبياء الملوك من منكرات ورذائل، وما تردَّى فيه بنو إسرائيل عامة من مخاز وفجور، فلا تؤثم مجترحها، وإنَّما تغضي عنها إغضاء مقصوداً يوحي بإقرارها، ومن ثم المثالب والنّقائض التي يلصقها مُحرِّرُو التّوراة بهؤلاء الآباء والأنبياء والملوك، ما يضفي عليهم من سابغات من سوء انحلال كالختل والخداع والغدر والكذب، بل ومن صنوف الدّنس ما يندى له وجه الفضيلة. وماذا لو أُسند بعضه إلى السّوقة، وجهله العوام لحقَّت عليهم اللعنات، ولباؤوا بالخزي والعار، إنَّ هذا الكتاب لا يمكن لقارئه أنْ يخرج منه أنَّه يدعو إلى أية قيمة خُلُقية مهما صغرت؟!

ومن المفروض أنَّ الدِّين ينمي الوازع الخُلُقي في الإنسان، كيف لا وقد قال الرّسول العربي: ﴿ إنَّما بعثتُ لأُتَمِّمَ مكارم الأخلاق ﴾. الدِّين يرعى الفضائل الاجتماعية، ويدعو إلى الأخلاق القويمة، وإلى إشاعة المحبة والوئام ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبّ لنفسه ﴾. ويساعد على إقامة علاقات إنسانية فاضلة ﴿ المسلمُ مَنْ سَلِمَ النّاسُ من لسانه ويده ﴾، وأنْ يترجم عن المثل العليا والمقومات الخُلُقية التي تضمن للمجتمع كيانه الخلقي والرّوحي.

---

(1) كنعان جورجي، تاريخ يَهْوَه، ص196.

ومن الواجب أنْ يُعَدَّ الدّين مصدراً للسّلوك في الحياة الفردية والاجتماعية، وامتثالاً للتّعاليم الأخلاقية التي تحكم سلوك البشر قبل أنْ يكون عبادة للخالق، أو تعبيراً عن الأمل بحياة خيِّرة على الأرض وثواب على الآخرة.

إنّي رأيتُ في التّوراة صوراً من الفسق والفجور والخبث والغدر والحقد والختل والدّهاء والعبث، بكل القيم الإنسانية، ومواقف صارخة من المثالب الاجتماعية والمباذل الجنسية يحمر منها وجه الإنسان حياءً لدى قراءته عنها أو سماعه لها، وتأخذه دهشة صاعقة حين يعلم أنّها محفوظة بين دفّتيْ كتاب مقدس.

وخلاصة القول إنَّ القيم الخُلُقية تختفي كلياً من شرائع التّوراة، والشّرع التّوراتي لم يهتم بالأبعاد الخُلُقية والصّلات الاجتماعية، ولم يلتفت إلى مشاعر النّاس مطلقاً، ولا إلى مشكلاتهم كما يبدو من شرائع التّوراة التي تدور حول طقوس خاصة وشرائع معينة كانوا يرون فيها وسيلة يستطيع اليهودي أنْ يكسب بها رضا ربه.

ويقول جورجي كنعان في هذا الصّدد: (أما الجانب العميق من الدِّين فهو بالنّسبة إليه كتاب مغلق، فهو يغفل عن الجوهر في الدِّين القيم والفضائل والمفاهيم الاجتماعية، كما أنّه لا يسبر على الإطلاق أغوار مشكلات الخلود وأصل الشّر، تلك المشكلات التي أثارت النّفوس المتسائلة عنها في جميع العصور، لقد كان المُشَرِّع التّوراتي ـ باستغراقه في تفاصيل الطّقوس التّافهة، وولعه بالتّقويم والأنساب والتّواريخ والأرقام، واهتمامه على الجملة بالهيكل العظمي للتّاريخ أكثر من اهتمامه بدم هذا التّاريخ ولحمه ـ كان أشبه بأحد الرّهبان المؤرِّخين في العصور الوسطى الذين كانوا ينظرون إلى الحياة العريضة من خلال كوة صومعة الدّير أو من خلال زجاج نافذة الكاتدرائية ذي الألوان المتعددة)[1].

وسترى أيها القارئ في كتاب التّوراة فصولاً من الغدر، أتقن بنو إسرائيل صياغتها وتنفيذها في حروبهم المقدسة مع أصحاب الأرض، من هذه الفصول مثلاً غدر أبناء يعقوب بأهل مدينة شكيم وياعيل؛ يضيفها يابين وداود في قائده أوريًا الحثِّي. فارجع إلى سفر القضاة 3/ 14 ـ 21/ ، وقضاة 4/ 2 ـ 21/ وسترى الحقد والتّشفي والكذب والغدر والخيانة مبثوثة بين

(1) كنعان جورجي، تاريخ يَهْوَه، ص243.

دفّتيْ الكتاب، أما قيمة الإنسان الأممي في التّوراة فمآله القتل بالنّوارج والمناشير، وكأنّهم حيوانات تُروَّض، والحيوان الشّرس الذي لا يقبل التّرويض يُقتل، ويُقطع جسمه بالسّكاكين، وكم من مرة غضب يَهْوَه لأنَّ جماعته لم يُنَفِّذُوا القتل الجماعي بأهل الأرض. فارجع إلى صموئيل وأجاج وسفر الأخبار الأول 20 ـ 3، ويشوع 10/ 16، وسفر الملوك الثّاني 3/ 19.

وكأنَّ مُحَرِّري التّوراة لم يكونوا يتوقعون أنْ يقرأ هذا الكتاب أحدٌ من البشر لما ضمنوه من المباذل، ولا أنْ يصبح أساساً لشريعة، ولا منهلاً لأجيال واعدة ستتربّى على هذا الخُلُق الرّفيع الذي يبثّه الكتاب.

لهذا؛ حشروا فيه ما أمكنهم من الرّذائل، وحوادث الزّنى، وأساليب الدّعارة، والفسق العلني، والانحلال الخلقي، والشّهوة البهيمية، ولعل هذا الصّدق في سرد المنكرات، والتّعبير عن أحطّ المفاهيم الأخلاقية هو أجلّ ما قدّمه أولئك الكَتَبَة عن بني قومهم الذين لم يكن فيهم مَنْ يتأبى على خطيئة، أو يترفع عن إتيان الفاحشة، أو قل إنَّ ارتكاب مثل هذه الفواحش كان عندهم من الأمور المألوفة والمستحبة.

وكأنَّ حياة الذّل التي عانوها حينما كانوا في مصر وفي عهد السّبي البابلي، والتّبعية للفرس واليونان والرّومان قد عمّق فيهم الشّعور بالذّلّ، فكرهوا البشرية، وحقدوا عليها، ولم يبق ما يبردون به غلة الحقد إلا الانتقام من البشرية كافة، وقد أجادوا النّفاق للقوي، فبذلوا له ماء الوجه والحياة، وسلّطوهم على الأعراض، فبذلوا لهم النّساء مثل سارة ورفقة واستير ويهوديت.

(يضاف إلى هذا أنَّ السّياق الذي وردت فيه الأمثلة المتعددة للانحلال الجنسي يشير إلى أنَّ ربّ بني إسرائيل كثيراً ما كان يقف من ذلك الانحلال موقفاً مزدوجاً يجمع بين اتجاهين متعارضين في الوقت نفسه؛ الإباحة والتّحريم، الإدانة والاعتذار، فبينما كان يعلن إنكار السّلوك الجنسي المبتذل إذ بهذا الإنكار يُصاغ فيما يشبه الاعتذار لصاحبه والتّمجيد لشخصه)[1].

(1) كنعان جورجي، تاريخ يَهْوَه، ص86.

ويتساءل الدكتور البار عن الأخلاق في التّوراة:

(هل يمكن أنْ يكون التّوراة والعهد القديم كتاباً يدعو إلى السُّمُوّ الرّوحي والدِّيني والأخلاقي؟ إنَّ هذا الكتاب «العهد القديم» بما فيه أسفار التّوراة الخمسة كتاب على العكس من كل ذلك، يقول إرنست بيفن: إنَّ العهد القديم هو أشدّ الكتب بُعْداً عن الأخلاق، وقال عن اليهود: ماذا تتوقع من شعب تربَّى منذ المهد على أقوال التّوراة؟! والعهد القديم كتاب لا يدعو إلى السُّمُوّ الرّوحي والدِّيني والأخلاقي، بل يدعو إلى صلة خاصة بين يَهْوَه وابنه البكر إسرائيل، وهو كتاب يدعو إلى القسوة والقتل وسفك الدّماء في كل سفر من أسفاره، وبخاصة سفر يشوع الذي يمكن أنْ يُطلق عليه سفر المجازر)[1].

ولعل سائلاً يتساءل ما نوع هذه الأمة التي خَلَّفت هذا الكتاب؟ أقول: خير مَنْ يردّ على هذا نبي من أنبيائهم هو يوئيل:

«اصحوا أيها السّكارى، وابكوا، ووَلْوِلُوا يا جميع شاربي الخمر على العصير، لأنَّه انقطع عن أفواهكم». يوئيل 1/ 5.

«الزّنى والخمر والسُّلافة تخلبُ القلبَ، شعبي يسأل خشبهُ وعصاهُ تخبره لأنَّ روح الزّنى قد أضلَّهم، فزنوا من تحت إلههم. لذلك تزني بناتكم، وتفسق كنَّاتكم، لا أعاقب بناتكم لأنهنَّ يزنينَ ولا كنَّاتكم لأنهن يفسقنَ، لأنَّهم يعتزلون مع الزّانيات، ويُذبحون مع النّاذرات الزّنى، وشعبٌ لا يعقل يُصرَع». هوشع 4/ 11 ـ 14.

إنَّهم يزرعون الرّيح، ويحصدون الزّوبعة، زرعٌ ليس له غلّة لا يصنع دقيقاً، وإنْ صُنع فإنَّ الغرباء تبتلعه.

قد أحاط بي أفرايم بالكذب، وبيت إسرائيل بالمكر، ولم يزل يهوذا شارداً عن الله وعن القدوس الأمين. هوشع 11/ 12.

بغضتُ، كرهتُ أعيادكم، ولستُ ألتذُّ باعتكافاتكم. عاموس 5/ 21.

---

(1) البار محمد علي، المدخل لدراسة التّوراة، ص17.

(حقاً إنَّ التّوراة كتاب مُسَلٍّ عندما يُقرأ بانتباه، وإنَّ يَهْوَه الإله الوحيد الذي غالباً ما يزلُّ لسانه ويتحدث عن وجود آلهة أخرى، فهو دائم الثّرثرة بما يجب التزام الصّمت حياله، إضافة إلى هذا يعجز ـ وهو الكُلّي القدرة ـ على تنفيذ القرار الذي اتخذه هو نفسه بإعدام آدم وحواء. تخيلوا لو كان جدّانا يتمتعان بقدر كاف من الفطنة وحيوية الرّوح، إذاً؛ لأصبحنا خالدين على الرّغم من معارضة يَهْوَه، لذلك كان لابُدَّ أنْ يكون قد هنَّأ نفسه عندما تذكر الشّجرة اللعينة في الوقت المناسب)[1].

فإذا كان الإله كاذباً وينسى ما قاله فأية قيمة خالدة لهذا الكتاب الذي صور الإله على هذا النّحو، وأية قيمة لكتاب يضجُّ بسفاح القربى، أي الزّنا بالأخت والأم واللواط والمساحقة، ومواقعة البهائم؟! وأريد لدى بني إسرائيل ـ كما عند كل ذي غلمة ـ خلط أفظع الملاذ بالطّقوس وموافقة الشّريعة على هذه الملاذ، فغدت ضروب البغاء تكريماً لعشتروت، وعُدَّ الإنهاك في السُّكر على بساط الأزهار وتحت ظلال شجر الزّيتون في الليالي الرّطبية نوعاً من العبادة.

وما في الإصحاح الثّامن عشر من سفر اللاويين من المحظورات كسفاح ذوي القربى واللواط ومواقعة الرّجال والنّساء والبهائم وما إلى ذلك من الأمور التي لم يحرمها معظم الشّرائع لعدم فائدة النّص على ذلك ليدلّ على درجة غلمة الشّعب اليهودي[2].

ب ـ يَهْوَه والأخلاق:

لن أتحدث عن أخلاق يَهْوَه فهي أخلاق الشّعب اليهودي، وإنَّما سأتحدث عن موقف يَهْوَه من الشّعوب الأخرى، ودرجة أخلاقيته معهم. فإذا كان يَهْوَه خالق الكون والأمم والشّعوب كما يدَّعون، فإنَّه سيكون إله العالمين بدون استثناء، ولن يكون إلهاً لشعب دون شعب، وإنَّما يحاول هداية الضّالين من الأمم الأخرى، وقد حاول كَتَبَةُ اليهود أنْ يجعلوه كذلك، ولكنَّ حقدهم الدّفين حال دون الأمر، فجعلوه إلهاً متعصباً، وجعلوا أنفسهم الشّعب المختار، ولا يرضيهم إلا إبادة الشّعوب الأخرى، ولهذا؛ جعلوه لا يرضى إلا برضاهم، وكم من فارق بين يَهْوَه كما صُوِّرَ في التّوراة وبين الله ربّ العالمين، بقوله تعالى لرسوله الكريم:

---

(1) ليوتاكسيل، التّوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير؟ ص38.

(2) غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات، ص51.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وكان نداؤه في القرآن الكريم للنّاس ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [1]، أفيعقل أنْ يكون يَهْوَه بصفاته الدّنيئة كَمَنْ يدعو إلى الأخلاق الحسنة والمساواة بين العالمين. ﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [2].

وسنأخذ بعض الأمثلة على أخلاقية يَهْوَه ومعاملته للشّعوب الأخرى:

- تثنية 7/ 1 ـ 2/ : متى أتى بك الرّبّ إلهك إلى الأرض التي أنت داخلٌ إليها لتمتلكها، وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثّيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزّيّين والحوّيين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك، ودفعهم الرّبّ إلهك أمامك وضربتهم فإنّك تحرّمهم، لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم.

- تثنية 7/ 21/ 24/ : لا ترهب وجوههم لأنَّ الرّبّ إلهك في وسطك إله عظيم ومخوف، ولكن الرّبّ إلهك يطرد هؤلاء الشّعوب من أمامك قليلاً قليلاً، لا تستطيع أنْ تفنيهم سريعاً لئلا تكثر عليك وحوش البرية، ويدفعهم الرّبّ إلهك أمامك، ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا، ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السّماء، لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم.

- يشوع، 6/ 17 ـ 21/ : فتكون المدينة وكل ما فيها محرماً للرّبّ...

وأما أنتم فاحترزوا من الحرام لئلا تُحرِّموا وتأْخذوا من الحرام، وتجعلوا محلّة إسرائيل محرَّقة وتكدّروها...

وصعد الشّعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة، وحرَّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السّيف.

---

(1) سورة الحجرات / 13/ .

(2) سورة الملك / 22/ .

ـ يشوع 8/ 28 ـ 29/ : وأحرق يشوع عاي وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى هذا اليوم، وملك عاي علّقه على الخشبة إلى وقت المساء، وعند غروب الشّمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة، وأقاموا عليهم رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم.

ـ صموئيل أول 15/ 1 ـ 3/ : وقال صموئيل لشاول: إياي أرسل الرّبّ لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل، والآن فاسمع صوت كلام الرّبّ، هكذا يقول ربّ الجنود: إنّي قد افتقدتُ ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطّريق عند صعوده من مصر، فالآن اذهبْ، واضربْ عماليق، وحَرِّموا كل ما له، ولا تعفُ عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً.

ـ صموئيل أول 15/ 10 ـ 23/ : وكان كلام الرّبّ إلى صموئيل قائلاً: ندمتُ على أني قد جعلتُ شاول ملكاً لأنّه رجع من ورائي ولم يُقم كلامي، فاغتاظ صموئيل، وصرخ إلى الرّبّ الليل كله، فَبَكَّر صموئيل للقاء شاول صباحاً، فأُخبر صموئيل، وقيل له قد جاء شاول إلى الكرمل، وهو ذا قد نصب لنفسه نصباً، ودار وعبر ونزل إلى الجلجال، ولما جاء صموئيل إلى شاول قال له شاول: مبارك أنت للرّبّ، قد أقمتُ كلام الرّبّ، فقال صموئيل: وما هو صوت الغنم هذا في أذنيَّ، وصوت البقر الذي أنا سامع؟ فقال شاول: من العمالقة قد أتوا بها لأنَّ الشّعب قد عفا عن خيار الغنم والبقر لأجل الذّبح للرّبّ إلهك، وأما الباقي فقد حَرَّمناه.

فقال صموئيل لشاول: كُفَّ فأخبرك بما تكلّم به الرّبّ إلي هذه الليلة، فقال له: تكلّم، فقال صموئيل: أليس إذ كنتَ صغيراً في عينيكَ صرتَ رأس أسباط إسرائيل، ومسحكَ الرّبّ ملكاً على إسرائيل، وأرسلك الرّبّ في طريق، وقال: اذهبْ، وحَرِّم الخطاة عماليق، وحارِبْهم حتى يفنوا، فلماذا لم تسمع لصوت الرّبّ، بل ثرتَ على الغنيمة، وعملتَ الشّرَّ في عيني الرّبّ؟ فقال شاول لصموئيل: إنّي قد سمعتُ لصوت الرّبّ، وذهبتُ في الطّريق التي أرسلني فيها الرّبّ، وأتيتُ بأجاج ملك عماليق وحَرَّمتُ عماليق، فأخذ الشّعب من الغنيمة غنماً وبقراً أوائل الحرام لأجل الذّبح للرّبّ إلهك في الجلجال. فقال صموئيل: هل مسرَّة الرّبّ بالمحرقات والذّبائح، كما باستماع صوت الرّبّ، هوذا الاستماع أفضل من الذّبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش، لأنَّ التّمرُّد كخطية العرافة، والعناد كالوثن والتّرافيم، لأنك رفضتَ كلام الرّبّ؛ رفضك من الملك.

هذا هو يَهْوَه دراكولا الماضي، مصّاص الدّماء، عدو البشرية، ينسى، يندم، يغضب، يفرح، يحزن، يتعب، يحبّ العري، ويكذب، أفبعد هذا الإله شيء ما؟!

ويظهر أنَّ مُدَوِّني التّوراة شعروا بأنَّ أوامر يَهْوَه بإبادة الكنعانيين من غير ذنب اقترفوه، أمر لا يقبله عقل، ولا يفرضه منطق، فلجؤوا إلى حيلة يُبَرِّرون بها جرائمهم، فجعلوا لعنة نوح تشمل نسل كنعان كله، ولعنته تعني الحرمان من حق الحياة، ولذلك تبقى جراثيم الحقد العنصري ترتع في هذا الوعاء الرّبّاني الخصب على مدى السّنين وإلى نهاية الدّهور[1].

وإذا كانت اللعنة على كنعان، فلماذا لم يبده يَهْوَه مباشرة، وترك نسله ليُعاقب؟! ألم يقل لهم: لا أعاقب الأبناء من أجل الآباء؟! فأي إله هذا يتناقض في كتابه وفي أقواله وأواصره.؟!

حسبي ما سقتُ هذا من أجل يَهْوَه لأنني ناقشته مناقشة واسعة في صفات يَهْوَه، وذلك في كتاب مستقل بذاته[2].

جـ - رجال ومواقف:

هناك رجال اتخذوا الدِّين ذريعة ليتوصلوا إلى أغراضهم ومآربهم الشّخصية، والأغرب من ذلك أنَّهم يعدّون أنفسهم حَمَلَة الأخلاق السّامية، (جاء في المذكرة التي رفعها المؤتمر اليهودي الأميركي (فيلادلفيا) 17 كانون الأول 1918، إلى الرّئيس الأمريكي ويلسن: يعتقد بنو صهيون أنَّهم حملة الرّسالة الأخلاقية في العالم، وأنّهم زَوَّدوا البشرية بكل ما تعرفه من قيم حضارية وأفكار إنسانية، ومبادئ خلقية، وأنَّهم شعب عريق، شعب جعلته ثلاث آلاف سنة من الحضارة يُوجِدُ ديناً وثقافة وشخصية)[3].

فلننظر في هذه الأخلاقية من خلال كتبهم أولاً، وما قيل عنهم ثانياً، ولننظر في مواقف الآباء الذين اعتمدوهم آباءً، فَشَوَّهُوا سِيَرَهم وأخلاقهم.

---

(1) جورجي كنعان، تاريخ يَهْوَه، ص224.

(2) الله أم يَهْوَه، أيهما إله اليهود، دار الأوائل، دمشق، ط1، 2003.

(3) كنعان جورجي، تاريخ يَهْوَه، ص40.

1 ـ نوح:

« وابتدأ نوح يكون فلاحاً، وغرس كرماً، وشرب من الخمر فَسَكر وتعرَّى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرّداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما، ووجهاهما إلى الوراء فلم يُبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصّغير، فقال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته، وقال: مبارك الرّبّ إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبداً لهم »[1].

لي على هذا النّص عدة نقاط:

1 ـ نوح نبي ورسول وأب ثان للبشرية، ولا يمكن أنْ يسكر هذه السّكرة حتى يبتذل بهذا الشّكل ويتعرًى.

2 ـ إذا أخطأ الأب وشاهد الابن عورة أبيه ولم يكشف عنها فإنَّ التّوراة لم تتحدث عن عقوبة لمثل هذا الجاني.

3 ـ إذا أخطأ حام وهو الصّغير فهل كان أولاد حام قد وُجدوا بعد حتى تشملهم اللعنة؟

4 ـ لماذا أُصيب كنعان وحده بهذه اللعنة دون أخوته؟ والتّوراة تقول بنو حام كوش ومصرايم فرعون الذي استضعفهم واستذلهم؟

5 ـ ألا يشعر القارئ معي أنَّ هذه الدّعوة تبرير لاحتلال كورش بلاد الرّافدين وسورية (ليفتح الله ليافث، فيسكن في مساكن سام).

ولم يبيّن لنا التّوراة ماذا سيصنع سام، هل سيصير سيد إخوته وهو البكر، وهذا حسب دعوة نوح غير صحيح، لأنَّ يافث سيكون مساكن سام؟ وأين سيذهب سام؟

هل سيبقى عبد العبيد لأخيه يافث؟

هذا ما سكت عنه جماعة التّوراة لأنّهم لم يستطيعوا تزويره، فلقد ساد فرعون مصر، وسادت بابل.

---

(1) تكوين 9/ 20 ـ 27/.

ونوح كما تعلم نبي، ولهذا؛ فقصة شرب الخمر وتعريه وسكره مرفوضة البتة، والإسلام حَرَّم الخمر، وقد مرت نصوص في التّوراة تُحرِّم الخمر، ولهذا؛ فالقصة مرفوضة بما فيها لعنة كنعان وحام، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى ولم يكن لكنعان ذنب في هذه العملية.

ويقول جورجي كنعان: (وجاء الأب الأول نوح النّاطق باسم يَهْوَه يوزع البركات واللعنات بين أبنائه بعد ليلة سكر وتعري، وقام هذا الذي أبصر عورة أبيه.

ألأنَّ الكنعانيين سبقوا اليهود في مضمار الحضارة؟ أم لأنَّهم أعطوا العالم الرّوح والمحبة والحكمة؟ أم لأنَّ الكنعانيين هم أصحاب الأرض التي فكَّروا في غزوها)[1].

لماذا صَبَّ اللعنة على كنعان، وهو ليس صاحب الخطأ إذا صحَّ ما فعل؟

ليس لذلك مبرر إلا أنَّهم أرادوا وصم كنعان باللعنة، ليحتلوا أرضهم ويبيدوهم، ولهذا؛ كان الدِّين عندهم ذريعة لاحتلال الأرض، وكان الدِّين عندهم وسيلة لصبِّ اللعنات على مَنْ يشاؤون.

وكانت اللعنة الأولى باعثاً للعداء والحقد والكراهية، وكانت وصمة يلصقها اليهود - بأمر يَهْوَه - في وجه كل مَنْ يريدون إقصاءه من الأشخاص والقبائل والشّعوب.

هل اللعنات التي وَزَّعتها اليهودية على العالم هي ما يقصدها اليهودي بياليك بقوله: (هذا التّراث يشمل أكثر من دين أو معتقد، أو أكثر من أخلاق أو وصايا! وتعليم، إنَّه ليس مجرد مجموع لهذه الأمور كلها، ولكنها شيء يتخطاها إلى البعيد، إنَّه مفهوم كوني لا يدرك العقل كنهه، فالتّوراة هي أداة الخالق بها ولأجلها الكون، إنَّها أقدم من الكون، وإنَّها أسمى فكرة روحية في العالم[2].

ولنتبيّن أية فكرة روحية تحملها هذه التّوراة.

---

(1) جورجي كنعان، الوثيقة الصّهيونية في العهد القديم، ص28.

(2) جورجي كنعان، تاريخ يَهْوَه، ص47.

2 ـ إبراهيم أبو الأنبياء:

قفزت التّوراة من نوح إلى إبراهيم متخطية الزّمن دون أنْ تبرر وجود الممالك الكبيرة التي قامت في هذه الفترة، ووقفت عند إبراهيم وقفة طويلة، لكنها شوّهت سيرته ضمن النّقاط التّالية:

أ ـ لم تبيّن لنا موقفه الدِّيني، ولا كشفت عن نبوته، ولا بيّنت سبب هجرته من بلاده، مَن الإله الذي يؤمن به؟ وبماذا يؤمن قومه؟

ب ـ هاجر مع أبيه إلى حران دون أنْ تبيّن لنا سبب الهجرة؛ هل لأنَّ القبيلة الآرامية أرادت أنْ تستقر هناك؟

ج ـ إبراهيم آرامي يُنسب إلى ماش بن سام؟ أم إلى أرفخشذ بن سام ليكون عابرياً؟ فقد تلجلجت في نسبه، واضطربت، لأنَّها لا تملك الدّليل في نسبه، ولا تنسب إليه.

د ـ موقفه وزوجته، وهنا الطّامة الكبرى التي صوَّرتها التّوراة، فقد جعلته رجلاً نذلاً يؤجر امرأته إلى فرعون ليكسب من ورائها؛ وحينما كُشف الأمر قال: إنَّها أخته وزوجته في الوقت نفسه، وقد وقف مع سارة هذه موقفين؛ موقف مع فرعون، وموقف مع أبيمالك.

أما الذي مع فرعون: (فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أنَّ المصريين رأوا المرأة أنَّها حسنة جداً، ورآها رؤساء فرعون، ومدحوها لدى فرعون، فأُخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى أبرام خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأُتن وجمال، فضرب الرّبّ فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام، فدعا فرعون أبرام وقال: ما هذا الذي صنعتَ بي؟ لماذا لم تخبرني أنَّها امرأتك؟ لماذا قلتَ هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي؟ والآن هو ذا امرأتك، خُذْها، واذهبْ، فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيَّعوه وامرأته وكل ما كان له[1].

تُرى ما ذنب فرعون لكي يتعرض هو وبيته لضربات عظيمات؟ إنَّ الرّجل لم يغتصب امرأة، ولم يرتكب إثماً، بل أخذ امرأة جميلة غير مرتبطة على علمه بزوج، ثم إنَّه كان لطيفاً معها ومع أخيها (أبرام)، فصنع إليه خيراً بسببها، وقبل أبرام الخير شاكراً.

---

(1) تكوين 12/ 14 ـ 20/ .

هذا هو مثال العدل الذي يفهمه اليهودي، فإذا قصد أنْ يكون مخطئاً عن عمد وأخطأ غيره بدون عمد عوقب غيره وأُثيب هو، ألم يقتل قايين هابيل وكوفئ بأنَّ مَنْ يقتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه؟

ثم كم بقيت سارة من الوقت حتى اكتشف فرعون الضّربات العظيمات بسبب سارة؟ أفليس الملوم أبرام الذي سلَّم زوجته راضياً شاكراً الخير الذي وصله؟

ألم يقل كاتب التّوراة (قولي إنَّك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك؟

جبان لا يدافع عن حرمه، وقوّاد يقبل أنْ يقود زوجته لفرعون، وكذَّاب يُعلِّم زوجته الكذب، أفبعد هذه الخسة خسة؟!

وكأني بمدوِّني التّوراة الذين جعلوا من إبراهيم سفيهاً ومن سارة بغياً أرادوا أنْ يعطوا مثالاً لأحفادهم، كي يستعينوا بنسائهم لنيل مآربهم، ووضعوا القصة ليبينوا لبني جنسهم أنَّ اليهودي مهما كذب ومهما ارتكب من موبقات فجريرة ذنبه ستقع حتماً على غيره، بينما هو يكسب الخيرات.

ومن حقنا أنْ نطرح أكثر من سؤال؛ كيف استطاع إبراهيم أنْ يصل إلى ما توقعه مستنداً إلى علّة افترض حصولها وهو يدخل مصر لأول مرة؟! ولماذا قصد إبراهيم الهارب من جوع أرض كنعان أنْ يمتطي راحلته ويحتقب امرأته مولياً وجهه شطر العاصمة المصرية؟! ولماذا ساقه مُحرِّرُ السِّفر إلى مدينة الملك؟

لقد كان في طريق إبراهيم منتجعات كثيرة لو كان يبغي الانتجاع، وكان في طرقه أمير إقطاعي يمكن أنْ يكون بطل الرّواية المدوَّنة في هذا السِّفر، ولكن يبدو أنَّ الرّاوي شعر بأنَّ القصة لا تكتسب بريقها إلا إذا كان بطلها فرعون ولا أحد سواه.

ولقد رددتُ هذه الرّحلة في كتابي هاجر بين الحرية والعبودية، ورأيتُ أنَّها ليست إلا من أوهام كَتَبَة التّوراة، وكأنَّهم استمرؤوا التّجربة مع فرعون، وقرَّت عينهم بما أفاءت عليهم الرّحلة المزعومة، ولهذا؛ أعادوا الكرة مرة ثانية، فجعلوا إبراهيم ينحدر نحو الجنوب حتى حصر حاله في مملكة جرار، وإذ به يكسب مرة ثانية ويضرب الرّبّ بيت أبي مالك، فيغلق أرحام نسائه فلا يحبلن، وكأني بهذه العجوز التي فتنت الدّنيا لا زالت في عزّ شبابها وهي التي

بلغت التّسعين من العمر، والملاحظ أنَّ مُحرِّر السِّفر يروي مع خالص التّأييد وفرط الإعجاب كيف تخلّى أبرام طواعية عن شهامته وكبريائه، وتحلّل من رجولته عن طيب خاطر لقاء أجر من بقر وجمال وغنم، إذ قدَّم زوجته لفرعون، وأغراها على قبول النّصيحة بعرضها، وقد رضخت زوجته لمشيئته، والمؤسف - إلى حدّ الاختناق - أنَّ ما تنطوي هذه القصص من إيحاء ضمني بإباحة استخدام الزّوجة اتقاءً لضرٍ يتوهم، أو ابتغاءً لكسب مرجو قد أفسح أمام اليهود - منذ أقدم العصور - مجالاً فريداً لتطبيق القاعدة اللاأخلاقية تبرير كل وسيلة تُحقِّق الهدف دون اعتداد بالقيم الخُلُقية أو احتفال بالفضائل الإنسانية.

أي إنَّ الغاية تبرر الواسطة أياً كانت الغاية، وكيفما كانت الواسطة، وكأنَّ مُدوِّني التّوراة ما خلعوا على أنبيائهم وملوكهم أبشع الصّور وأقذرها إلا ليبيحوا لأنفسهم ولأتباعهم من بعدهم ارتكاب المعاصي والرّذائل والاستخفاف بالقيم والأخلاق في سبيل الوصول إلى غاياتهم، وإذا كان القدوة قذراً سافلاً فلا لوم على المقتدي أنْ يكون كذلك[1].

ويُعلِّق ليوتاكسل على حادثة إبراهيم وسارة: (يخطر في الذّهن عدد من الملاحظات؛ هل قال إبراهيم الحقيقة عندما أكد لأبيمالك بأنَّ سارة هي زوجته وأخته في الوقت نفسه؟ إذا كانت هذه هي الحقيقة فعلاً فأمامنا مثال آخر على سفاح القربى المقدس، وإنَّه لكتاب مقدس ممتع حقاً.

ولكنْ؛ هذا ليس كل شيء، فإذا كان أبيمالك قد ظهر في هذه القصة رجلاً شريفاً محترماً فإنَّ إبراهيم كان فيها مثال الرّجل النّتن من أي جهة نظرتَ إليه، وإذا كان أخاً لسارة فعلاً بالدّم، فإنَّ هذا لا يبرر له دوره كقواد وكذاب، فأخته - التي هي زوجته - تحوّلت بين يديه إلى مصدر دخل جيد، وهو كذّاب عندما نفى أنَّها زوجته.

أما المبرر الذي ساقه عندما كشف مكره « ودناءته فقد أظهره لنا مثلاً يستحق الدّكتوراه في علم اللاهوت، وحتى الإمكانيات العقلية المحددة التي كان يتمتع بها أولئك النّاس لم تستطع أنْ تبرر له فعلته الشّنيعة، ومن جهة أخرى هل يَعُدُّ هذا البطريرك المحبوب هذا المحظوظ الذي يوليه يَهْوَه نفسه عناية خاصة أخاً لسارة؟

---

(1) جورجي كنعان، تاريخ يَهْوَه، ص53.

إنَّ نصوص التّوراة الأخرى كلها تثبت عكس ذلك، ففي قصته مع فرعون مصر لجأ إبراهيم إلى كذبه المثمر لأول مرة، ولكنْ؛ عندما فضح فرعون أمره لم يختلق الأعذار التي ساقها لأبيمالك، وهذا ما يجعلنا نعتقد بأنَّها ليست أكثر من اختلاق وليد لحظته، إنَّ الفكرة الأولى التي خطرت للنّبي المقدس عندما كان يرزح تحت وطأة تقريع ملك جرار له لماذا لم يدفع بهذا التّبرير أمام فرعون[1].

وإذا لم يجد إبراهيم أي حرج في تصريحه لأبيمالك بأنَّ أخته هي زوجته، بل جعل من سفاح القربى مبرراً لكذبه وخداعه، وإذا كان قد قرَّرَ أنْ يكشف لملك جرار عن السّر الذي أخفاه عن فرعون مصر فإنَّ يَهْوَه كذب عندما لقَّنَ هذا المقطع لمؤلف سفر التّكوين، ووقع معه في التّناقض، غني عن القول - بالطّبع - إنَّ هذا كله مجرد اختلاق هَدفَ به مؤلف أخرق جاهل.

أما يَهْوَه - ففي مساعيه كمضلل وبحثه عن سابقات لاأخلاقية نتنة - لَقَّنَ كل ما ورد في خاطره، فَدَوَّنَ المؤلف بإذعان، ورضي مختلف ضروب الشّائنات والسّابقات الشّنيعة دون أنْ يلقي بالاً للتّناقض الصّريح وتشويشها، بل وعجزها الفيزيائي العادي، ثم كيف لم يدرك مؤلف هذه التّوراة إذ أرغمته على تسمية أرض جرار مملكة بينما يقول الجغرافيون القدماء إنَّ جرار مجرد واد رملي صغير قاحل ليس فيه حياة نباتية، إنَّه مكان صحراوي ميت لا يمكن أنْ تعيش فيه روح بشرية؟ فهل كان أبيمالك ملكاً على هذه الصّحراء؟ وكم من الوقت بقيت سارة عنده؟ ولماذا لم تدقّ امرأة أبيمالك عنق سارة الجميل؟

وقد رَدَّ ابن حزم على هذه النّقطة، فقال وفَصَّلَ في موضعين من توراتهم المبدلة أنَّ سارة امرأة إبراهيم - عليه السّلام - أخذها فرعون ملك مصر، وأخذها ملك الخلص أبو مالك مرة ثانية، وأنَّ الله أرى الملكين في منامهما ما أوجب ردّها إلى إبراهيم عليه السّلام.

وذكر أنَّ سِنَّ إبراهيم - عليه السّلام - إذ انحدر من حران خمسة وسبعون عاماً، وأنَّ إسحق وُلد له وهو ابن مائة سنة، ولسارة إذ ولد تسعون سنة فصح أنّه كان يزيد عليها عشر سنين، وذكر أنَّ ملك الخلص أخذها بعد أنْ ولدت إسحق وهي عجوز مسنة، بإقرارها بلسانها إذ بُشِّرَت بإسحق فكيف بعد أنْ ولدته، وقد جاوزت تسعين عاماً؟ ومن المحال أنْ تكون في هذه

---

(1) ليوتاكسيل، التّوراة، ص106.

السّن وأنْ تفتن ملكاً. وأنَّ إبراهيم قال في المرتين كلتيهما هي أختي، وذكر عن إبراهيم أنَّه قال للملك هي أختي ابنة أبي لكنْ؛ ليست من أمي، فصارت لي زوجة، فَنَسَبوا في نص توراتهم إلى إبراهيم ـ عليه السّلام ـ أنَّه تزوج أخته.

وقد وقفتُ على هذا الكلام من بعض مَنْ شاهدناه منهم وهو إسماعيل بن يوسف الكاتب المعروف بابن النّغريلة فقال لي: إنَّ نصَّ اللفظة في التّوراة أخت، وهي لفظة تقع في العبرانية على الأخت وعلى القريبة، فقلتُ: يمنع من صرف هذه الكلمة إلى القريبة ههنا قوله: لكنْ؛ ليست من أمي، وإنَّما هي بنت أبي، فوجب أنَّه أراد الأخت بنت الأب[1].

ولعل ثالثة الأثافي في حياة إبراهيم هو طرده لابنه إسماعيل وزوجته هاجر ارضاءً لغرور السّيدة سارة كما قال الكتاب المقدس.

3 ـ لوط:

النّبي الطّاهر الذي قاوم قومه، ودعاهم إلى الأخلاق الطّاهرة، ابتلاه اليهود في توراتهم، فجعلوه رجلاً منحطاً سافلاً، ونزعوا منه نبوته، فلم يعترفوا بها، واسمع نص التّوراة ماذا تكلّمت عنه:

(وصعد لوط من صُوغَر، وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنَّه خاف أنْ يسكن في صُوغَر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصّغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هَلُمَّ نسقي أبانا خمراً، ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أنَّ البكر قالت للصّغيرة: إنِّي قد اضطجعتُ البارحة مع أبي، نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي واضطجعي معه، فنحيي من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصّغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مُوآب،

---

(1) الإمام ابن حزم أبو محمد، الفصل في الملل والنّحل، ص135.

وهو أبو المؤابيين إلى اليوم، والصّغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بَنْ عَمِّي، وهو أبو بني عَمُّون إلى اليوم)[1].

هذا النّص لي عليه ما يلي:

1 ـ ناقض نصّ التّوراة نفسه، ففي الإصحاح نفسه نرى أنَّ للوط أصهاراً وبنين وبنات (وقال الرّجلان للوط: مَنْ لك أيضاً ههنا، أصهارك وبنيك وبناتك وكل مَنْ لك في المدينة أَخرِجْ من المكان، لأنَّنا مُهلِكَان هذا المكان) 19/ 12 ـ 13/ . ويقول النّصّ: فخرج لوط وزوجته وابنتاه، ولم نعلم ماذا حَلَّ ببنيه وأصهاره.

2 ـ إنَّ الله أهلك ـ حسب تعبير التّوراة ـ سَدُوم وعمورة، أما صُوغَر فلم تهلك، فلماذا لم يسكن في صُوغَر ويُزوِّج بناته إنْ هلك أصهاره؟!

3 ـ أراد كاتبو التّوراة أنْ يبيحوا لأنفسهم الزّنى ببناتهم، فجعلوا لوطاً قدوة ويقولون: هاهو ذا نبي قد زنى بابنتيه.

4 ـ الغريب في الأمر أنَّه أخذ ابنتيه وضاجعتاه وهو لا يشعر بذلك. هذا محض كذب على الحقيقة، وإلى هذا أشار ليوتاكسل بقوله: (ولم تنجُ مغامرة لوط وابنتيه من الانتقاد المرّ العادل الذي وَجَّهه إليها المفكر العظيم فولتير، وهانحن نترك الحديث له لأنَّ أفكاره العبقرية ما زالت تحافظ على أهميتها حتى يومنا هذا).

ويقول فولتير: لا يفيدنا النّصّ التّوراتي بما فعله لوط عندما رأى زوجته وقد تحوَّلت إلى عمود من الملح، ولم يذكر لنا أيضاً اسمي ابنتيه، أما فكرة إسكار الوالد بهدف الاضطجاع معه فهي فكرة توراتية فريدة، ولا تقول التّوراة لنا من أين جاءت الفتاتان بالخمرة؟ ولكنها تقول إنَّ لوطاً اخترق عذرية بنتيه دون أنْ يلاحظ دخولهما عليه أو خروجهما من عنده. بيد أنَّه يصعب كثيراً على الرّجل أنْ يفضَّ بكارة فتاة دون أنْ يعرف شيئاً عما فعل، إنَّه حدث لا نستطيع أنْ نجد له تفسيراً، وليس مفهوماً أيضاً قلق ابنتي لوط على مصير الإنسانية، فإبراهيم كان قد

(1) تكوين 19/ 30 ـ 38/ .

أنجب إسماعيل من هاجر، والشّعوب كانت منتشرة في كل مكان، وصُوغَر التي خرجت منها الفتاتان كانت قرية؟

من أين حصلتا على الخمرة إنْ لم يكن من الخمارات المحلية؟

ويشير فولتير إلى تشابه هذه القصة مع قصة ميترا التي ولدت أدونيس من أبيها كيبراس، ولكنَّ ميترا عُوقبت عقاباً صارماً على جريمتها هذه، بينما نالت ابنتا لوط مكافأة عظيمة من وجهة نظر اللاهوت اليهودي، فقد أصبحتا والدتين لذرية كثيرة.

أما قصة عقوبة الزّوجة فقد صارت عموداً من الملح، والحقيقة أنَّ كل الذين كتبوا على فلسطين لم يشاهدوا عمود الملح هذا، ولا كتبوا عنه شيئاً.

لماذا فضَّلت ابنتا لوط أباهما لتزنيا به، ولم تزنيا بأي رجل آخر. ؟

- إذا كانتا متزوجتين - حسب رأي التّوراة - ألم تكونا حبليين من رجالهما؟ فلماذا الزّنى بأبيهما. ؟

إنَّ هذه العملية ليست إلا من تلفيق خيال كَتَبَة اليهود فهيئوا لهما هذا الخيال الواسع والعبقرية الرّائعة.

4 - إسحق:

لم تتورع التّوراة عن تلويث اسم إسحق كما لوثت من قبل إبراهيم أباه، فقد جعلوه يصنع ما صنعه أبوه من قبل (وسأله أهل المكان عن امرأته، فقال: هي أختي، لأنَّه خاف أنْ يقول امرأتي لعلّ أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة، لأنَّها كانت حسنة المنظر، وحدث إذ طالت له الأيام هناك أنَّ أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوَّة، ونظر، وإذا إسحق يلاعب رفقة امرأته، فدعا أبيمالك إسحق، وقال: إنَّما هي امرأتك، فكيف قلتَ هي أختي، فقال له إسحق: لأني قلتُ لعلّي أموت بسببها، فقال أبيمالك: ما هذا الذي صنعتَ بنا، لولا قليل لاضطجع أحد الشّعب مع امرأتك فجلبتَ علينا ذنباً؟ فأوصى أبيمالك جميع الشّعب قائلاً: الذي يمسُّ هذا الرّجل أو امرأته موتاً يموت. تكوين 26 / 7 - 11/ .

لي على هذا النّص ما يلي:

1 ـ إسحق كذّاب كما توحي التّوراة بذلك.

2 ـ إسحق قوّاد كما توحي التّوراة بذلك.

3 ـ الزّنا مُحَرَّم عند الفلسطينيين (لولا قليل لاضطجع أحد الشّعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنباً).

4 ـ الشّعب الفلسطيني متمسك بمبادئه بعكس ما صَوَّرت التّوراة جماعتهم.

5 ـ ليس الابتعاد عن امرأة إسحق إكراماً لإسحق، فقد خاصموه، وطردوه، ولكنهم احترموا المبادئ، فلم يدنسوا المرأة، ويقول ليوتاكسل في هذا الصّدد: (مسكين أبيمالك يبدو أنَّه لم ينس عجيبة إغلاق الأرحام على الرّغم من مضي ثمانين عاماً على مغامرة سارة).

وما يثير التّساؤل أنَّ الفلسطينيين يعبدون آلهتهم ـ هذا ما تؤكده التّوراة ـ ولم يكونوا يعبدون إله إبراهيم وإسحق، ومع ذلك تؤكد التّوراة أنَّ الملك الوثني يعرف بيَهْوَه وبإلوهيم ووصاياه؛ إنَّه لتضليل ما بعده تضليل[1].

5 ـ يعقوب:

لا أعتقد أنَّ أحداً شُوِّهت سيرته، وأُسيء إليه كما شُوِّهت سيرة يعقوب، وأُسيء إليها، وسنرى هذا التّشويه ضمن النّقاط التّالية:

أ ـ يعقوب وعيسو:

جعلوهما في التّوراة أخوين، ولكنْ؛ يا للأخوة اليهودية ما أغربها!! فقد وقع بين الأخوين ما يلي:

1 ـ سرق يعقوب بركة أخيه عيسو، وقد تحدثتُ عنها في غير هذا الكتاب، وخاصة في كتابي ما بين موسى وعزرا، كيف نشأت اليهودية[2]، ارجع إلى تكوين 27/ 1 ـ 40/ وخلاصة

---

(1) ليوتاكسيل، التّوراة، ص121.

(2) مابين موسى وعزرا، كيف نشأت اليهودية، دار الأوائل، دمشق، ط1، 2003.

القصة: طلب إسحق بعد أنْ عميَ من ابنه العيسو أنْ يأتيه بصيد، ويطعمه منه، تآمرت رفقة على يعقوب، فموَّهت يعقوب، وطبخت له جدياً، وأدخله يعقوب إلى أبيه وهو يظنه العيسو، فدعا له، وأعطاه بركته، ثم جاء العيسو، وعرف الأب أنَّ الخدعة قد انطلت عليه، لكنه لم يحرك ساكناً، وإنَّما كوفي الكاذب الغشاش على كذبه وغشه، ونال يعقوب البركة وحُرم العاقل النّبيل منها.

ويقول جورجي كنعان في هذه الصّدد: (وعندما نُسب يعقوب صَوَّروه لنا تجسيداً حياً للمكر والدّهاء، وسعة الحيلة، ونسيجاً فريداً في المخادعة والتّلون والنّفاق، وكتب المؤرخ جيمس فريزر مُعلّقاً على أخلاق يعقوب فقال: كان يعقوب مثالاً للتّاجر اللبق الوافر الحيلة الذي يحرص على أنْ يتمَّ صفقاته، لا بالقوة، بل بالحذق والمهارة، ولا يتردَّدُ في اختيار الوسائل غير الأخلاقية التي يبزُّ بها منافسيه ويتفوّق بها عليهم، فصفات الجشع والمكر التي تميزت بها شخصية يعقوب تكشف عن نفسها في الحوادث المبكرة في حياة يعقوب.

وهكذا يتضح أنَّ بيت إسحق قام كُلُّ ما فيه على النّفاق والغدر والخداع، ولد تحبه أمه وقريب إلى قلبها، وآخر يحبه أبوه وأثير لديه، فتنتصر الأم بمكرها في سباق لاأخلاقي تحركه الأنانية النّسائية، وتحدو به الخديعة والسّلوك المنجرف، وربما قصد مُحرِّر السِّفر من تصوير يعقوب بهذه الطّبائع اللاأخلاقية تاريخياً في الكيان النّفسي والاجتماعي لليهود بوصفه العناصر التي لا يتحقَّقُ النّجاح إلا بإتقانها وتطبيقها في التّعامل مع الآخرين.[1]

وقد يثير هذا التّصرف في مرحلة معينة من التّطور الاجتماعي بعض الاستهجان، وقد لا يثير، فقد يميل بعض النّاس إلى الثّناء على هذا التّصرف الذي يدلُّ على المهارة الذّكاء اللذين مكّنا صاحبهما من الانتصار على شخصية لا تتسم بغير الصّدق والعناء، ولكنْ؛ بعد أنْ تغيَّرت المقاييس الأخلاقية أصبح الرّأي العام يقف في صف الصّادق الغبي، ويولي ظهره لمثل هذا الإنسان الماهر الحاذق، ذلك أنَّ التّجربة أثبتت أنَّ أي تصرف من هذا النّوع مهما تكن درجة ذكاء صاحبه وبُعْد نظره لا يسيء إلى الأفراد فحسب، وإنَّما يسيء إلى المجتمع لأنَّه يخلخل رباط الثّقة المتبادلة بين النّاس، تلك الثّقة التي تربط وحدها بين جماعة النّاس في وحدة واحدة،

---

(1) كنعان جورجي، تاريخ يَهْوَه، ص55.

ومثل هذا العمل البغيض لا يصيب الشّخص البريء بضربه في ظهره فحسب، وإنَّما يسيء إلى المجتمع كذلك، ويهبط بمستواه الأخلاقي حيث إنَّه سلبه نماذج للفضيلة قلّما يعثر عليها.

ولعلنا نتساءل أما كان بوسع الأب المخدوع أنْ يسحب بركته ممَّنْ اغتصبها زوراً وغدراً، ويمنحها لمستحقها؟! ولكنها التّوراة تكافئ المعتدي، وتعاقب الضّعيف المعتدى عليه، مهما كان نوع الاعتداء، فالحياة للأقوى، وهذا شعارهم.

ألم يكن يستطيع الأب أنْ يمنح بركة أخرى لابنه المظلوم؟

فقد حصل يعقوب بخسة ونذالة على بركة ليست له، وكانت أمه السّبب في ذلك، ومن هنا يحاول اليهود أنْ يُقرِّروا الأفضلية في الأولاد لِمَنْ كانت أمه معه، لا من كان أبوه معه.

2 ـ سرقة البكورية من عيسو: الابن البكر لإسحق هو عيسو، ولكنَّ يعقوب سرق هذه البكورية كما تقول التّوراة، فاسمع نصها: (وصلّى إسحق إلى الرّبّ لأجل امرأته لأنَّها كانت عاقراً، فاستجاب له الرّبّ فحبلت رفقة امرأته، وتزاحم الولدان في بطنها، فقالت: إنْ كان هكذا فلماذا أنا؟ فمضت لتسأل الرّبّ، فقال لها الرّبّ: في بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان، شعب يقوى على شعب، وكبير يُستعبد لصغير، فلما كملت أيامها لتلد إذا في بطنها توأمان، فخرج الأول أحمر، كله كفروة شعر، فدعوا اسمه عيسو، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو، فدُعي اسمه يعقوب، وكان إسحق ابن ستين لما ولدتهما.

فكبر الغلامان، وكان عيسو إنساناً يعرف الصّيد إنسان البرية، ويعقوب إنساناً كاملاً يسكن الخيام، فأحبَّ إسحق عيسو لأنَّ في فمه صيداً، وأما رفقة فكانت تحبُّ يعقوب، وطبخ يعقوب طبيخاً، فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا، فقال عيسو ليعقوب: أطعمني من هذا الأحمر لأني قد أعييتُ، لذلك دُعي اسمه أدوم، فقال يعقوب: بِعني اليوم بكوريتك، فقال عيسو: هاأنا ماض إلى الموت، فلماذا لي بكورية؟ فقال يعقوب: احلف لي اليوم، فحلف

له، فباع بكوريته ليعقوب، فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبيخ عدس، فأكل وشرب وقام ومضى، فاحتقر عيسو البكورية[1].

لي على هذا النّص ما يلي:

1 ـ قصة رفقة في عقمها تشابه قصة عمتها سارة، فقد ظلت فترة لا تلد.

2 ـ لماذا قال لها الرّبّ بأنَّ الصّغير يستعبد الكبير؟ أهذا قول قاله يَهْوَه؟ أم قول قاله كاتب يَهْوَه؟

إذا كان الأخ جائعاً أفمن الأخوة بمكان أنْ نشتري منه بكورتيه بديلاً من أنْ نساعده؟

لقد استغلَّ يعقوب حاجة أخيه إلى الطّعام، فساومَهُ على بكوريته على الرّغم من أنَّ ترتيب الولادة أمر إلهي لا يمكن أنْ يكون موضع مساومة، أفعجز يَهْوَه عن إيلاد رفقة يعقوب في الأول، وبهذا لا تختل موازين التّوراة؟! هل البكورية لم ترق في عين عيسو؟! أم أنَّ اليهود ابتكروا هذا حتى يبعدوه عن السّاحة؟ إنَّ الوصولية والانتهازية التي أبداها كَتَبَةُ التّوراة حتى عند أقرب المقربين إليهم لهي سمة من سماتهم الأبدية، وهكذا بدت الصّفات المستحبة عند اليهودي الغش والحيلة والخداع حتى مع الأخ والأب، وهكذا صوّروا يعقوب مثال النّذالة والحقارة مع أبيه وأخيه.

ب ـ يعقوب وخاله لابان:

قصة ثالثة من قصص غدر يعقوب بِمَنْ حوله، فقد بدأ بأخيه وأبيه، ثم ثَلَّثَ بخاله، فلنتبيّن قصته مع خاله.

غضبت الأم على عيسو لأنَّه تزوج يهوديت بنت بيري الحثِّي، وبسمة بنت إيلون الحثّي، وكان ذلك الزّواج سبباً في مرارة نفس إسحق ورفقة، هذا ما قاله كَتَبَةُ التّوراة، واضطُرَّ يعقوب للهرب من وجه أخيه بعد أنْ سرق بكورة أخيه، فنصحته أمه أنْ يذهب ليتزوج ابنة خاله لابان ابن بتوئيل الآرامي، واتجه شمالاً كما تقول التّوراة.

---

(1) تكوين 25/ 21 ـ 34/ .

وأحبَّ يعقوبُ راحيلَ، فقال: أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصّغرى، فقال لابان: أنْ أعطيك إياها أحسن من أنْ أعطيها لرجل آخر، أَقِمْ عندي، فخدم يعقوب براحيل سبع سنين، وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها.

ثم قال يعقوبُ للابان: أعطني امرأتي لأنَّ أيامي قد كملت، فأدخل عليها، فجمع لابان جميع أهل المكان وصنع وليمة، وكان في المساء أنَّه أخذ ليئة ابنته وأتى بها إليه، فدخل عليها، وأعطى لابان زِلْفة لليئة ابنته جاريةً، وفي الصّباح إذا هي ليئة، فقال للابان: ما هذا الذي صنعتَ بي أليس براحيل خدمتُ عندك؟ فلماذا خدعتني؟ فقال لابان: لا يُفعل هكذا في مكاننا أنْ نعطي الصّغيرة قبل البكر، أَكمِلْ أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة التي تخدمني أيضاً سبع سنين أُخَر، ففعل يعقوب هكذا[1].

لي على هذا النّص ما يلي:

1 ـ الخدمة بالرّعي من أجل الزّواج؛ فقد وردت القصة مع موسى وليست مع يعقوب، وهكذا نقلت القصة.

2 ـ لا يجوز حسب الشّريعة التّوراتية والقرآنية معاً أنْ يتزوج الإنسان الأختين معاً، فكيف كتب جماعة التّوراة هذه القصة؟!!

3 ـ جعلوا من لابان خادعاً ليعقوب، وقد انتسبوا إلى الآراميين، ليجعلوا من عنصرهم عنصراً أصيلاً في المكر والخداع.

تزوج يعقوب من الاثنتين، وجاءه البنون من الامرأة المكروهة أولاً، ثم من جارية المرأة المحبوبة، ثم من جارية المرأة المكروهة، وأخيراً؛ ولدت راحيل المحبوبة ابنها الأول يوسف، وقَرَّرَ يعقوب السّفر إلى أهله، فماذا فعل؟

وحدثَ لما ولدت راحيلُ يوسفَ قال يعقوب للابان: اصرفني لأذهب إلى مكاني وإلى أرضي، وأراد لابان أنْ يكافئه فلم يصرفه دون أجر، فعمد يعقوب إلى سلب مواشي لابان مكافأة له، وهكذا صارت الغنم القوية ليعقوب والضّعيفة للابان، وسرق مواشيه، وقَرَّرَ

---

(1) تكوين 29/ 18 ـ 27/.

الرّحيل في الليل دون أنْ يدري لابان ، وكأنَّه لص ، فهرب وأخذ كـل مـا كـان لـه مـن مواشـي ، كما سرقت راحيل أصنام أبيها .

وقَنَّعَ يعقوب وجهه ببراءة مصطنعة وهو يتكلّم مع زوجاته ، وضمَّخ كلامه بـورع زائـف حين قَصَّ لهنَّ خبر مناصرة الرّبّ له ، وكيف حَوَّل إليه قطيع أبيهن ، ولكي يخلع كاتب التّـوراة على المؤامرة مزيداً من الحبكة قال بأنَّ ملاك الرّبّ هـو الـذي أمر يعقـوب بـالرّحيل ، ومـا عليـه إلا أنْ يطيع .

ويقول جورجي كنعان : (ورغم تصرفات يعقوب الشّائنة وسـلوكه الماكر المنحـرف ونيّتـه التي لا تُبيِّتُ غير الكيد والغدر ، ولحق به خاله مسيرة سبعة أيام ، وقـال معاتبـاً إيـاه بنـبرة تشـعر وكأنَّ صاحبها مطعون الكرامة بإيمانه بالقيم الفاضلـة ، مـن المحبـة إلـى الإخـلاص فـإلى الصّفـاء النّفسي والنّقاء الرّوحي قال : لماذا هربتَ خفيـة وخدعتنـي ولـم تخـبرني حتـى أشيعك بـالفرح والأغاني ، بالدّف والعود ، ولم تدعني أُقَبِّل بناتي وبنيَّ؟

لكنَّ هذا الكلام النّبيل الطّافح من صدر مجـروح الإيمـان بالعلاقـات الإنسـانية النّبيلـة لـم تستقبله أذن يعقوب لأنَّه كان مشغول الفكر بالقطعان التي نقلـها بـالمكر والاحتيـال مـن حظـيرة خاله إلى حظيرته .

وقد اغتبطت جوانحه بهذه الثّروة المسروقة التي سيكون لأخيه عيسو نصيب منها ، مقابل صفحه وتناسيه أعمال الغدر والمكر التي أوقعها به يعقوب .

انتهز يعقـوب الفـرص كلـها ، وسـلك مختلـف السُّبل ليسـطو علـى حقـوق أخيـه وثـروة خاله ، وكان مستعداً لاستعمال أساليب المكر والختل والحيـل جميعـها ، ليُحَقِّـقَ أهدافـه ، فـهو - كما يبدو بأقلام الدّارسين - رجل مادي ذكي لبق ، وقد استطاع بهذه الصّفات أنْ يخفي مـا بـه من نوازع وصفات لاأخلاقية مثل الخـداع والغـش والمكـر والكـذب والخيانـة والتـآمر واسـتباحة الحقوق ، إنَّها الطّباع التي دَوَّنَها أبناؤه من بعده ، وكأنَّ يعقوب أراد أنْ يترك للأجيال القادمة من قومه دروساً في استغلال الظّروف لتحقيق مآرب ذاتي ، ولـو كـان بالاحتيـال علـى الأب والأخ والخال ، وبذلك كان أول مَنْ وضـع قواعـد الفلسـفة المكيافيليـة التـي تُبَرِّرُ كـل وسـيلة لتحقيـق

الهدف دون اعتداد بالقيم الخُلُقية، أو بالفضائل الإنسانية، وذلك قبل أنْ ينادي نقولا مكيافيلي بهذه الفلسفة النّكراء بعشرات القرون.

ويقول المؤرخ ج سميث: والواقع أنَّ هذه الحوادث في حياة يعقوب التي تُعَبِّرُ عن طواياه السّيئة ونواياه الخداعة وجشعه المطلق وتسلحه بالمكر والتّلون هي نماذج مما تحفل به حياته التي استوت على الغدر وازدهرت بفضله وهو بدوره يعتبر نموذجاً حقيقياً لأخلاق اتباعه، و على هذا تعتبر تسميتهم باسمه ميراثاً دقيقاً[1].

وأنا أبرئ يعقوب من هذه الأعمال التي نسبها كتبة التّوراة إليه وأرى أنّها من أوهام التّوراة وكَتَبَتِهَا، وقد رأينا أنَّه سكت عن زوجته التي سرقت أصنام أبيها.

ج ـ يعقوب وإيل:

هذه من أعظم الفريات والتّشويهات التي لحقت بيعقوب، فقد أرادوا من صراعه مع إيل هدفين:

أ ـ الهدف الأول إسقاط هيبة إيل الله لإعلاء شأن يَهْوَه.

ب ـ الرّفع من قيمة يعقوب إذا وضعوه باسم إسرائيل، فإذا ما جَدّهم صارع الله وقدر، فمن باب أولى أنْ يغالبوا هم أكبر قوة في هذا الكون.

«ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر، وعبر مخاضة يبوق، أخذهم وأجازهم الوادي، وأجاز ما كان له، فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنَّه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فخذه، فانخلع حُقَّ فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني، لأنَّه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقُكَ إنْ لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يُدعى اسمك في ما بعد يعقوب، بل إسرائيل، لأنك جاهدتَ مع الله والنّاس وقدرتَ. وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك، فقال: لماذا تسأل عن اسمي، وباركه هناك.

---

(1) جورجي كنعان، تاريخ يَهْوَه، ص59.

فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل، قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه، ونُجِّيتْ نفسي، وأشرقت له الشّمس، إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه»[1].

هذا النّص أقف عنده، ولي عليه بعض النّقاط:

- أطلقوا اسم إسرائيل.
- أطلقوا اسم فينوئيل.
- والاسمان إيليان.

أ ـ ولو كان القوم يدينون بيَهْوَه لكان الاسم يهوياً، وهكذا نرى أنَّ اليهوية قد جاءت متأخرة عن الإيلية.

ب ـ الحادثة كلها مُختلَقة، فالله جَلَّ وعلا عن أنْ يصارع إنساناً، وخالق السّموات والأرض غير عاجز عن إنسان مهما بلغت قوته. إنَّ هذا التّصوّر للإله عند اليهود كأنّه إنسان يعجز عن أشياء كثيرة منها مصارعة يعقوب لهو تصوُّر خاطئ، ولكنهم عجزوا عن أنْ يفهموا الإله على حقيقته، فصاغوا يَهْوَه مثالاً لهم، واتخذوا من أنفسهم مثلاً أعلى، فصوَّروه على مثالهم بما فيهم من الحطة والنّذالة والضّعة.

ج ـ لم يستطع كَتَبَة التّوراة أنْ ينسوا اسم يعقوب وشخصيته، ولهذا فقد ورد الاسم حتى نهاية التّوراة كأنَّه مرادف لإسرائيل، ولكنْ؛ مَنْ يقرأ التّوراة يلحظ أنهما اسمان مختلفان تمام الاختلاف.

د ـ يعقوب وشكيم:

لعلَّ أبلغ حوادث الغدر شناعة صُوِّرت في العهد القديم حادثة شكيم والغدر بأهل المدينة، (وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض، فرآها شكيم بن حمور الحِوِّيّ رئيس الأرض، وأخذها واضطجع معها وأذلَّها وتعلَّقت نفسه بدينة ابنة يعقوب، وأحبَّ الفتاة ولاطفَ الفتاة، فكلَّم شكيم حمور أباه قائلاً: خُذْ لي هذه الصّبية زوجةً، وسمع يعقوب أنّه نجَّسَ دينة ابنته، وأما بنوه فكانوا مع مواشيه في الحقل، فسكت يعقوب حتى جاءوا.

---

(1) تكوين 32/ 22 ـ 30/ .

فخرج حمور أبو شكيم إلى يعقوب ليتكلّم معه، وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا، وغضب الرّجال واغتاظوا جداً لأنّه صنع قباحةً في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب، وهكذا لا يُصنَع، وتكلّم حمور معهم قائلاً: شكيم ابني قد تعلّقت نفسه بابنتكم، أعطوه إياها زوجةً، وصاهرونا، تعطوننا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا، وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم، اسكنوا واتّجروا فيها، وتملّكوا بها، ثم قال شكيم لأبيها ولأخوتها: دعوني أجد نعمةً في أعينكم، فالذين تقولون لي أعطي، كَثّروا جداً مهراً وعطيةً، فأُعطي كما تقولون لي، وأعطوني الفتاة زوجةً.

فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكرٍ وتكلّموا، لأنّه كان قد نجّس دينة أختهم، فقالوا لهما: لا نستطيع أنْ نفعل هذا الأمر أنْ نعطي اختنا لرجلٍ أغلف، لأنّه عارٌ علينا، غير أنّنا بهذا نواتيكم، إنْ صرتُم مثلنا بختنكم كُلَّ ذكر، نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم، ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً، وإنْ لم تسمعوا لنا أنْ تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضي)[1].

ويقبل حمور العرض، ويختتن أهل المدينة، وفي اليوم الثّالث تقول التّوراة: دخل شمعون ولاوي المدينة وذبحا أهلها بحدّ السّيف، وهم لا يستطيعون الدّفاع عن أنفسهم، وبهذا قامت محزرة رهيبة من أجل هذه الفتاة، وهكذا احتلّت قصة دينة إصحاحاً كاملاً هو الإصحاح الرّابع والثّلاثون بشكله الكامل.

لي على هذه الحادثة النّقاط التّالية:

1 ـ تُعَدُّ حادثة دينة من حوادث التّمييز العنصري التي كتبها جماعة التّوراة وتُعَدُّ هذه الحادثة من أشدّ الحوادث لؤماً، فقد أُبيدت مدينة كاملة من أجل دينة؟

2 ـ ما ذنب أهل المدينة حتى يُبادوا جميعاً، ولو قال جماعة التّوراة بأنّهم عاقبوا شكيماً وأباه لكانت المصيبة أقل.

3 ـ كيف سمح يعقوب بهذه الإبادة الجماعية؟ أهو انتقام من البشرية كلها كما يفعل اليهود حالياً في أبنائنا في فلسطين؟

---

(1) تكوين 34/ 1 ـ 17/.

4 ـ عاتب يعقوب أبناءه لا خوفاً من عقوبة الإله، وإنَّما عاتبهم خوفاً من سكان الأرض، لأنَّهم سيكرهون يعقوباً وأبناءه فيقتلونهم، هذا دلالة على أنَّ هذه المجزرة الوهمية لم تحدث إلا في مخيلة كَتَبَة التّوراة.

5 ـ رحل إلى بيت إيل، وقد كانت لوز سابقاً، فمَنْ الذي سمّاها بيت إيل؟

إنْ كان يعقوب فهو يعبد إيل، وإيل إله الرّحمة والمحبة لا إله النّقمة والجنود.

6 ـ إنَّ يعقوب ناقض هذا الحدث في وصيته عند الموت «شمعون ولاوي أخوان، آلاتُ ظلمٍ سيوفهما، في مجلسهما لا تدخل نفسي، بمجمعها لا تتَّحد كرامتي، لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً، وفي رضاهما عرقبا ثوراً ملعونٌ غضبهما فإنَّه شديد، وسخطهما فإنَّه قاس، أقسّمهما في يعقوب وأفرّقهما في إسرائيل»[1].

وبهذا ظهر لنا أنهما لم يقوما بهذه المجزرة التي توهَّمها وأرادها كَتَبَة التّوراة أنْ تكون إبادة شاملة.

7 ـ إنَّ هذه المجزرة تتناقض مع أحكام التّوراة، وحَلُّها كما عرض حمور، إذ لم تكن التّوراة مكتوبة، وقد تزوج عيسو عم دينة من بنات الحثِّين.

8 ـ عمل شكيم أسهل من عمل فرعون وأبيمالك في ساراي، فلماذا غضبوا على هذه وسكتوا عن تلك؟

9 ـ لابُدَّ أنَّ المكيدة عملوها للاستيلاء على الأرض، (فمنذ وصول يعقوب إلى أرض كنعان ـ قادماً من فدان آرام ـ نصب خيمته أمام مدينة شكيم، راح يعمل على تنفيذ الخطة التي انتهجها بنو إسرائيل من بعده في استيلائهم على الأرض، المجازر الوحشية، حروب الإبادة، فقد شردت ابنة يعقوب دينة وارتمت في أحضان شاب نابلسي، فاتخذ بنو إسرائيل من ذلك ذريعة للقتل والإبادة)[2].

---

(1) تكوين 49/ 5 ـ 7/.

(2) كنعان جورجي، تاريخ يَهْوَه، ص61.

10 ـ لماذا لم يغضب إبراهيم وإسحاق انتقاماً لعرض أختهما سارة ورفقة وغضب أبناء يعقوب شمعون ولاوي؟ لماذا هذا الانتصار للشّرف مع العلم أنَّ حمور أعطى حلاً مقنعاً؟

11 ـ سمّى كَتَبَة التّوراة والد شكيم حمور، وحمور في العبري هي الحمار، وهذا قمّة التّعصب والعنصرية البارزة في كتابة التّوراة، فهم ينعتون الأميين بأقبح الألفاظ.

12 ـ إنَّ هجومهم على مدينة نابلس شكيم في الليل إنَّما هو تجديف على الأمانة والمحبة وكفر بالقيم الإنسانية النّبيلة كلها، أما غضب يعقوب فلم يكن للعرض المثلوم ولا لغدر أولاده بأهل شكيم، وإنَّما كان لشعوره بأنَّه نفر قليل، وخشي من اجتماع الكنعانيين عليه وضربه. والسّؤال الذي يُوجَّه ما هذه الغيرة التي اشتعلت بها نفوس بني إسرائيل؟!

13 ـ هذه الحادثة لا أصل لها، ولا صحة لتاريخيتها، يقول ليوتاكسل مُعلقاً عليها: (لا شك أنَّه سلوك وحشي ودنيء وغادر وخسيس، هذا إذا تحدثنا بلغة المتحضرين، لا بلغة التّوراة، فقد ظهر أنَّ أبناء يعقوب وناسه هم مجرد قُطّاع طُرُق، لا ذمة لهم ولا عهد، فقد قَدَّمَ أهل البلاد بلادهم لهم، ومَدُّوا يد الأخوة والصّداقة والعيش بسلام، ولكنَّ شعب يَهْوَه المختار غدرَ بهم، كما يغدر اللصوص العابرون، فليس ثمة قاتل أكثر غدراً وسفالة وتعطشاً للدّماء، ومرة أخرى يرى النّاقدون من أصحاب مذهب الشّك في هذا ضرباً من الشّعوذة.

13 ـ فشمعون ولاوي اللذان يُزعَمُ أنهما ارتكبا هذه المجزرة البشعة كانا لا يزالان غلامين، بالكاد تجاوزا سنَّ الطّفولة.

وُلد شمعون في العام التّاسع لإقامة يعقوب عند لابان، أما لاوي فقد رأى النّور في العام العاشر منها. أي أنَّ أحدهما كان في العاشرة من عمره والآخر في الحادية عشرة عندما أبادا ذكور مدينة بكاملها، هل يدهشكم هذا؟

أليس ذات الفاران من صلب يعقوب الذي غلب يَهْوَه نفسه[1].

وأُضيفُ إذا كان لاوي في العاشرة وشمعون في الحادية عشر فكم عمر دينة هذه الفتاة التي كانت المجزرة من أجل عينيها؟!

---

(1) ليوتاكسيل، التّوراة، ص138.

فإذا كان لاوي في العاشرة ويهوذا بعد لاوي في التّاسعة، ثم توقفت عن الولادة، فولدت زلفة جارية ليئة ليعقوب ابناً اسمه جاد، وولدت زلفة جارية ليئة ابناً ثانياً ليعقوب، فدعت اسمه آشير، وليكن بين الواحد والآخر سنة، فقد كان آشير لا يزال في الرّابعة أو الخامسة، ثم ولدت ليئة ابناً سمّاه يساكر، وهو في الثّالثة، ثم ولدت زبولون، وهو في الثّانية، ثم ولدت ابنة ودعت اسمها دينة. فزبولون في السّنة الثّانية، ودينة في السّنة الأولى أو الثّانية، فهي ويوسف من جيل واحد.

يا للفتاة الجميلة وهي في السّنة الثّانية من العمر؟! أيُعقَل أنْ يهوى الشّابُّ فتاةً في سنٍّ الثّانية أو الثّالثة من العمر؟! يا للهول!.

هذه قصة دينة كما حدَّثتنا بها التّوراة، ولننتقل إلى حادثة أخرى مع يعقوب.

هـ ـ يعقوب ورأُوبين:

هذه الحادثة تُصوِّر نذالة اليهود وتخلِّيهم عن القيم والمبادئ، فقد شاخ يعقوب، وفي الظّاهر أصابته العنة، فما كان للجارية اللعوب بلهة إلا أنْ نظرت بعينيها إلى ابن زوجها البكر، وقد تفتَّح شباباً، وأورقَ رجولة وجمالاً، فارتمت في أحضانه وركبها رأوبين، وسمع إسرائيل بذلك. تكوين **35/ 21 ـ 22/**.

لم تثر ثائرة يعقوب للشّرف المثلوم، ولم يغضب للفراش المنتهك، ولم يعاقب رأُوبين حسب شريعة التّوراة، فلم يُعدم، ولم تُعدم بلهة، وديست التّوراة أمام هذه الحادثة، ولم يُعمل بها، وهكذا نَبتَ ليعقوب قرنان ـ حسب رأي التّوراة ـ.

وقد ألصق كَتَبَةُ التّوراة هذه الحادثة بيعقوب لسببين؛ الأول تشويه سيرة يعقوب، الثّاني: لإبعاد رأُوبين من الوجه، كما أبعدوا شمعون ولاوي من قبل.

وحسب رأي التّوراة فإنَّ العقوبة ستنال رأُوبين وشمعون ولاوي، وسنناقش يهوذا فيما بعد، وبهذا أبعدوا رأُوبين من البكورية، ويُعلِّق جورجي كنعان على هذه الحادثة بقول المُحرِّر بصراحة متناهية، دون أي حرج أو شعور بالخجل، وذهب رأُوبين واضطجع مع بلهة زوجة أبيه، وسمع إسرائيل، فلم يغضب إسرائيل، ولا يَهْوَه ربّ إسرائيل، وكأنَّ المُحَرِّر أو مرتكب

الإثم لم يسمع بوصية موسى الواردة بأكثر من صفة، والمكررة في أكثر من فصل، أو كأنَّ المُحرِّر الذي يروي حادثة زنا رأوبين بزوجة أبيه هو غير المُحَرِّر الذي قال في أحد الأسفار المقدسة: لا تزن، وفي سفر آخر قال بصيغة نهي جازم: عورة أبيك؛ امرأة أبيك لا تكشفْ، وقال في سفر ثالث قارناً الإثم بالحكم المتوجب على مرتكبه: إذا زنى رجل مع امرأة قريبة فإنَّه يُقتل الزّاني والزّانية. وقال بصيغة تراوح بين التّعميم والتّخصيص: إذا وُجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يُقتل الاثنان، ثم صاغ هذه الشّريعة بصيغة محببة لدى أحبار العهد القديم، أعني بها صيغة اللعن، فقال ملعون مَنْ يضطجع مع امرأة أبيه[1].

وهكذا كانت الإساءة الأخيرة لسمعة يعقوب، ونحن نُنَزِّهُهُ عن ذلك، فهو رسول كريم، وابن رسول كريم، وحفيد رسول كريم، ووالد رسول كريم، نحن المسلمين نُكرِّمه، ونُعزُّه، ونحن لا ننتمي إليه إلا بالدِّين، فدينه الإسلام كما هو ديننا، وهم يدَّعون الانتماء إليه، وهم بعيدون عنه، فهو ليس إسرائيل، وهم لا يعرفونه، ولو كان الأمر كذلك لما شَوَّهُوه هذا التّشويه كلّه!!

6 ـ يهوذا:

هو الابن الرّابع ليعقوب من زوجته ليئة، وسَمَّته يهوذا، وحبلت أيضاً، وولدت ابناً، وقالت هذه المرة: أحمد الرّبّ، لذلك دعت اسمه يهوذا، ثم توقفت على الولادة، فيهوذا ـ حسب رواية التّوراة ـ المحمود، وعنه قال يعقوب في التّوراة في المباركات: «يهوذا إياك يحمد إخوتك، يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك، يهوذا جرو أسد، من فريسة صعدتَ يابني، جثاً وربض كأسد وكلبوة، مَنْ يُنهِضُه؟ لا يزول قضيبٌ من يهوذا ومشترعٌ من بين رجليه، حتى يأتي شِيلون وله يكون خضوع شعوب، رابطاً بالكرمة جَحشَهُ وبالجفنة ابن أتانه، غسل بالخمر لباسهُ وبدم العنب ثوبهُ، مسودٌّ العينين من الخمر، ومبيضٌّ الأسنان من اللبن»[2].

---

(1) جورجي كنعان، تاريخ يَهْوَه، ص84.

(2) تكوين 49/ 8 ـ 12/ .

غير أنَّ يهوذا ـ الذي حمدتهُ أمه وأبوه، وهو الذي انتسبوا إليه، وسمّوا اليهودية باسمه، وإليه انتسبوا ـ قد شَوَّهُوه في مَنْ شَوَّهُوا.

فما الحادثة التي شَوَّهُوا بها يهوذا؟

زَوَّجُوه من امرأة كنعانية، فهو قد خالف سُنَّةَ التّوراة وأحداثها، ووصايا عزرا وجماعته، وكان عليهم أنْ يحذفوا نسله، ولا يعترفوا به إطلاقاً، فأبناؤه ليسوا من نسلٍ صافٍ وعرقٍ ممتازٍ، وأمهم كنعانية مِمَّنْ لعنتهم التّوراة.

ولدت هذه المرأة الكنعانيةِ عيراً وأوثان وشيله، وكانوا يسكنون في كزيب حين ولدت هؤلاء الأولاد.

ولا أدري كيف استطاعت التّوراة أنْ تُوحِّد بين الآراء المتناقضة، فيهوذا اعتزل إخوته، وتزوج كنعانية، ووُلد له أولاد، شارك إخوته في التآمر على يوسف، ويهوذا اشترك مع إخوته في الميرة من مصر حينما تعرَّفوا على يوسف من جديد فأية رواية نصدق؟

على أية حال فهذه القضايا ليست محلَّ نقاشٍ الآن، وإنَّما نناقش الأمر الأهم في تشويه سيرته.

زوج يهوذا بكره عيراً فتاة تُدعى ثامار، ولا ندري عن ثامار هذه شيئاً، هل هي من آل إسرائيل، وإسرائيل ليس لديه إلا بنته دينة، وهي أخت ليهوذا، ولا تجوز له؟! ومن ثم هل هي كنعانية أم حثية؟ لم تُفصِّل التّوراة شيئاً عنها، ولكنَّ الأهم من هذا أنَّ ابنه البكر مات مخلفاً زوجته، وكان ـ حسب رأي التّوراة ـ أنْ تتزوج من أخيه، أونان ليقيم نسلاً مزعوماً لأخيه المتوفى، وتزوجها، ولكنه أفسد زرعه، فمات أيضاً، فقال يهوذا لثامار كنته: اقعدي أرملةً في بيت أبيك حتى يكبر شِيلة، وهو الثّالث الصّغير، لكنه خاف أنْ يموت أيضاً، وماتت زوجة يهوذا، وترمَّل، ولم يتزوج شِيلة من زوجة أخيه، فعمدت ثامار إلى الحيلة، فخلعت عنها ثياب ترمُّلها، وتغطت ببرقع وتلفَّفت، وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تِمْنَة، لأنَّها رأت أنَّ شِيلة قد كبر، وهي لم تعط له زوجه، فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنَّها كانت قد غطت وجهها، فمال إليها على الطّريق وقال: هاتي أدخل عليك، لأنَّه لم يعلم أنَّها كنَّتهُ فقالت: ماذا تعطيني لكي تدخل عليَّ؟ فقال: إنِّي أرسل جدي معزى من الغنم، فقالت: هل

تعطيني رهناً حتى ترسله؟ فقال: ما الرّهن الذي أُعطيكِ؟ فقالت: خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك، فأعطاها، ودخل عليها، فحبلت منه، ثم قامت، ومضت، وخلعت عنها برقعها، ولبست ثياب ترمّلها»[1]..

وهكذا زنى يهوذا بكنته ثامار، فولدت له ولدين فارص وزارح، ومن فارص صار النّسل الملكي؛ داود وأبناؤه.

واسمع الدّكتور صابر عبد الرّحمن طعيمة يقول: إلا أنَّ يهوذا الذي ارتبط به بعض من أبناء أبيه وأصبح اسمه يُمثّل معنى أسرياً ودينياً في تاريخ أولئك القوم عندما كبر وطعن في السّن، وأصبح في حال كان من الممكن أنْ يعفّ فيه، وأنْ تترفع جوارحه عن الخطيئة وإتيان النّساء زنى في دعارة فاحشة مفضوحة[2].

وإلى هذه الحال أشار ليوتاكسل فقال: عندما تسرق التّوراة لنا مشهداً مثل مغامرة ثامار فإنّه لابُدَّ من اقتباسه بالحرف الواحد، لأنَّ يَهْوَه هو مَنْ لعنه، إضافة إلى هذا ينبغي أنْ نلقي مزيداً من الضّوء على المشهد المعني لنظهر لآليء النّص المقدس كلها.

وهذا ما يحرم اللاهوتيين من كل إمكانية لإيهام القرّاء بأنّنا نخدعهم عبر تحريف الكتاب المقدس، فالقذارات المرتبطة بقصة ثامار وشناعتها كلها تؤلف جزءاً لا يُجتزأ من الكتاب المقدس، والكنيسة لا تدحضها على الرّغم من انحطاطها والاشمئزاز الذي تثيره في النّفس، أليس غريباً أنْ تقبل ثامار أنْ تصبح قحبة لوالد زوجيها بعد أنْ فشلت في زواجين متتالين؟

أولا يبدو غريباً أيضاً أنْ يدفعها هذا الفشل إلى رفع ساقيها تحت حميها انتقاماً منه لأنّه نسي أنْ يُزوِّجها ابنه الثّالث.

ويقول فولتير في هذا السّياق: إنّها وضعت الخمار لتشبه البغي، بيد أنَّ الأمر على النّقيض تماماً، لأنَّ الخمار كان دائماً من ملابس النّساء المحترمات، المستقيمات، ... ومما يزيد الأمر غرابة أنْ يمضي بطريرك عجوز مثل يهوذا مع قحبة ليفرغ شهوته فيها في وضح النّهار، وعلى طريق عام مغامراً بسمعته وهيبته، وأخيراً؛ ومن غير المعقول قط أنْ يجرؤ يهوذا ويأمر

---

(1) تكوين 38/ 14 ـ 19/ .

(2) طعمية صابر عبد الرّحمن، اليهود بين الدّين والتّاريخ، ص80.

بحرق كنته الحامل بغاءً حسب ظنه، وهو في أرض كنعان التي لا يملك فيها شيئاً، ومما يزيد الأمر غرابة هو أنْ يُنَفِّذَ أمره للتو، وتُضرم نار العقاب، وكأنَّه قاض في تلك الأرض[1].

إنَّنا أمام نصوص توراتية يعتقد بها اليهود والنّصارى معاً، والغريب أنَّ العقول النَّيِّرة في الطّرفين تقبل هذه النّصوص، ولا تُصححها، ولقد تفنَّنَ اللاهوتيون طويلاً، وأعمل كل منهم الفكر والفراسة لدراسة سلوك غير هذا الذي تمر به التّوراة مرور الكرام، وكانوا في أثناء ذلك يحسبون الحساب لنهاية هذه القصة، واضعين نصب أعينهم أنَّ يَهْوَه يريد أنْ يُخرج مسيحه من صلب هذا اليهوذا، فقد افترض كل عمل على شرح سلوك عير أنَّ هذا الأخير كان يضاجع ثامار في مؤخرتها لأنَّه لم يكن يريد أنْ ينجب أطفالاً فقتله يَهْوَه، ودليلهم على ذلك أنَّ الكتاب المقدس نفسه يقول، وكان عير شريراً في عيني الرّبّ، وهو القول الذي نطق يَهْوَه به عندما كان يصبُّ غضبه على سَدُوم.

لنا بعد هذا أنْ نقف عند نقاط:

1 ـ إذا كان يهوذا حَمَدَهُ والده وأمه زانياً وهو في شيخوخته فكيف كان في شبابه؟

2 ـ حسب نص التّوراة، فإنَّ يهوذا يُقتل لأنَّه زنى بكنته، والزّنا بالكنة من المحرمات.

3 ـ إذا كان رأُوبين قد زنا وعليه الموت وكذلك يهوذا، فإنَّ شمعون ولاوي فقد قُتلا، والقاتل يُقتَل؛ معنى ذلك أنَّ أربعة أسباط من إسرائيل بحكم الميت والمقتول، فماذا تبقى لهم؟!

7 ـ داود:

يُعَدُّ داود عند اليهود مؤسس أمجادهم، فهو الذي وَطَّدَ المُلكَ لهم، وهو الذي جعلهم أمة بين الأمم الكثيرة، وهو الذي فتح البلاد، ودوّخ العباد، ومازالوا ينتظرون خروج المسيح من صلبه، ليقود اليهود إلى شاطئ السّلامة، ويُخلّصهم من جور الأمم، ورغم ذلك فقد شُوِّهَت سيرة داود تشويهاً سيئاً.

---

(1) ليوتاكسيل، التّوراة، ص145.

أ - داود ونسبه:

جعلته التّوراة من نسل يهوذا الزّاني ، ولو ساقت نسبه في شِيلة لقلنا إنَّ نسبه يعتوره الشّكّ ، فأم شِيلة كنعانية ، وهذا ما يعيب نسبه بالنّسبة لآراء التّوراة ، ولكنهم أرادوا أنْ يوغلوا في تشويه سيرته ، فقد جعلوه من نسل زانية وزان ، من نسل ثامار المرأة التي أخفقت في زواجين اثنين وترمَّلت مرتين ، ثم زنت بأبي زوجها ، فولدت من هذا الزّنا ولدين توأمين فارص الجد الأعلى لداود وزارح .

فداود جدته كنعانية ابنة شوع ، وجدته ثامار الزّانية التي لم تعرفنا التّوراة على أصلها ونسبها .

يهوذا وَلَدَ فارص ، ووَلَدَ فارص حصرون ، ووَلَدَ حصرون رام ، ووَلَدَ رام عميناداب ، وهو وَلَدَ نحشون ، ونحشون وَلَدَ سلمون ، وسلمون وَلَدَ بوعز ، وهو بدوره وَلَدَ عوبيد ، وعوبيد وَلَدَ يسي ، ويسي وَلَدَ داود .

فداود هو الجيل العاشر من الزّنا ، وإذا عددنا فارص الأول لهذا - حسب رواية التّوراة - لا يدخل ملكوت السّموات .

وهو الجيل العاشر من أم كنعانية ، إذا عددنا ثامار كنعانية .

وقد أدخَلَتْ التّوراة في نسبه عيباً آخر ، امرأة أخرى ؛ إنَّها راعوث المؤابية ، وهي التي زنت ببوعز قبل زواجها منه ، أو قل إنَّها نامت في فراشه ، كما قالت التّوراة قبل أنْ تتزوجه ، وإذا ما عرفنا أنَّ راعوث ولدت عوبيد ، ووَلَدَ عوبيد يسي ، ووَلَدَ يسي داود .

فعوبيد الجد الأول لداود ، ونسل الموابية لا يدخل ملكوت السّموات حتى الجيل العاشر ، وبهذا حُرم داود من ناحية نسبه من الزّنا ومن كنعان ومن مؤاب وحسب هذا المغمز .

ب - داود الزّاني:

لقد نُبِّهنا نحن المسلمين عن رواية هذه القصة ، فقد رُوي عن الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : أنَّ مَنْ روى قصة داود كما وردت في التّوراة أقمتُ عليه حَدَّ قذف الأنبياء ، وحَدُّ قذف الأنبياء مئة وستين جلدة .

ولقد نبَّه إلى كذب هذه القصة الإمام الفخر الرّازي - رضي الله عنه - في كتابيه عصمة الأنبياء والتّفسير الكبير.

ورغم ذلك فقد انخرط كثير من المفسِّرين الذين اتبعوا أقوال اليهود ككعب الأحبار ومَنْ والاهم إلى إيراد القصة في التّفسير كما وردت في التّوراة، وحينما أرويها لا أرويها على أنّها حادثة صحيحة، وإنّما أوردها من حيث إنَّ اليهود شوَّهُوا سيرة الأنبياء، فقد أوردتُ قبله إبراهيم عليه السّلام، وإسحق ويعقوب عليهما السّلام، وهاأنذا مع داود عليه السّلام.

فلنرَ الآن كيف وردت القصة في التّوراة: «وكان في وقت المساء أنَّ داود قام عن سريره وتمشَّى على سطح بيت الملك، فرأى من على السّطح امرأة تستحمُّ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هذه بشثبع بنت أليعام امرأة أوريَّا الحثِّي؟.

فأرسل داود رُسُلاً وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهَّرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إنِّي حبلى». صموئيل الثّاني 11/ 2 - 5/.

مَلِكُ إسرائيل يخالف وصية التّوراة؛ لا تشتهِ امرأة قريبك أو جارك.

مَلِكُ إسرائيل يخالف إحدى الوصايا العشر؛ لا تزنِ.

وهذا يُقتَلُ - حسب آراء التّوراة - هو والمرأة، لأنَّه كانت باستطاعتها أنْ تستغيث، ولكنها لم تفعل.

ولم يُعاقَبْ داود على زناه، وكل ما في الأمر أنَّ ناثان النّبي قد نبَّهه إلى سوء عمله، لكنْ؛ بعد فوات الأوان.

ولم يكتفِ داود بهذا، بل إنَّه أكمل الزّنا، فقتل زوجها شر قتلة.

ج - داود القاتل:

وهنا تقوم الجريمة الثّانية، فأوريَّا الحثِّي جندي، أو قائد عند داود، محارب في جيشه، وهو يبذل دمه في سبيل عرش داود الذي لا همَّ له إلا الزّنا بزوجات المحاربين، ومن ثم التّآمر عليهم وقتلهم لئلا ينكشف أمره.

ولنسمع لحديث التّوراة: « فأرسل داود إلى يوآب يقول: أَرسِلْ إليّ أوريّا الحثّي، فأرسل يوآب أوريّا إلى داود، فأتى أوريّا إليه، فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشّعب ونجاح الحرب، وقال داود لأوريّا: انزل إلى بيتك واغسلْ رجليك، فخرج أوريّا من بيت الملك، وخرجت وراءه حصّة من عند الملك. ونام أوريّا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريّا إلى بيته، فقال داود لأوريّا: أما جئتَ من السَّفر؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريّا لداود: إنَّ التّابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصّحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي، وحياتك وحيوة نفسك، لا أفعل هذا الأمر، فقال داود لأوريّا: أقمْ هنا اليوم أيضاً، وغداً أطلقكَ، فأقام أوريّا في أورشليم ذلك اليوم وغده، ودعاه داود فأكل أمامه، وشرب، وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل، وفي الصّباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب، وأرسله بيد أوريّا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريّا في وجه الحرب الشّديدة، وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت[1].

وقُتل أوريّا كما تقول التّوراة.

ولم يفعل ناثان النّبي مع داود سوى أنّه عاتب داود عتاباً رقيقاً، فهل ضعفت النّبوة أمام داود، ولم تَعُدْ كما كانت في أيام شاول حينما غضب عليه صموئيل.

هل الزّنا بامرأة يهودية وقتل زوجها أهون - في عُرف التّوراة - من عدم قتل أجاج ملك الكنعانيين؟ أم أنَّ صموئيل كان أشدّ شكيمة، والملك أقل هيبة؟ أم أنَّ القصة مفتراة، ولا حقيقة لها؟

لي على هذا النّص عدة نقاط أحبُّ أنْ أناقشها قبل أنْ أنتقل منها إلى نقاط أخرى.

1 - إنَّ بشِشبع بنت أليعام هل هي يهودية أم كنعانية؟ فإذا كانت كنعانية فإنَّ ابنها سليمان لا يدخل ملكوت السّموات حسب التّعبير التّوراتي.

(1) صموئيل الثّاني 11/ 6 - 15/.

2 ـ إذا كانت بشثبع إسرائيلية فكيف تزوجت من أوريًا الحثّي، وهذا مُحرَّمٌ حسب رأي التّوراة.

3 ـ كيف سمحت لداود بالزّنا بها، وهي التي يجب أنْ يدافع عنها بنو إسرائيل كما فعلوا في زوجه اللاوي حينما حاربوا سبط بنيامين وأفنوه من أجل المرأة التي زنا بها بعض رجال بنيامين؟

4 ـ ويقول جورجي كنعان: (ولعل أقذر فصول الغدر التي مَثَّلَهَا آباء بني إسرائيل وأنبياؤهم وملوكهم بين دفّتَي الكتاب المقدس هو الفصل الذي قام به داود الملك النّبي بدور البطولة فيه.

ففي إحدى الأسباب صعد داود إلى سطح داره وجعل يسرح نظره في بيوت جيرانه، فآنس عن كثب امرأة تستحمُّ في دارها، فَأَحَدَّ النّظرة إليها فإذا هي شابة ممشوقة، أسرى منظرها الدّمَ ساخناً في شرايينه، فأرسل يستقدم بعض جيرانه سائلاً عنها وعن أخبارها.

فداود يسطو على زوجة أحد جنوده أثناء غيابه في جبهة الحرب يحامي عن داود ومملكته، ثم يتآمر هذا الملك النّبي على حياة الجندي، ليخلو له الجو، فيتزوج المرأة الجميلة التي زنا بها، ولعل حبكة المؤامرة من أشرس وأقذر الوسائل التي عرفها التّاريخ في الوصول إلى الغاية. فداود النّموذج الفريد في الغدر والعدوان والقسوة والخداع حَمَّلَ أوريًا الحثّي النّموذج الكنعاني رمز الشّهامة والتّرفع، والإخلاص والإحساس بالواجب والشّعور بمشاركة الآخرين، حمل كتاب موته، ورفض أوريًا أنْ يعاشر زوجته، وعاد إلى الجبهة ليعاشر الموت دفاعاً عن داود، ولم يكن يدري أنّه يحمل بيده كتاب موته، في أقذر عجلة غدر وخداع حفظها بين دفّتيه كتاب مقدس أو غير مقدس[1].

ويُعلّق صابر طعيمة على هذه الحادثة بقوله:

ومن عجب أنَّ التّوراة التي تنفرد بهذه الرّواية في الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثّاني، لا يدري مؤلفها أنّه بما قصّهُ وسجّله، فإنّه قد مسح الصّورة الدّينية والتّاريخية

---

(1) كنعان جورجي، تاريخ يَهْوَه، ص76.

للنّبي داود، وحاشا لنبي الله أنْ يكون كذلك، إنَّه ـ حسبما يُستفاد من هذه الرّواية ـ فإنَّ داود لم يكن رجلاً على خلق الرّجال كريماً في نفسه ولم يكن عفاً طاهراً، ولم يكن نظيف السّلوك، بل كان شهوانياً يحبُّ النّساء، ويقصدهن، ومن أعجب العجب أنَّه لم يكن النّموذج الذي تحدَّثت عنه التّوراة سوى صور غير دينية وغير مقدسة على الإطلاق، بل إنَّها نموذج للقبح الأخلاقي والخلخلة الاجتماعية، وانعدام القيم الدِّينية كلها، ولم يفطن الكاهن مُؤلِّف الآيات هذا السِّفر أنَّه قَدَّمَ الدّليل المباشر على أنَّ داود لم يكن يشغل باله بالدّعوة الدِّينية، ولا بتأصيل مبادئها وتقرير قواعدها، والدّعوة إليها، ولم تكن هنالك دعوة دينية على الإطلاق، ولم يكن فيما يُنسب إلى داود ـ على حَدِّ رواية التّوراة ـ أوفى أثر تركه في توجيه أو تقويم أو محاولة خلق قيم جديدة، وربط النّاس بها، أو محاولة لمقاومة انحراف أو خطيئة[1].

د ـ داود رجل الدّماء:

هذه السِّمة وسَمَتْهُ التّوراة بها، وحتى أبعدته عن بناء الهيكل، لأنَّها رأت فيه رجل الدّماء، والغريب في الأمر أنَّها لم تصف يشوع رجل المجازر برجل الدّماء، وهو الذي أحرق المدن، وحرم الرّجال والنّساء والزّروع والمواشي، ووصفت داود بذلك، علماً أنَّه أقلّ بطشاً من يشوع، وأقلّ رهبة منه.

وكذلك غضب الرّبّ على شاول لأنَّه لم يحرم أجاج ملك الكنعانيين وماشيته، فكيف صح هذا الوصف لداود؟

1 ـ معركته مع العمالقة في صقلغ؛ صموئيل الأول 30/ 1 ـ 26، فضربهم داود من العتمة إلى مساء غدهم، ولم ينج منهم رجل. وكان الفلسطينيون العمالقة أرحم منه، فهم حينما غزوا صقلغ حافظوا على نساء داود وأبناء المدينة، لكنها أوامر الرّبّ يَهْوَه التي تقضي بإبادة العدو.

2 ـ محاربته للفلسطينيين في وادي الرّفائين؛ صموئيل ثاني 5/ 22.

3 ـ محاربته للفلسطينيين في بعل فراصيم؛ صموئيل ثاني 5/ 19.

---

(1) طعيمة صابر عبد الرّحمن، اليهود بين الدِّين والتّاريخ، ص239.

4 ـ محاربته لبني عمُّون في مدينة إيبشاي؛ صموئيل ثاني 10/ 13.

5 ـ محاربته للآراميين في حيلام؛ صموئيل ثاني 10/ 17.

6 ـ مقتل أوريًّا الحثّي بيد داود، إذ أرسله يحمل كتاب موته؛ صموئيل ثاني 11/ 14 ـ 26/ .

7 ـ محاربته لابنه أبشالوم؛ صموئيل الثّاني فصول 15 و16 و17 و18، ومقتل أبشالوم.

8 ـ حرب مع الفلسطينيين؛ صموئيل الثّاني 21/ 15.

9 ـ حرب مع الفلسطينيين؛ صموئيل الثّاني 21/ 18.

10 ـ حرب مع الفلسطينيين؛ صموئيل الثّاني 21/ 19، وفي هذه الحروب قتل أولاد رافا الأربعة.

11 ـ حربه مع موآب؛ أيام أول 18/ 1 ـ 2/ .

12 ـ حربه مع الفلسطينيين في جازر؛ أخبار الأيام الأولى 20/ 1.

هذه حروب داود كلها، ولم تصفه التّوراة بأنّه أحرق ودَمَّرَ كما فعل يشوع، بل إنَّ أعماله إذا قيست بيشوع لا تعادل ربع أعمال يشوع، فلماذا وصفته برجل الدّماء؟

لقد أكدت في كتابي ما بين موسى وعزرا[1] أنْ داود لم يكن إسرائيلياً، ولهذا لطّخته التّوراة كما لطّخت يعقوب وإسحق وإبراهيم.

هـ ـ داود وأسرته:

1 ـ أمنون يغتصب أخته ثامار ويطردها بعد أنْ أذلّها ورفض أنْ يتزوجها، وسمع داود ولم يفعل شيئاً لأمنون، صموئيل الثّاني 13، الفصل كله، وقتل أبشالوم أمنون لفعلته هذه، وهرب أبشالوم إلى الملك جشور تلماي بن عميهود.

2 ـ أبشالوم يغتصب زوجات داود بعد أنْ ثار عليه صموئيل الثّاني؛ الإصحاح السّادس عشر 20/ 23.

(1) مابين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية، دار الأوائل، ط1، دمشق، 2003.

وتُعَقِّب التّوراة: وكانت مشورة أخيتوفل التي كـان يشير بها في تلك الأيام كَمَنْ يسأل بكلام الله، هكذا كل مشورة أختيوفل على داود وعلى أبشالوم معاً.

فهل اغتصاب أبشالوم لزوجات أبيه كلام الله؟! تنزَّه عن ذلك وتعالى أنْ يأمر الله بمثل هذا الفعل.

ويقول الدّكتور محمد عبد الله الشّرقاوي في هذا الصّدد: ويبدو جلياً أنَّ النّذل الوسخ واضع أسفار العهد القديم الحالية يلحُّ إلحاحاً، ويتهافت على تلطيخ شرف داود عليه السّلام الذي جمع الله له النّبوة والحكم معاً، فوصمه بأحطّ المناكر وأرذلها دركاً، ولم يكتف بما مرَّ من اتهامه بأنَّه سليل زنا، فحدَّثَ عن بيت داود وصوَّره على أنَّه زنا وفسوق ودعارة وفجور لا على أنَّه بيت نبوة وحكم وملك، فهاهم أولاده يزنون بإخوانهم، ويزنون بنساء أبيهم علانية أمام أعين الشّعب، فأمنون ابنه يزني بأخته ثامار، وأبشالوم تُقام له خيمة على سطح بيت الملك فيدخل على نساء أبيه أمام جميع إسرائيل[1].

ويقول جورجي كنعان في هذا الصّدد: (فكأنَّ ملك الملوك داود النّبي وابنيه أبشالوم وأمنون لم يكونوا على علم بوصية موسى التي دَوَّنها المُحَرِّر بأكثر من صفة، وفي أكثر من فصل، فاضطجع داود مع بشسبع امرأة أوريًّا الحثِّي، فيما كان أوريًّا في الجبهة يدافع عن مملكة داود، واضطجع أمنون مع أخته ثامار، واضطجع أبشالوم مع زوجات أبيه داود[2].

و ـ داود على فراش الموت:

لم يعش داود طويلاً، فقد مات وهو في السّبعين، ظل أربعين سنة ملكاً، وملك وهو في الثّلاثين، ولكنَّ التّوراة أَبَتْ أنْ تتركه من غمزاتها، وهو على فراش الموت، فجعلته يرتكب ثلاثة أخطاء قاتلة.

---

(1) شرقاوي محمد عبد الله، مقارنات في الأديان، ص217.

(2) كنعان جورجي، تاريخ يَهْوَه، ص85.

1 ـ عَدّ داود الشّعب وأحصاه:

وتناقضت التّوراة في هذا الخطأ أي تناقض، فقد أورد كاتب سفر صموئيل الثّاني أنَّ الرّبّ هو الذي دفع داود إلى إحصاء الشّعب، وجعل إحصاءه غضباً، (وعاد فحمي غضب الرّبّ على إسرائيل، فأهاج عليهم داود قائلاً: امض واحص، إسرائيل ويهوذا، فقال الملك ليوآب رئيس الجيش الذي عنده: طُفْ في جميع أسباط إسرائيل من دان إلى بئر سبع وعُدُّوا الشّعب، فاعلم عدد الشّعب، فقال يوآب للملك: ليرد الرّبّ إلهك الشّعب أمثالهم مئة ضعف وعينا سيدي الملك ناظرتان، ولكنْ؛ لماذا يُسَرُّ سيدي الملك بهذا الأمر؟ فاشتدَّ كلام الملك على يوآب وعلى رؤساء الجيش فخرج يوآب ورؤساء الجيش من عند الملك ليعدُّوا الشّعب). صموئيل الثّاني **24/ 1 ـ 5**.

أما كاتب سفر أخبار أيام الأول فقد قال عن الحادثة نفسها:

(ووقف الشّيطان ضدّ إسرائيل وأغوى داودَ ليحصي إسرائيل، فقال داود ليوآب ولرؤساء الشّعب: اذهبوا عُدُّوا إسرائيل من بئر سبع إلى دان، وأْتُوا إليَّ، فأعلم عددهم، فقال يوآب: لِيَزِد الرّبُّ على شعبه أمثالهم مئة ضعف، أليسوا جميعاً يا سيدي الملك عبيداً لسيدي، لماذا يطلب هذا سيدي؟ لماذا يكون سبب إثم لإسرائيل) أخبار الأيام الأول **21/ 1 ـ 3/** .

وبين هذين السِّفرين يضيع القارئ، فهل الذي أمرَ داودَ يَهْوَه أم الشّيطانُ؟

إذا كان الذي أمر يَهْوَه فلماذا سَلَّ سيف نقمته، وقتل من بني إسرائيل سبعين ألف إنسان (رجل)؟

ولماذا ندم يَهْوَه على قتل بني إسرائيل، وكف عن إهلاك أورشليم؟ وإذا كان الشّيطان هو الذي أمرَ داودَ كما في سفر أخبار الأيام الثّاني فهل كان داود عبداً للشّيطان؟

وكيف اكتشف يوآب أنَّ ذلك إثم لبني إسرائيل؟

ولماذا عوقب الشّعب فأمات يَهْوَه من بني إسرائيل سبعين ألف رجل؟ لماذا لم يعاقب داود وهو صاحب فكرة الإحصاء، وقد نفَّذها متبعاً أوامر الشّيطان؟

أفليست هذه الكذبة التي اخترعها كَتَبَةُ العهد القديم لتكون مُبَرِّراً لامتلاك بيدر أرونان اليبوسي؟!

وكان ما أراده كَتَبَةُ التّوراة تبرير الكذب بكذب . .

لقد أماتوا سبعين ألف مستل سيف من أجل امتلاك بيدر أرونان اليبوسي بالكذب، أفلا يميتون الآن مئات الألوف من بني جلدتهم ليمتلكوا أرض فلسطين؟ أفلا يكتبون غداً لأجيالهم أنَّهم قد قَدَّموا ملايين الضّحايا من أجل أنْ يعضوا بالنّواجذ على أرض فلسطين، أرض الميعاد؛ الكذبة الكبرى في تاريخ العالم؟

ويقول ليوتاكسل على هذه الفقرة: (ثمة عدد من الملاحظات:

1 ـ يقول النّص التّوراتي نفسه: وحمي غضب الرّبّ على إسرائيل فأهاج عليهم داود... ولكنَّ ثورة هذا العجوز ما لبثت أنْ اندلعت عاتية بشعبه المختار عقوبة صارمة لأنَّه نَفَّذَ المهمة التي أرغم داود عليها. وبهذا يُقدِّم لنا الكتاب المقدس يَهْوَه عدواً لدوداً للجنس البشري.

2 ـ في الأسفار الخمسة أمر يَهْوَه نفسه بإجراء الإحصاء ثلاث مرات، فلماذا لم يغضب يَهْوَه في تلك المرات الثّلاث؟!

3 ـ ليس ثمة إجراء أكثر فائدة وعقلانية من الإحصاء الدّقيق لعدد السّكان، لقد كان سلوك داود هذا سلوك رجل مُتبشِّر حكيم، إضافة إلى كونه سلوكاً مقدساً مُوحىً به من فوق من لدن يَهْوَه.

4 ـ يسخر النّقاد كلهم من تأكيد التّوراة على وجود مليون وثلاثمائة ألف مقاتل عند داود في بلاده الصّغيرة، إذا عددنا أنَّ الجنود يؤلفون خمس عدد السّكان فقط، فهذا يعني أنَّ عدد اليهود وحدهم كان في فلسطين ستة ملايين ونصف المليون، وكان يعيش في تلك البلاد إضافة إلى اليهود الكنعانيون والفلسطينيون.

5 ـ في سفر أخبار الأيام الأول ـ الذي يؤلف جزءاً لا يُجتزأ من أسفار التّوراة القانونية، وغالباً ما يناقض مؤلفات الوحي الإلهي الأخرى ـ يبلغ عدد الجنود اليهود وبموجب هذا الإحصاء نفسه مليوناً واحداً وخمسمائة ألف وسبعين رجلاً، وهذا يرفع عدد السّكان اليهود إلى رقم آخر غير معقول.

6 ـ يرى النّقاد في إرسال النّبي جاد إلى النّبي داود ليختار إحـدى العقوبـات الثّلاث عمـلاً صبيانياً، لا يليق بالعظمة الإلهية.

ويرون في هذه الوحشية الإلهية شكلاً من أشكال التّهكم والسّخرية يجب أنْ لا يكـون لـه مكان في كتاب يظهر الله على صفحة من صفحاته.

2ـ الخطأ الثّاني القاتل عند داود على فراش الموت:

لقد شاخ داود وهو ابن سبعين سنة، فاحتـاج إلـى فتـاة عـذراء حاضنـة، وعـاش إبراهيـم / 175/ سنة، ولم يحتج إلى فتاة حاضنة، ولكنها التّوراة التي تصدر المتناقضـات، هـذه الفتـاة الحاضنة ستكون سبباً من أسباب الصّراع بين الأخوة أبناء داود، بين أدونيًّا وسليمان، أدونيًّا بن حجّيـت وسـليمان بـن بشّشـبع ابنـي داود، وقـد كـان الصّـراع سـابقاً بينـهما مـن أجـل المُلْـك، وسنناقش هذا في فقرة خاصة من سليمان.

« وشاخ الملك داود، تقدَّم في الأيام، وكانوا يُدثِّرونه بالثّياب، فلم يدفأ، فقال له عبيده: ليفتِّشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء، فلتقفْ أمام الملك، ولتكـن لـه حاضنـة، ولتضطجـع في حضنك، فيدفأ سيدنا الملك، ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل، فوجدوا أبيشج الشّونميَّة، فجاءوا بها إلى الملك، وكانت الفتـاة جميلـة جـداً، فكـانت حاضنـة الملـك، وكـانت تخدمه، ولكنَّ الملك لم يعرفها »[1].

قلنا عاش إبراهيـم 175 سنة، وعـاش موسـى مائـة وعشـرين سـنة، وعـاش يوشـع مائـة وعشر سنوات، ولكنهم لم يحتاجوا إلى حاضنة، فلماذا احتاج داود وهـو أصغرهـم سـناً إلـى هذه الحاضنة؟!

ليست القصة إلا تشويهاً لسيرة داود، وتؤكد القصة أنَّ داود لم يعرف؛ أي لم يتزوجـها، فقد وصلت به السّنون إلى العنة، بينما إبراهيم تزوج قطورة بعدمـا مـاتت سـارة، وكـان عمـره 145، وأولدها أربعة أولاد؛ مدان ومديان ويشباق وشوحا.

---

(1) ملوك أول 1/ 1 ـ 4/.

ولكنـها التّـوراة، وكَتَبَتُـهَا يخلقـون المعجــزات، ويُحلّقــون في خيالــهم، فيضعــون الأعاجيب، هذه الفتاة كانت سبباً في مقتل أدونيًا بن حجّيت.

ألستَ معي قارئي الكريم في أنّ الغطاء الأنثوي النّاعم الدّافئ الغـض يزيـد مخيلـة الرّوح المقدس شرفاً؟!

«لقد أكد كالميت الذي آمن إيماناً أعمى بما في التّوراة على أنّه كانت للحسـناء قـدرة كبـيرة على بعث الحياة في جسد إنسان بلغ السّبعين من عمره.

ويقول هذا العالم الكاهن ـ في معرض تأكيده على صحة الرّواية المقدسة ـ إنّ طبيباً يـهودياً نصـح الإمـبراطور فريدريـك بربروسـا بـالنّوم مـع فتيـان بـالغين يـافعين ملقيـاً إيـاهم عـراة فـوق صدره، بيد أنّ أحداً لن يستطيع حمل فتـى فـوق صـدره طـول الليـل، ويضيـف كـالميت لذلـك استخدموا للأغراض نفسها كلاباً صغيرة الحجم»[1].

«ثم جاء أدونيًا ابن حجّيـث إلـى بشـشـبع أم سـليمان، فقـالت: أللسّـلام جئـتَ؟ فقـال: للسّلام، ثم قال: لي معك كلمة، فقالت: تكلّم، فقال: أنت تعلمين أنّ المُلك كان لـي، وقـد جعل جميع إسرائيل وجههم نحوي، لأملك، فدار الملك وصار لأخـي، لأنّـه مـن قِبَـلِ الـرّبّ صار له، والآن أسألكِ سؤالاً واحداً فلا تردّيني فيه، فقالت له: تكلَّمْ. فقال: قولي لسـليمان الملك لأنّه لا يَرُدُّكَ أنْ يعطيني أبيشج الشّونميَّة امرأة، فقالت بششـبع: حسـناً، أنـا أتكلّـم عنـك إلى الملك، فدخلت بششبع إلى الملك سليمان لتكلّمه عـن أدونيّـا، فقـام الملـك للقائـها وسـجد لها، وجلس على كرسيه، ووضع كرسياً لأم الملك، فجلست عن يمينه، وقالت: إنَّما أسـألك سؤالاً واحداً صغيراً، لا تردّني، فقال لها الملك: اسألي يا أمي لأنـي لا أردُّك، فقـالت: لتُعطِ أبيشج الشّونميَّة لأدونيًا أخيـك امـرأةً، فأجـاب الملـك سـليمان وقـال لأمـه: ولمـاذا أنـت تسـألين أبيشج الشّونميَّة لأدونيًا فاسألي له المُلك لأنّـه أخي الأكـبر مني، لـه ولأبياثـار الكـاهن وليـوآب ابن صروية.

(1) ليوتاكسيل، التّوراة، ص365.

وحلف سليمان الملك بالرّبّ قائلاً: هكذا يفعل لي الله، وهكذا يزيد إنَّه قد تكلّم أدونيًا بهذا الكلام ضدَّ نفسه» ملوك أول 2/ 13 ـ 23/ .

وهكذا كانت أبيشج الشّونمية سبباً في مقتل أدونيًا. والذي ألاحظه أنَّ العادة في بني إسرائيل أنَّه يرثون زوجة الأب، والذي يرث زوجة الأب يرث الملك، لهذا عَدَّ سليمان أنَّ مطالبة أدونيًا بالفتاة كمطالبته بالملك، ولهذا قَتَلَ سليمانُ أدونيًا.

3 ـ الخطأ الثّالث لداود وهو على فراش الموت؛ وصمة داود وسليمان:

لن أتكلّم عن الصّراع الآن بين أدونيًا وسليمان، فسأتكلّم عنه حينما أتكلّم عن سليمان وأخطائه التي وصمته التّوراة بها، أما الآن فإنَّ وصية داود هي الخطأ الثّالث الذي وقع به داود، كما قالت التّوراة، في وصية داود:

«ولما قربت أيام وفاة داود أوصى سليمانُ ابنَهُ قائلاً: أنا ذاهبٌ في طريق الأرض كلها، فتشدَّد وكُنْ رجلاً، احفظ شعائر الرّبّ إلهك، إذ تسير في طرقه، وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب في شريعة موسى، لكي تفلح في كل ما تفعل وحيثما توجَّهتَ، لكي يقيم الرّبُّ كلامَهُ الذي تكلَّم به عني قائلاً: إذا حفظ بنوك طريقهم وسلكوا أمامي بالأمانة من كل قلوبهم وكل أنفسهم قال: لا يُعدَم لك رجلٌ عن كرسي إسرائيل، وأنت أيضاً تعلم ما فعل بي يوآب ابن صروية ما فعل لرئيسي جيوش إسرائيل ابنَير بن نَير وعماسا بن يث، ر إذ قتلهما وسفكَ دم الحرب في الصّلح، وجعل دم الحرب في منطقته التي على حقويه، وفي نعليه اللتين برجليه، فافعل حسب حكمتكَ، ولا تدع شيبته تنحدر بسلام إلى الهاوية، وافعل معروفاً لبني برزلاّي الجلعادي، فيكونوا بين الآكلين على مائدتكَ لأنَّهم هكذا تقدَّموا إليَّ عند هربي من وجه أبشالوم أخيك، وهو ذا معك شمعي بن جيرا البنياميني من بحوريم، وهو لعنني لعنةً شديدةً يوم انطلقتُ إلى محنايم، وقد نزل للقائي إلى الأردن فحلفتُ له بالرّبّ قائلاً: إنّي لا أميتُكَ بالسّيف، والآن فلا تبرّره لأنك أنت رجل حكيم، فاعلم ما تفعل به، واحدر وشيبته بالدّم إلى الهاوية». ملوك أول 2/ 1 ـ 9/ .

خير ما أقول في هذه الوصية ما قاله ليوتاكسل :

(لقد مات داود كما عاش نذلاً خسيساً قائلاً : وأظهر غدر ابنير لاشمئزاز لما أوصى بقتل قائد جيشه يوآب بن صروية يوآب أكثر خدمه إخلاصاً على امتداد أربعين سنة ، إنَّه القائد الذي يدين له مسيح الرّبّ هذا بالتّاج الذي أقام فوق رأسه تلك السّنين كلها ، كما حنث على فراش الموت بوقاحة لا مثيل لها عندما أوصى بقتل شمعي الذي تظاهر بأنَّه عفا عنه ليظهر بمظهر الملك الكبير القلب ، ووعده بألا يتعرض لحياته ، قصارى القول إنَّ داود بقي وغداً فغادراً حتى آخر نسمة في حياته)[1] .

هكذا أرادته التّوراة أنْ يكون مثالاً للغدر والمكر والدّناءة والنّذالة ، وهو أجَلُّ وأسمى من أنْ تكون هذه صفاته ، ولكنَّ كَهَنَةَ اليهود يفعلون ما يريدون ، أهذا هو داود الذي يريد اليهود أنْ يُحيوا دولته وهم يضعون نجمته السّداسية على علمهم؟ أهذا هو داود النّبي المرسل عند المسلمين والمسيحيين؟

لا ، لا يُعقل أنْ يكون هذا داود الذي عرفناه في قرآننا الكريم والذي أراد النّصارى أنْ ينسبوا إليه مسيحهم .

ومن الواضح تماماً أنَّ أسرة داود ليست هذه الأسرة التي وصفتها التّوراة ؛ مباذل جنسية بين الأقارب ، فالأخ يغتصب أخته ويطردها ، والابن يركب زوجات أبيه ويغتصبهن أمام جموع بني إسرائيل ، ولا نكاد نخرج من قذارة من آل داود حتى نغوص في قذارة أخرى .

يُطلِّق داود المرأة من زوجها بالقوة ، ويأخذها ميكال بنت شاول التي زَوَّجَها والدها لفلطي بن لابش .

وإنَّه لتزداد دهشتنا حينما نعلم أنَّ يَهْوَه أرسل المجاعة ، لأنَّ شاول كان قد اتَّخذ موقفاً عدائياً تجاه شعب ليس شعب يَهْوَه ، وعلينا أنْ نقرَّ مع النّقاد جميعهم بأنَّ هذه الجريمة هي من أكثر الجرائم التي ارتكبها داود بشاعة وخسة ودناءة حسب تصوير التّوراة .

---

(1) ليوتاكسيل ، التّوراة ، ص368 .

« وكان جوعٌ في أيام داود ثلاث سنين ، سنة بعد سنة ، فطلب داود وجهَ الرّبّ ، فقال الرّبّ : هو لأجل شاول ولأجل بيت الدّماء لأنّه قتل الجبعونيين ، وقال لهم ، والجبعونيون ليسوا من بني إسرائيل ، بل من بقايا الأموريين ، وقد حلف لهم بنو إسرائيل ، وطلب شاول أنْ يقتلهم لأجل غيرته على بني إسرائيل ويهوذا .

قال داود للجبعونيين : ماذا أفعل لكم؟ وبماذا أُكفِّر فتباركوا نصيب الرّبّ ، فقال له الجبعونيون : ليس لنا فضة ولا ذهب ، عند شاول ولا عند بيته وليس لنا أنْ نُميت أحداً في إسرائيل ، فقال مهما قلتم : أفعله لكم ، فقالوا للملك : الرّجل الذي أفنانا والذي تآمر علينا ليبيدنا لكي لا نقيم في كل تخوم إسرائيل ، فلنُعطَ سبعة رجال من بنيه فنصلبهم للرّبّ في جبعة شاول مختار الرّبّ ، فقال الملك : أنا أعطي ، وأشفق الملك على مفيبوشت بن يوناثان بن شاول من أجل يمين الرّبّ التي بينهما ، بين داود ويوناثان بن شاول .

فأخذ الملك ابنَي رصفة ابنة أيّة اللذَين ولدتهما لشاول ارموني ومفيبوشت ، وبني ميكال ابنة شاول الخمسة الذين ولدتهم لعدريئيل بن برزلاّي المحولي ، وسلّمهم إلى يد الجبعونيين ، فصلبوهم على الجبل أمام الرّبّ ، فسقط السّبعة معاً ، وقُتلوا في أيام الحصاد »[1] .

لي على هذا النّص ما يلي :

1 ـ لم نرَ يَهْوَه غضب لشعب من الشّعوب غير بني إسرائيل ، وقد احتال الجبعونيون كما تقول التّوراة حتى نالوا عهداً من يشوع .

2 ـ لم يكن زوج ميكال بنت شاول عدريئيل بن برزلاّي المحولي ، وإنّما كان زوجها فلطي ابن لابش ، وقد طلقها مع زوجها بعد أنْ صار ملكاً ، وأخذها داود .

3 ـ غدر داود بشاول ، وقد أقسم لابن شاول أنْ لا يمسَّ أحداً منهم .

4 ـ هذه المجزرة لا مُبَرِّرَ لها على الإطلاق ، فأبناء شاول بعد أنْ سقطت مملكتهم لن يجرؤوا على المطالبة بملكهم الضّائع .

---

(1) صموئيل الثّاني 21/ 1 ـ 9/ .

5 ـ إنَّ قتل أبناء ميكال التي خافت عليه وهربت من أبيها سيغضب زوجته، أفلا يخاف انتقامها لأبنائها الذين صُلبوا أمامها؟

6 ـ هذه الحادثة ليست إلا من افتعال كَتَبَة التّوراة، ولا صحة لها، ولا شيء يدعمها في التّاريخ، وقد تبع كَتَبَة التّوراة المثل القائل:

وإذا ما خلا الجبان بأرض   طلب الطّعن وحده والقتالا

ويرى النّقاد أنَّ سلوك داود لا يتَّسم بالبربرية فقط التي تثير اشمئزاز المتوحش على داود الرّهيب الذي سحق أعداءه كلهم وحسب، بل ويتَّسم بنذالة قد يأنف تلطيخ اسمه بها الأنذال والسّفلة، ويضيف كَتَبَة التّوراة إلى جرائم داود جريمة أخرى هي الحنث باليمين، الذي كان قد أقسمه لشاول بأنْ لا يقتل أحداً من ذريته. صموئيل أول 24/ 22 ـ 23/ . حينما قال شاول: « والآن فإنّي علمتُ أنك تكون ملكاً، وتثبت بيدك مملكة إسرائيل، فاحلفْ لي الآن بالرّبّ أنك لا تقطع نسلي من بعدي، ولا تبيد اسمي من بيت أبي، فحلف داود لشاول، ثم ذهب شاول إلى بيته، وأما داود ورجاله فصعدوا إلى الحصن».

8 ـ سليمان الحكيم:

هذا ما لَقَّبَتْهُ التّوراة به، وهذا ما حَدَّثنا القرآن به، وسنسمع من التّوراة حِكَمَهُ، وكيف شَوَّهت التّوراة سيرته تشويهاً كُلّياً.

أ ـ سليمان والنّسب:

لقد رأينا أنَّ جدة داود كانت راعوت المؤابية، لأنَّ سليمان هو الجيل الرّابع، ولهذا قال كثير من النّقاد إنَّ داود وسليمان ليسا من بني إسرائيل، بالمعنى اليهودي، وقد ناقشنا أنَّ التّوراة جعلت من أم سليمان امرأة زانية، في الوقت الذي كان زوجها أوريّا الحثّي يقاتل في المعركة دفاعاً عن تاج داود وعرشه، كان داود يضطجع مع زوجة القائد المحارب، ومن ثم عمد إلى قتله بعد ذلك ليخلو له الجو.

ولقد ناقشنا موضوع هذه المرأة في الجرائم التي نُسبت إلى داود، وكيف شَوَّهوا سيرته، ونحن الآن نتناولها من حيث تشويه سيرة سليمان عليه السّلام.

ب ـ لقد ورد سليمان في القرآن الكريم:

وأعطاه القرآن صورة جميلة زاهية ، فهو مثال القاضي العادل كأبيه ، وهو الحكيم الذي تُضرب بحكمته الأمثال ، وهو الملك الذي وَهَبَ الله له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده .

هذا النّبي العملاق والرّجل الدِّيني الذي أدّى دوره في التّاريخ ، وإنْ لم تكن الآثار قد أظهرت ماله وما عليه ، غير أنّ الصّورة الزّاهية التي قدَّمها لنا القرآن الكريم عنه صورة وافية جعلته في مصاف الرُّسُل ذوي الرّسالات السّماوية ، وفي زمنه كان كتاب أبيه الزّبور ، وقد نوَّهنا عنه سابقاً ، فماذا عن هذا الرّجل العملاق في التّوراة وهو المحوط في عقيدة غير اليهود بسياج من الطّهر والعفة والارتباط بالله باعتباره نبياً ورسولاً ؟

فعلى حَدِّ رواية التّوراة هذه عن سليمان فإنَّها جعلته يبدأ بداية سياسية في القمع والقتل ، وما عجز عنه داود أكمله سليمان .

1 ـ قتل سليمان أخاه أدونيًا بن حجّيث ، قتله القائد بناياهو بن يهوياداع ، ولا أدري من أين أتت التّوراة بهذه الأسماء اليهودية ، فقد عرفت أنَّ يَهْوَه لم يدخل التّوراة إلا في زمن الدّولة الإخمينية ، وربما كان الاسم بنا إيل بن إيليادع ، ويصبح اسمه ابن إيل ابن عارف الله .

2 ـ قتله يوآب بن صروية قائد جيش داود ، قتله بناياهو بن يهويا يهواع كما قتل أدونيًا سابقاً .

3 ـ أقام شمعي بن جيرا إقامة جبرية في أورشليم ، ثم قتله بعد ذلك بحجة واهية قتله بناياهو بن يهوداع .

4 ـ خلع أبياثار الكاهن وقال له : اذهب إلى عناثوت ، إلى حقولك لأنك مستوجب الموت ، ولستُ أقتلك في هذا اليوم ، وهكذا هو جزاؤه كما تقول التّوراة ، عن أنْ يكون كاهناً للرّبّ لإتمام كلام الرّبّ الذي تكلّم به على بيت عالي في شبلوه .

لي على هذه النّقاط الأربعة بعض ملاحظات :

أ ـ قتل أدونيًا ؛ قتل سليمان أخاه أدونيًا من أجل الصّراع على الحكم ، ولحى الله الكرسي كم يجرُّ مصائب كثيرة على الأمة ، وهكذا كان . فلنر القصة كما أوردتها التّوراة .

«ثم إنَّ أدونيًّا بن حجّيث ترفَّعَ قائلاً: أنا أملك، وعدَّ لنفسه عجلاتٍ وفرساناً وخمسين رجلاً يجرون أمامه، ولم يغضبه أبوه قط قائلاً لماذا فعلتَ هكذا، وهو أيضاً جميل الصّورة جداً، وقد ولدته أمه بعد أبشالوم، وكان كلامه مع يوآب ابن صروية ومع أبياثار الكاهن فأعانا أدونيًّا، وأما صادوق الكاهن وبناياهو بن يهويا داع وناثان النّبي وشمعي وريعي والجبابرة الذين لداود فلم يكونوا مع أدونيًّا». ملوك أول 1/ 5 ـ 8/ .

بدأ أدونيًّا يطلب الملك وهو أحقُّ من غيره حسب الشّريعة التّوراتية، فهو الابن البكر لداود بعد مقتل أبشالوم الابن البكر، ولكنْ؛ عادة التّوراة أنْ تُغربل النّاس، ومَنْ لا يعجبها يسقط في الغربال، فأسقطت أدونيًّا، وأعلت من شأن سليمان.

مَن الذين وقفوا مع أدونيًّا؟

1 ـ يوآب ابن صروية؛ القائد العام للجيش في أيام داود، وصاحب الانتصارات، وباني مجد المملكة الإسرائيلية، إنْ كان لها أمجاد، مرت أحداثه في معارك داود، ورافقه منذ بداية أمره حينما كان مطروداً من شاول، وظلَّ معه حتى مات، وهو القائد الفَذُّ الخبير بالرّجال.

2 ـ أبياثار الكاهن؛ فقد كان الكاهن بيده الحلُّ والربّط، ورأينا ما فعله صموئيل في مسح شاول، وغضبه بعد ذلك عليه، وكيف مسح داود بعد ذلك، وبهذين الشّخصين وحقّ البكورية يستقيم الأمر لأدونيًّا، فكيف تحوَّل المُلك إلى سليمان؟

هذا السّؤال لو كان في زمننا لاستطعنا معرفة النّوايا أكثر مما روته التّوراة، فلنرَ رؤية التّوراة.

«وأما ناثان النّبي وبناياهو والجبابرة، وسليمان أخوه فلم يَدْعُهم، فكلَّم ناثان بثشبع أم سليمان قائلاً: أما سمعت أنَّ أدونيًّا ابن حجّيث قد مَلَكَ وسيدنا داود لا يعلم، فالآن تعالي أشير عليكِ مشورةً فتُنجِّي نفسكِ ونفس ابنكِ سليمان، اذهبي وادخلي إلى الملك داود وقولي له أما حلفتَ أنت يا سيدي الملك لأمتك قائلاً: إنَّ سليمان ابنك يملك بعدي وهو يجلس على كرسيَّ، فلماذا مَلَكَ أدونيًّا، وفيما أنتِ مُتكلِّمة هناك مع الملك أدخل أنا وراءك وأكمل كلامك... وأنت يا سيدي الملك أعينُ جميع إسرائيل نحوك لكي تخبرهم مَنْ يجلس على كرسي سيدي الملك بعده، فيكون إذا اضطجع سيدي الملك مع آبائه أني أنا وابني سليمان نُحسب مُذنبَيْن..

وقال ناثان: يا سيدي الملك، أأنتَ قلتَ إنَّ أدونيًّا يملك بعدي وهو يجلس على كرسيَّ؟ لأنَّه نزل اليوم وذبح ثيراناً ومعلوفاتٍ...

وأما أنا عبدك وصادوق الكاهن وبنايا هو بن يهوياداع وسليمان عبدكَ فلم يَدْعُنا، هل من قِبَلِ سيدي الملك كان هذا الأمر ولِمَ تُعلِم عبدك مَنْ يجلس على كرسي سيدي الملك من بعده؟

وقال الملك داود: ادعُ لي صادوق الكاهن وناثان النّبي وبناياهو بن يهوياداع، فدخلوا إلى أمام الملك، فقال: خذوا معكم عبيد سيدكم، وأركِبُوا سليمان ابني على البغلة التي لي، وانزلوا به إلى جيحون، ولِيَمسحهُ هناك صادوق الكاهن وناثان النّبي ملكاً على إسرائيل، واضربوا بالبوق، وقولوا: ليحيى الملك سليمان». ملوك أول، الإصحاح الأول.

صراع على الكرسي؛ انقسم بنو إسرائيل إلى صفين: الصّف الأول: قائد الجيش وأبياثار الكاهن وأبناء الملك مع أدونيًّا.

والصّف الثّاني: ناثان النّبي وصادوق الكاهن وبناياهوين يهوياداع وبشsetشبع أم سليمان في الصّف الآخر.

1 ـ ناثان النّبي عرفناه حينما لامَ داود على زناه بشسبع وقتله أوريًّا، وعرفناه يوم نزل الوباء وقت الإحصاء.

2 ـ صادوق الكاهن لم يجر له ذكر سابق على الإطلاق قبل هذا.

3 ـ بناياهو بن يهوياداع عرفته التّوراة على النّحو التّالي:

بناياهو بن يهوياداع بن ذي بأس، كثير الأفعال من قبصئيل، هو الذي ضرب أسدي موآب، وهو الذي ضرب أسداً في وسط جُبٍّ يوم الثّلج، وهو ضرب مصرياً ذا منظر، وكان بيد المصري رمح فنزل إليه بعصا، وخطف الرّمح من المصري وقتله برمحه، هذا ما فعله بناياهو بن يهوياداع، فكان له اسم بين ثلاثة الأبطال، وأكرم على الثّلاثين، إلا أنّه لم يصل إلى الثّلاثة، فجعله داود من أصحاب سره.

بناياهو ليس بشهرة يوآب، وهو الذي صار قائداً لجيش سليمان بعدما قتل يوآب، ومن البدهي أنْ يُسفر الصّراع حول الكرسي أنْ يتمّ انتصار فريق على فريق، ولكنَّ الدّم كما عهدناه في التّوراة دائماً، فقد صُفِّي الفريق الخاسر.

ب ـ **وإنَّني لأتساءل** هل كانت التّصفيات الجسدية أمراً معروفاً في بني إسرائيل لأبناء الملك الآخرين؟

هذا ما حَدَّثتنا به التّوراة دون أنْ تورد لنا سابقة عن هذه الأحداث، إذ أنَّ داود لم يُصَفِّ أخوته، فكيف خافت بتشبع على نفسها وعلى ابنها؟ إذن؛ قام صراع دموي حول السّلطة، وكان ضحيته مَنْ ذَهَبَ. ويقول ليوتاكسيل حول الصّراع هذا: (إذا تذكرنا أنَّ أدونيًا لم يُعلن نفسه ملكاً، بل كان يزاحم على المستقبل وحسب، وكان له مناصروه كما كان يفعل سليمان نفسه، عندئذ نستطيع القول: إنَّ النّبي ناثان كان كذّاباً كبيراً ودسّاساً محترفاً، فقد نَظَّمَ مع بشبع الأرملة القحبة زوجة المقتول أوريًا الحثّي مؤامرة محبوكة جيداً، هدفها انتزاع التّاج من وريثه الشّرعي، وقد لجأ الاثنان إلى الكذب لبلوغ غايتهما.

ولكنْ؛ إذا كانت بشبع مجرد قحبة عفنة فإنَّ ناثان نبي رجل مقدس، وربما لم يكن نظام وراثة العرش قد استقرَّ عندهم نهائياً، بيد أنَّه كان من الطّبيعي أنْ يحدث أدونيًا والده كونه الابن الأكبر خاصة، وأنَّه ليس ابن خليلة الملك، وليس ابن امرأة غريبة كما هي حال سليمان. وقد اعترف بحقّ أدونيًا هذا أهم شخصين في المملكة قائد الجيش ورئيس الكهنة، ولذلك فإنَّ داود الهرم لم يجعل سليمان ملكاً إلا لإرضاء بتشبع لأنَّه صدق كذبها وكذب ناثان)[1].

ج ـ **وإنَّني أتساءل** هل يعود أمر عزل الكهنة إلى الملك أم يعود أمر عزل الملك إلى الكهنة؟

لقد رأينا أنَّ صموئيل هو الذي مسح شاول، وهو الذي بلغ بقرار غضب الرّبّ وهو الذي مسح داوداً، ومعنى ذلك أنَّ الكاهن هو الذي يحقُّ له عزل الملك، فكيف عزل سليمان أبياثار الكاهن؟

---

(1) ليوتاكسيل، التّوراة، ص367.

أما بناياهو بن يهوياداع فهو غرّ التّجربة، وقد تهكم ليوتاكسل على كَتَبَة التّوراة من أجله، فقال:

(إنَّه لمن دواعي الأسف أنْ ينسى مُؤلِّف التّوراة تحديد المكان الذي وقعت فيه مغامرة بناياهو الفريدة مع الأسد الذي قُتل في الثّلج تحت أشعة الشّمس؟)[1].

ج ـ سليمان والدِّين:

هذه النّقطة شَوَّهت سيرة سليمان تشويهاً كبيراً، فقد استهلَّ عهده كما قالت التّوراة: «فأتى الخبر إلى يوآب، لأنَّ يوآب مال وراء أدونيًّا، ولم يمل وراء أبشالوم، فهرب يوآب إلى خيمة الرّبّ، وتمسك بقرون المذبح، فأُخبر الملك سليمان بأنَّ يوآب قد هرب إلى خيمة الرّبّ، وهاهو بجانب المذبح، فأرسل سليمان بناياهو بن يهوداع قائلاً: اذهبْ، ابطش به، فدخل بناياهو إلى خيمة الرّبّ وقال له: هكذا يقول الملك، اخرجْ، فقال: كلا، ولكنني هنا أموت، فردّ بناياهو الجواب على الملك قائلاً: هكذا تكلّم يوآب، وهكذا جاوبني، فقال له الملك: افعل كما تكلّم وابطشْ به، وادفنه، وأزِلْ عني وعن بيت أبي الدّم الزّكي الذي سفكه يوآب»[2].

لي على هذا النّص بضع ملاحظات:

أ ـ خيمة الاجتماع لا يجوز أنْ يدخلها إلا سبط لاوي للخدمة والحراسة، فكيف دخلها يوآب، ثم خرق حرمتها بناياهو وهو ليس من اللاوين وليس من الكهان؟!

ب ـ دخول بناياهو وقتلة يوآب؛ أفلا يعد انتهاكاً للمحرمات اليهودية؟!

ج ـ لماذا حَمَّلَ داودُ وسليمانُ الدّمَ ليوآب ولم يُحمَّل داودُ قتلَ أوريًّا، ولم يُحمَّل سليمانُ قتلَ أخيه أدونيًّا؟

وقد قال فولتير في هذا الصّدد مُعلِّقاً على الحادثة: إنَّه لا حاجة لإضافة أي جريمة إلى هذه الجريمة، لقد بدأ سليمان عهده بالتّجديف، فَدَنَّسَ بيتَ الرّبِّ.

---

(1) ليوتاكسيل، التّوراة، ص 367.

(2) ملوك أول 2/ 28 ـ 32/ .

ولكنَّ الـذي يبدو غريباً أنَّ يَهْوَه قتـل / 70 ـ 500/ نفساً لأنَّـهم ألقـوا نظرة إلى داخـل التّابوت، ولم يُحرِّك ساكناً عندما جعل جلاد وسليمان من صندوقـه متكأً ذبحـوا عليـه القـائد العسكري الذي أعطى داود التّاج[1].

والحادثة الثّانية في هذا الصّدد عبادة سليمان لإله غريب غير يَهْوَه.

« وأحبَّ الملكُ سليمانُ نساءً غريبة كثيرة مع بنت فرعون مؤابيات وعمُّونيات وأدوميـات وصيدونيات وحثيات، من الأمم الذين قال عنهم الرّبُّ لبني إسـرائيل لا تدخلـون إليـهم وهـم لا يدخلـون إليكـم، لأنَّـهم يُميلـون قلوبكـم وراء آلهتـهم، فـالتصق سليمان بـهؤلاء بالمحبـة، وكانت له سبع مئة من النّساء السّيدات وثلاث مئة من السّراري، فأمالت نساؤه قلبَهُ، وكـان في زمان شيخوخة سليمان أنَّ نساءه أَمَلْن قلبَهُ وراء آلهة أخـرى، ولـم يكـن قلبـه كـاملاً مـع الـرّبّ إلهـه كقلـب داود أبيـه، فذهـب سـليمان وراء عشـتروت إلاهـة الصّيدونيـين وملكـوم رجـس العمُّونيين، وعمل سليمان الشرَّ في عيني الرّبّ، ولم يتبع الرّبّ تمامـاً كـداود أبيه، حينئذ بنـي سليمان مرتفعةً لكموش رجس المؤابيين على الجبل الـذي تجاه أورشـليم، ولملـك رجس بنـي عمُّون، وهكذا فعل لجميـع نسـائه الغريبـات اللواتـي كُـنَّ يوقـدن ويذبحـن لآلهتـهنَّ، فغضـب الرّبّ على سليمان لأنَّ قلبه مال عن الرّبّ إله إسرائيل الذي تراءى له مرتـين، وأوصاه في هـذا الأمر أنْ لا يتَّبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرّبّ »[2].

سليمان درة تاج الملك عندهم قد خرج عن عبادة ربهم، فهل كانوا صادقين أم كاذبين؟

إنْ كانوا صادقين في دعواهم فإنَّه لم يُعبَدْ يَهْوَه على الإطلاق وإنَّمـا عُبِـدَ إيـل إلـه إبراهيـم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون، أما هم فقد عبدوا يَهْوَه في الأسر، وبهذا رموه بهذه التّهمة الباطلة، لأنَّه لـم يعبـد إلهـهم، وإنَّمـا عَبَـدَ إيـل (الله) سبحانه وتعـالى، كيـف لا وهـو رسـول كريم، أما إنْ كانوا كاذبين في دعواهم فقد كفى الله المؤمنين شـرَّ القتـال، لقـد حـاولتُ أنْ أتتبَّـع أسماء أبناء سليمان الذين توالوا على الحكم فلم ألحظ فيهم أسماء يهوية ـ رحبعـام ـ آبيا ـ آسـا ـ يهو شـافاط ـ فهو الحفيـد الرّابـع لسليمان، وإذا كـان رحبعـام 17 سـنة، آبيا ثـلاث سـنوات،

---

(1) ليوتاكسيل، التّوراة، ص372.

(2) ملوك أول 11/ 1 ـ 9/ .

وآسا 41 سنة، فالفارق بين وفاة سليمان وحكم يهوشافاط ستون عاماً تقريباً، ولم ألحظ أي تسمية يهوية قبل ذلك، ولما رجعتُ إلى النّسخة اليسوعية وجدتُ الاسم يوشافاط وليست يهوشافاط، وفي اللغة العبرية لا تسقط الهاء إذا كانت أصلية، فكيف نُوفِّق بين يو ويهو؛ بين النّسخة العبرية والنّسخة اليونانية؟

ثم إنَّ نساء سليمان - كما قالت التّوراة - كثيرة، وكُلٌّ منهن تعبد إلهاً، فإله مَنْ عَبَدَ سليمان؟

أَعَبَدَ الآلهة كلها معاً دون استثناء؟ أم عبد إلهاً غير يَهْوَه؟ هذا ما أقويه، لقد كان إلهه إيل، ونحن نعلم أنَّ إيل كان إله الكنعانيين منذ أيام إبراهيم، حيث كان ملكي صادق كاهن أورشليم كاهناً لله العلي (إيل).

وبهذا يكون سليمان ظلَّ سائراً على خط موسى وإبراهيم ولم يخرج عن عبادتهما، أما يَهْوَه فلم نرَ اسماً يهوياً في زمانه، ولعل أنبياء السّامرة خير مَنْ يُعَبِّر عن ذلك بأسمائهم الإيلية؛ إيليا - إيليشع، فَمَنْ نُصدِّق نصَّ التّوراة الذي يتّهم أم أسماء الأنبياء التي وردت على أنَّها أنبياء بني إسرائيل؟

والحادثة الثّالثة - التي تدلُّ على تشويه سمعته وعدّوها من عظمة سليمان - المعبدُ الذي وصموا به سليمان، لقد رأيتُ أنَّ الأوصاف التي وردت في التّوراة من كروبيين وأسود وعجول في الميضأة لم تكن إلا أصناماً بابلية سرقها اليهود في الأسر، وصاغوا معبد سليمان على أساس أنَّه هيكل بابلي لا يمتُّ إلى معابد الإله الواحد جَلَّ وعلا، وبهذا غدا في عُرفهم في بناء هذا المعبد أنَّه يهودي، ولكنَّ وجود الأصنام فيه دَلَّ على أنَّهم لم يعرفوا التّوحيد إطلاقاً، وإنَّما دَلَّ على أنَّهم مُشركون وثنيون، ولما لم يعبد سليمان ما عَبَدُوا كان مُوحِّداً، ولعله يقول كما قال القرآن: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[1].

ولم تُسعف الآثار بتكوين فكرة من أي نوع عن سليمان، والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي حفظ لنا صورة زاهية مشرقة، صورة رسول كريم لله ربِّ العالمين.

---

(1) الكافرون / 1 - 2/.

ويقول جورجي كنعان عن بناء الهيكل، والهيكل الذي بناه سليمان في أورشليم، وظلَّ اليهود يَعُدُّونه من مفاخر تراثهم، ليس من الوجهة المعمارية إلا بناءً ضئيلاً بالقياس إلى المعابد في بابل ومصر.

ويقول المؤرخ هـ . ج ويلز: لو استخرجنا أطوال معبد سليمان لوجدنا أنَّ في الإمكان وضعه داخل كنيسة من كنائس الضّواحي، يضاف إلى ذلك أنَّ البناة كنعانيون بنوه على طراز كنعاني وعلى رأسهم المهندس أحيرام من صور[1].

ويتساءل ليوتاكسيل فيما إذا كان ابن داود قد عاد إلى سلوك طريق الرّبّ أم بقي سادراً في غيه ومات وثنياً آثماً؟

ودار على هذه الأرضية نقاش طويل بين اللاهوتين؛ هل يُعَدُّ سليمان الحكيم ملعوناً أم لا؟

وقد أجاب بعضهم عن هذا السّؤال بالإيجاب، وأجاب بعضهم بالنّفي، والصّمت المطبق من التّوراة على كثرة زيجات سليمان تثير التّساؤل، فإذا كانت بشثبع أم سليمان قد لعبت في الدّولة، وغيَّرت مصيرها، ونقلت الملك من أدونيًا إلى سليمان، فماذا فعلت النّسوة الكثيرات في ملك سليمان، مع أنّنا لم نلاحظ بينهن أية امرأة من بني إسرائيل، وكُلٌّ واحدة منهن تعتنق ديانة تختلف عن ديانة الأخرى؟!

أفلا يحقُّ بعد هذا الوصف أنْ ينشقَّ بنو إسرائيل عن أبناء هذا الملك الضّال حسب وصف التّوراة؟

وإذا كانت النّسبة عند اليهود للأم فإنَّ سليمان ليس يهودياً ولا أرحبعام، فأمه عمُّونية، ولا مَنْ أتى بعده ما عدا أبيه الذي كانت أمه معكة بنت أبشالوم. ولكنَّ السّؤال الذي يلحُّ بعد ذلك كيف أنَّ آسا تزوج أمه معكة بنت أبشالوم وهو الرّجل التّقي الورع؟

وأتساءل فيما إذا كانت النّساء الكثيرات التي أشارت التّوراة إلى وجودهنَّ عند سليمان، ألم يشغلن وقته؟ ألف امرأة! ياللهول! فهل كان وقته للنّساء؟ أم للحكم؟! إنها إساءات وتهم تُكال؟!!

---

(1) كنعان جورجي، تاريخ يَهْوَه، ص94.

البابُ الثّاني

الدّيانة اليهودية

الفصل الأول:

المعتقدات.

الفصل الثّاني:

الطقوس.

الفصل الثّالث:

الوصايا.

الفصل الرّابع:

الإيمان باليوم الآخر.



الفصل الأول

المعتقدات

سنناقش هنا كيف قُرِّرت المعتقدات اليهودية، وما هي هذه المعتقدات التي أُقرَّت، وذلك كما هي في الكتاب المقدس دون مناقشة في الأصل للدِّين الموسوي، وكيف كان، فليس هذا مجال بحثنا، وإنَّما مجالنا كيف أُقرَّت؟

1 ـ هل هنالك إله واحد يعبده اليهود؟ أم أنهم يعبدون آلهة عدة؟ هذه هي النّقطة الأولى التي أحبُّ أنْ أناقشها.

2 ـ الإيمان بالملائكة والرُّسُل.

3 ـ الإيمان بالكتب المقدسة.

1 ـ هل هنالك إله واحد يعبده اليهود؟ أم أنَّهم يعبدون آلهة عدة؟

اختلف الدّارسون للدِّين اليهودي، فمنهم مَنْ أعلى شأنه وعدَّه الدِّين التّوحيدي الأول؛ وعَدَّ أنَّه دين إبراهيم الخليل وإسحق ويعقوب وموسى. ومنهم مَنْ قال إنَّه دين توحيدي نادى بعقيدة أخناتون فهو أول مُوحِّد، ومن ثم لم يكن موسى إلا كاهناً في الدّيانة الأخناتونية، ومنهم مَنْ رأى في الدّيانة اليهودية ديانة وثنية مشركة لا تمتُّ إلى التّوحيد، وهؤلاء لم يروا في موسى إلا داعية لشرك، ضائعاً بين إلهين اثنين هما إيل ويَهْوَه، مُرجعين هذه الدّيانة إلى عهد موسى.

وسأُفَنِّد هذه الآراء الثّلاث، ثم أعود بعد ذلك إلى رأيي في هذه الدّيانة والتي ابتلينا بأصحابها، فاحتلوا أرضنا، وطردوا أهلنا، واخترقوا فكرنا، وداسوا مقدساتنا.

فقد سار علماء اليهود والنّصرانية وبدون استثناء معاً في أنهم أعلوا شأن الدِّين اليهودي، وعَدُّوه الدِّين التوحيدي الأول، دين إبراهيم الخليل وإسحق ويعقوب وموسى، ولن أورد من آرائهم الكثير من الشّواهد، فهم أكثر مَنْ بحث في هذا المجال، معتمدين فيه على منطق التّلمود والحاخامات، ضاربين بالواقع والآثار عرض الحائط، غير مبالين بما حولهم من دراسات وأفكار.

يقول د. حسن حدة في هذا الصّدد: (إنَّ تاريخ التّوراة هو النّقطة التي تحتاج إلى توضيح حول استعمال مصطلح إسرائيل. فالتّوراة البابلية اعتمدت إبراز كافة الأحداث التي تدور حول بني إسرائيل، وقد آمنت بوجودهم قبل البشر وبعد البشر، وفي كُلِّ زمان ومكان، وأنَّ لغتهم كما قلنا نزلت إلى الأرض قبل الخليقة بأربعة وعشرين قرناً)[1].

1 ـ أكثر المؤرخين الذين ساروا على خطا التّوراة قالوا: إنَّ عصر الآباء يبتدئ تاريخ العبرانيين على ما ترويه كتبهم المقدسة من خروج جدهم إبراهيم من أور الكلدانيين، وتحتوي الأسفار المقدسة أبناء إبراهيم، ولوط ابن أخيه، وإسحق وابنيه يعقوب وعيسو، وغربة آل يعقوب في مصر، وما نالهم من الظّلم، وخروجهم من مصر بإمرة موسى المشترع العظيم، وافتتاح خليفته يشوع لأرض كنعان، وكُلُّ هذه الأنباء مروية ببيان ساحر وسهولة وبساطة، جعلتا لها مكاناً عظيماً في نفوس الأحداث[2].

حتى إنّهم ادعوا أنَّ إبراهيم الخليل ـ عليه السّلام ـ منهم وقد رَدَّ القرآن الكريم هذه الدّعوة، وبيَّنَ لهم أنَّ إبراهيم الخليل ـ عليه السّلام ـ كان مسلماً حنيفاً ولا علاقة له باليهودية، لا من قريب ولا من بعيد. ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

---

(1) حدة د. حسن، موسى والتّوراة، ص 1001.

(2) ميرزا الأمريكي فيليب فان نس، التّاريخ العام، ص26.

(3) آل عمران / 67 ـ 68/.

ومن ثم نسبوا أنفسهم إلى نوح وآدم، وجعلوا نوحاً يغضب على حـام، ويلعـن كنعـان، وهم أبناء سام البكر، ولهذا؛ عليهم أنْ يُنَفِّذُوا اللعنة، ويقتلوا أبناء كنعـان، ولـهذا؛ يوهمـون النّاس أنَّهم أقدم من إبراهيم عليه السّلام، وما إبراهيم إلا واحداً منهم.

والغريب في دعواهم أنَّهم في توراتهم مشركون، ومَنْ يقرؤهـا يلحظ أنَّ هنـالك مجمعـاً للآلهة أشبه بمجمع آلهة الكنعانيين في أوغاريت، وهناك أبناء يَهْوَه، ارجع إلى التّكوين ويشـوع والمزامير، وستجد الشّيء الكثير من هذا، وحسبي أنْ أسوق بعض الأمثلة الدّالة على ذلك.

1 ـ عَبَدَ بنو إسرائيل عدة آلهة قبل موسى، ولو كان بنو إسرائيل أبناء يعقوب كما يَدَّعـون لعَبَدوا إله يعقوب، وإلى هذا أشار يشـوع، « فـالآن اخشـوا الـرّبَّ، واعبـدوه بكمـال وأمانـة، وانزعـوا الآلهـة الذيـن عَبَدهـم آباؤكم في عـبر النّـهر وفي مصـر، واعبـدوا الرّبَّ، وإنْ سـاء في أعينكم أنْ تعبدوا الـرّبَّ فاختـاروا لأنفسـكم اليـومَ مَنْ تعبـدون إنْ كـان الآلهـة الذيـن عَبَدَهـم آباؤكم الذين في عبر النّهر». يشوع 24/ 14 ـ 15.

هذا النّصُّ يدلُّ دلالة قاطعة على أنَّ بني إسرائيل لم يكونوا يعبدون إلـه يعقـوب وإسحق وإبراهيم، وهو يكذب نص موسى القائل بأنَّ يَهْوَه لم يعرفه بنو إسـرائيل بـهذا الاسـم سـابقاً، وأنَّهم كانوا يعبدونه باسم آخر.

فقد كانوا يعبدون آلهة متعددة مختلفة، وهذا ما نصت عليه التّوراة في حَدِّ ذاتها.

2 ـ آمنوا بيَهْوَه إلهاً، ولكنهم آمنوا بأنَّ له أبناء كـثر لـم تُحدِّدهـم التّـوراة علـى الإطـلاق، وقد مرَّ معنا كلمة أبناء الله في عدة معان:

أ ـ بنو الله للدّلالة على الملائكة في تكوين 6/ 1 ـ 3/.

وحدث لما ابتدأ النّاس يكـثرون علـى الأرض، ووُلـد لـهم بنـات، أنَّ أبنـاء الله رأوا بنـات النّاس أنهنَّ حسناتٌ فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا، فقال الـرّبُّ: لا يديـن روحـي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه هو بشر، وتكون أيامه مئة وعشرين سنة.

هذا النّصُّ يومي بأنَّ الملائكـة هـم أبنـاء يَـهْوَه، وقـد تزوجـوا بنـات البشـر، وبـدلاً مـن أنْ يُعـاقِبَ يَـهْوَه أبنـاءه لأنَّـهم اعتـدوا علـى بنـات البشـر، ولـم تستطع بنـات البشـر الامتنـاع عـن الملائكة، وهذه العقوبة للضّعيف والابتعاد عن عقوبة القـوي موجـودة في التّوراة كخطٍّ عـام،

فقد عاقب بنو إسرائيل أهلَ مديان، وأبادوهم، لأنَّ بني إسرائيل زنوا ببنات مدين، ولم تستطع بنات مدين أنْ يمتنعنَ عن بني إسرائيل، وكأنَّ هذه الحادثة في التّكوين قد سُجِّلت تبريراً لما فعلوه في حادثة مدين « وأقام إسرائيل في شِطِّيم وابتدأ الشّعب يزنون مع بنات موآب، فدَعَونَ الشّعب إلى ذبائح آلهتهنَّ، فأكل الشّعب وسجدوا لآلهتهنَّ، وتعلَّقَ إسرائيلُ ببعل فغور، فحمي غضب الرّبّ على إسرائيل، فقال الرّبُّ لموسى: خُذْ جميع رؤوس الشّعب، وعَلِّقهم الرّبُّ مقابل الشّمس، فيرتدَّ حموّ غضب الرّبّ عن إسرائيل، فقال موسى لقضاة إسرائيل: اقتلوا، كُلٌّ واحد قومه المتعلّقين ببعل فغور.

وإذا رجلٌ من بني إسرائيل جاء وقدَّمَ إلى أخوته المديانيَّة أمام عيني موسى وأعين كل جماعة بني إسرائيل، وهم باكون لدى باب خيمة الاجتماع، فلما رأى ذلك فينحاس بن ألِعازار بن هرون الكاهن قام من وسط الجماعة وأخذ رمحاً بيده، ودخل وراء الرّجل الإسرائيلي إلى القبَّة وطعن كليهما الرّجلَ الإسرائيليَّ والمرأةَ في بطنها، فامتنع الوباء عن بني إسرائيل، وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفاً... ثم كلَّمَ الرّبُّ موسى قائلاً: ضايقوا المديانيين واضربوهم، لأنَّهم ضايقوكم بمكايدهم التي كادوكم بها في أمر فغور». عدد، متفرقات الإصحاح الخامس والعشرون.

ولعلّي أمام هذا النّص أتساءل:

1 ـ هل بعل فغور إله المديانيين أم إله مؤاب؟ فقد نصَّت الإصحاحات السّابقة لهذا الإصحاح بأنَّ بعل فغور إله مؤاب، وبلعام بن بعور كاهن في مؤاب.

2 ـ في بداية النّص أنَّ بني إسرائيل في شِطِّيم زنوا ببنات موآب، ثم لا أدري ما السّبب الذي جعلهم ينتقلون إلى مدين وبدون سبب، وكأنَّ مدين وموآب بلد واحد، مع العلم أنَّ كُلَّ شعب يختلف عن الآخر في مواطنه وإلهه.

3 ـ لماذا يعاقب موسى بني مدين، وبنو إسرائيل هم الذين اعتدوا على الأقوام الآخرين فزنوا ببناتهم؟!

ب ـ بنو الله للدّلالة على بني إسرائيل؛ وقد أشار المزمور / 82/ إلى هذا إشارة واضحة، حينما قال: «أنا قلتُ إنَّكم آلهة، وبنو العليِّ كلكم، لكنْ؛ مثل النّاس تموتون، وكأحد الرّؤساء تسقطون». 6 ـ 8.

في هذا النّص يرفع المزمور بني إسرائيل إلى سدَّة الألوهية، ولكنه يُميتهم كالبشر.

ج ـ بنو يَهْوَه آلهة، وفي مجمع يَهْوَه، ويعيشون مع يَهْوَه في مجمع واحد.

«الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي، حتى متى تقضون جوراً وترفعون وجوه الأشرار». مزمور 82/ 1 ـ 2/.

ولقد أخذ بنو إسرائيل صورة ليَهْوَه عن إيل الكنعانيين في مجمعه، وأبنائه وبناته، ولهذا لا يمكن القول بأنَّهم كانوا مُوحِّدين حسب رأي توراتهم، ولنرَ ما الآلهة التي يعبدها هؤلاء النّاس، وما مدى توحيدهم؟

وهنا ننطلق إلى الفئة الثّانية التي قالت بأنَّ توحيد بني إسرائيل قد جاء تقليداً لأخناتون، وخير مَنْ يُمثِّل هؤلاء الكاتب اليهودي فرويد في كتابه موسى والتّوحيد، فقد رأى في موسى كاهناً مصرياً من كهنة أخناتون، وأنَّ ديانته ليست إلا ديانة أخناتون، ارجع إلى موسى والتّوحيد، وستراه يصرٌّ على هذه النّاحية، ويرى أنَّ موسى في التّوراة ليس إلا رجلين؛ موسى المصري حامل الدّيانة الأخناتونية، وموسى المدياني الذي قتل موسى المصري، وأخفى هذه الدّيانة الأخناتونية التّوحيدية، ولكنه يقول: ومع ذلك فإنَّ ديانة موسى لم تختفِ دون أنْ تترك أثراً، فقد عاش نوعٌ من ذكراها، نوعٌ من التّراث حُجب وشُوِّه)[1].

وقد أشار جورج عبد المسيح إلى عدم التّوحيد اليهودي بقوله: لم يستطع اليهود الوصول إلى التّوحيد، فمن حيث العدد قبلوا ـ في مرحلة من المراحل ـ بآلهة أخرى إلى جانب يَهْوَه، أما عندما تخلّوا عنها واكتفوا به، فإنَّما كان هذا الاعتبار من باب التّنكر للآلهة الأخرى، ولم يصلوا إلى التّوحيد في جوهره.

---

(1) موسى والتّوحيد، سيغموند فرويد، ص141.

والتّوحيد لا يعني عبادة إله واحد، فكم من قبيلة لا تؤمن إلا بمعبود واحد، بطوطم واحد، وهي ليست مُوحِّدة، التّوحيد ليس عددياً، هو أبعاد، كيف، ماهيات، جوهر...

وبهذا الفهم للتّوحيد لا يعود اليهود مُوحِّدين، لأنَّ يَهْوَه بقي إقليمياً، إلهياً قبلياً مختصاً بهم وحدهم دون سواهم، ولم يظفر بالعالمية.

ويقول أنطون سعادة مُحلِّلاً بدقة بُعْدَ اليهود عن التّوحيد: إنَّ اليهود كانوا في حالة أولية وظروف خصوصية، فهموا الله ووحدانيته بطريقة أولية، فجعلوه أشبه بعبادة الأصنام[1].

ويرى رينيه ديسو أنَّ التّوحيد الإسرائيلي ليس أصيلاً، بل هو نهاية تطوُّر طويل المدى، ظهرت نتائجه بعد سبي بابل؛ حيث فهم اليهود معنى التّوحيد العام.

وعارضه نسيب الخازن عاداً أنَّ عاموس وأشعيا وعوشيه مُمهِّدون للتّوحيد قبل السّبي، وعلى النّقطة نفسها يلحُّ حتى أنَّه جَرَّدَ إبراهيم وموسى وداود من التّوحيد، وجعله يبتدئ عند اليهود المذكورين.

1 ـ ويعتبر ديسو DUSSAUO أنَّ اليهود أخذوا عن بابل معنى التّوحيد، ونحن نُقرُّهم على ما أخذوا.

2 ـ يتضمن رأيه أنَّ البابليين مُوحِّدون، وهو على حَقٍّ في هذا.

3 ـ نخالفه في اعتبار اليهود مُوحِّدين حتى بعد السّبي وإلى اليوم.

3 ـ مخالفة الخازن له غير صحيحة، وسيظهر باطلها وباطل رأي حتّي، وكذلك غوستاف لوبون.

وأتساءل: لماذا لا نَعُدُّ اليهود مُوحِّدين؟!

لنُسلِّط ضوءاً على عماد التّوحيد، وهي عالميته، فالدِّين الموحِّدُ ـ عدا أنَّ جوهره الأخلاق السّامية ـ يجب أنْ يكون في دعواه عالمياً إنسانياً لا يُفرِّق بين الشّعوب، فهل تخلّى اليهود مع عاموس وأشعيا وإرْمِيا وغيرهم عن القبلية وفكرة الشّعب المختار؟! قلنا: الدِّين الموحِّد عالمي عدا عن أنَّ جوهره الأخلاقي يجب أنْ يكون إنسانياً، ونعود إلى مسأله الجوهر بالذّات

---

(1) عبد المسيح جورج متري، فكرنا الدِّيني، ص59 ـ 60.

فنقسمها إلى قسمين؛ هناك أديان ليست عالمية في دعواها لكنَّ جوهرها القومي من طراز أخلاقي رفيع، وهناك أديان أو دين غير عالمي وجوهره عفن، وهو العبراني.

ومسألة الجوهر في التّوراة ترتبط بقوة بقبيلة الدِّين العبراني، لأنَّ القيم - عدا ماديتها - صارت محصورة بما يُسمّى الشّعب المختار.

ويقول جورج عبد المسيح: لنكن منطقيين، لو جمعنا أحقر الصّفات وأخَسَّها في شخص واحد لما جَسَّدَ عُشر أعشار الانحطاط المتجسِّد في يَهْوَه، فكيف نعلنه إلهاً؟ وكيف نعتبره رديفاً لآلهتنا نحن؟ كيف يجوز القول يَهْوَه هو الله؟!

أفقدنا الحسَّ السّليمَ حتى نتحدَّثَ عن توحيد عبري؟!

ومن الخطأ علمياً القول إنَّ الإيمان بوحدانية الله دخل تاريخ البشرية بواسطة الشّعب الإسرائيلي، هذا ما قاله الأب حايك[1].

إنَّ إسحق ويعقوب وإبراهيم وموسى قد عَبَدوا إلهاً واحداً اسمه إيل، وهذا ما أقرَّته التّوراة في أماكن عديدة منها، ومن ثم أُقحم على موسى إقحاماً الإله يَهْوَه، وبهذا صار لليهود في التّوراة إلهان اثنان، إيل ويَهْوَه، والإلهان يسيران جنباً إلى جنب في التّوراة منفصلين وغير متكاملين، حتى إذا ما كان بعد السّبي غَلَبَ يَهْوَه في عادة اليهود، وأُخلي مكان إيل له.

ولهذا؛ لا أرى أنَّهم فهموا التّوحيد على الإطلاق، ومازالت حتى الآن أسماءٌ فيهم إيلية ويهوية، مما يدلُّ دلالة واضحة على أنَّهم يعبدون الإلهين معاً، ودون استثناء، ولذلك نحن لا نوافق دوسو في القول بأنَّ اليهود فهموا التّوحيد المطلق في يوم من الأيام، لا قبل السّبي ولا بعد السّبي، وقد وردت عبارات كثيرة تدلُّ على وجود آلهة عديدة عندهم، وانظر هذه العبارات معي لترى الدّلالة على ذلك، تثنية 3/ 24 «يا سَيِّدُ، الرّبُّ أنتَ، قد ابتدأتَ تُرِي عبدك عظمتك ويدك الشّديدة، فإنَّه أيُّ إله في السّماء وعلى الأرض يعمل كأعمالكَ وكجبروتكَ».

وهذا يعني وجود آلهة كثيرة، ولكنَّ إله إسرائيل خاصة أقوى الآلهة الموجودة في السّموات والأرض، فهو إله قوي ليس كمثله آلهة أخرى.

---

(1) عبد المسيح جورج متري، فكرنا الدِّيني، ص66.

تثنية 10/ 17 « لأنَّ الرّبَّ إلهكم هو إله الآلهة وربّ الأرباب الإلـه العظيـم الجبار المهيب الذي لا يأخذ بالوجوه، ولا يقبل رّشوة ».

تثنية 11/ 16 « فاحترزوا من أنْ تنغوي قلوبكم فتزيغوا، وتعبدوا آلهـة أخرى وتسـجدوا لها، فيحمى غضب الرّبّ عليكم ».

خروج 18/ 11 « الآن علمتُ أنَّ الرّبّ أعظم من جميع الآلهة، لأنَّه في الشّيء الذي بغوا به كان عليهم ».

وفي يشوع 22/ 22 « إله الآلهة الرّبّ، إله الآلهة الرّبّ، هو يعلم وإسرائيل سيعلم ».

أخبار الأيـام الأول 16/ 25، « لأنَّ الـرّبّ عظيـم ومفتخرٌ جـداً، وهـو مرهـوب فـوق جميع الآلهة ».

أخبار الأيام الثّاني 2/ 5، « والبيت الذي أنا بانيه عظيم، لأنَّ إلهنا أعظم من جميع الآلهة».

مزمور 50/ 1، « إله الآلهة الرّبّ تكلّم ودعا الأرض من مشرق الشّمس إلى مغربها ».

وقد ترجم جورجي كنعان هذا النّص بقوله: إله الآلهة إله عظيم ملك كبير على كل الآلهة.

مزمور 77/ 13، « أي إله عظيم مثل الله ».

مزمور 82/ 1، « الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي ».

مزمور 86/ 8، « لا مثلَ لك بين الآلهة يارب، ولا مثل أعمالك ».

مزمور 95/ 3، « لأنَّ الرّبّ إله عظيم ملك كبير على كل الآلهة ».

مزمور 96/ 4، « لأنَّ الرّبّ عظيم وحميد جداً مهوبٌ على كل الآلهة ».

مزمور 97/ 7، « اسجدوا له يا جميع الآلهة ».

مزمور97/ 9، « لأنك أنت يا ربّ عليٌّ على كُلِّ الأرض، علوتَ جداً على كُلِّ الآلهة ».

مزمور 135/ 5، « لأني أنا قد عرفتُ أنَّ الرّبّ عظيم، وربنا فوق جميع الآلهة ».

مزمور 136/ 2ـ3، « احمدوا إله الآلهـة لأنَّ إلـى الأبـد رحمتـهُ، احمـدوا ربّ الأربـاب لأنَّ إلى الأبد رحمته ».

مزمور 138/ 1، «أحمدكَ من كل قلبي، قدام الآلهة أرنِّم لك».

صفينا 2/ 11، «الربّ مخيف إلههم، لأنَّه يهزل جميع آلهة الأرض، فسيسجد له النّاس كُلّ واحد من مكانه، كُلّ جزائر الأمم».

إذن؛ لم يعبد اليهود في يوم من الأيام يَهْوَه وحده، وإنَّما عرفوا هنالك آلهة أخرى، وهو إله قبيلة خاصة، هو إله لهم وليس لغيرهم، اختاروه واختارهم، ويَهْوَه - باعتبار أحبار اليهود - ليس الإله الوحيد في العالم، وليس إله البشر أجمعين، وهذا الإله الواحد مقصور على بني إسرائيل وحدهم، أما الشّعوب الأخرى فلها طبعاً آلهتها التي تحميها وترعاها، فقد قالت راعوث لحماتها: «لا تلحِّي عليَّ أنْ أتركك وأرجعَ عنكِ لأنكِ حيثما ذهبتِ أذهبُ، وحيثما بتِّ أبيتُ، شعبك شعبي وإلهك إلهي، أما نعمى فقد رجعت إلى شعبها وآلهتها». راعوث 1/ 15.

وحينما تنتقل في التّوراة تلحظ أنَّ يَهْوَه إله إسرائيل، وكان لجوء الفرد منهم أو طرده إلى الشّعوب الأخرى يعني عبادة تلك الآلهة التي تعبدها الشّعوب الأخرى، والخلاصة أنَّ بني إسرائيل لم ينكروا وجود الآلهة الأخرى، وإنَّما قالوا بوجودها مع إلههم، ولكنهم عظَّموا إلههم أكثر من الآلهة الأخرى، وهذا لا يتعارض - حسب قولهم - مع إيمانهم بربهم يَهْوَه الذي يتميَّز من الآلهة الأخرى التي زعموا وجودها. وقد بدت دلائل الإشراك على بني إسرائيل منذ أول خروجهم، وعبادة العجل ليست بعيدة عن ذاكرتنا، فقد ذُكرت في القرآن الكريم كما ذُكرت في التّوراة، ومع أنَّ موسى - عليه السّلام - كان بين جموعهم، إلا أنَّهم عَبَدوا العجل أثناء غيابه، فموسى لم يستطع ردع قطيعه عن عبادة العجل الذّهبي، وعن الرّقص عراة أمامه، لأنَّ عبادة العجول التي مارسوها في مصر كانت لا تزال حية في ذاكرتهم بعد خروجهم القريب من مصر.

والحقيقة أنَّ بني إسرائيل لم يتخلّوا قط عن عبادة العجل، وظلوا زماناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان رمزاً لإلههم، وقد أشار الكتاب المقدس إلى عبادتهم للعجول في أكثر من موضع؛ فيربعام ملك إسرائيل أمر بصنع عجلي ذهب. ملوك أول 12/ 25 - 30/ ، أما مَنْ يقرأ هيكل سليمان فإنَّه يرى أنَّ الثّيران تُشكِّل القائمة الأولى في الكروبيم، سواء كان لمقام الرّبّ أو في المرحضة، وقد ذكر عبادة العجل. هوشع 8/ 5.

إنَّنا أمام التَّوراة، أمام كتاب مضطرب حائر، فبنو إسرائيل يتَّهمون سبط رأُوبين لمجرد أنَّهم بنوا مذبحاً في أرضهم:

« وبنى بنو رأُوبين وبنو جاد ونصف سبط منسَّى هناك مذبحاً على الأردن، مذبحاً عظيم المنظر، فسمع بنو إسرائيل قولاً هو ذا قد بنى بنو رأُوبين وبنو جاد ونصف سبط منسَّى مذبحاً في وجه أرض كنعان في دائرة الأردن مقابل بني إسرائيل، ولما سمع بنو إسرائيل اجتمعت كل جماعة بني إسرائيل في شيلوه لكي يصعدوا إليهم للحرب، فأرسل بنو إسرائيل إلى بني رأُوبين وبني جاد ونصف سبط منسَّى إلى أرض جلعاد فينحاس بن أَلِعازار الكاهن، وعشرة رؤساء معه، رئيساً واحداً من كُلِّ بيت أب من جميع أسباط بني إسرائيل، كُلُّ واحد رئيس بيت آبائهم في ألوف إسرائيل، فجاءوا إلى بني رأُوبين وبني جاد ونصف سبط منسَّى إلى أرض جلعاد وكَلَّموهم قائلين: هكذا قالت كُلُّ جماعة الرَّبّ، ما هذه الخيانة التي خنتم إله إسرائيل بالرَّجوع اليوم عن الرَّبّ ببنيانكم لأنفسكم مذبحاً لتتمرَّدوا اليوم على الرَّبّ، أقليلٌ لنا إثم فغور، الذي لم تتطهَّر منه إلى هذا اليوم، وكان الوبأ في جماعة الرَّبّ، حتى ترجعوا أنتم اليومَ عن الرَّبّ، فيكون أنكم اليوم تتمرَّدون على الرَّبّ، وهو غداً يسخط على كُلِّ جماعة إسرائيل، ولكنْ؛ إذا كانت نجسة أرض ملككم، فاعبروا إلى أرض ملك الرَّبّ التي يسكن فيها مسكن الرَّبّ، وتملَّكوا بيننا، وعلى الرَّبّ لا تتمرَّدوا، وعلينا لا تتمرَّدوا ببنائكم مذبحاً غير مذبح الرَّبّ إلهنا، أمَا خان عخان بن زارح خيانةً في الحرام فكان السَّخط على كُلِّ جماعة إسرائيل وهو رجل لم يهلك بإثمه وحده؟ فأجاب بنو رأُوبين وبنو جاد ونصف سبط منسَّى، وقالوا لرؤساء ألوف إسرائيل، إله الآلهة الرَّبّ، إله الآلهة الرَّبّ، هو يعلم وإسرائيل سيعلم إنْ كان بتمرُّدٍ، وإنْ كان بخيانة على الرَّبّ، لا تُخلِّصنا هذا اليوم»[1].

---

(1) يشوع 22/ 10 ـ 22/ .

ولي على هذا النّص ما يلي :

1 ـ لم تكن عبادتهم ليَهْوَه تختلف عن عبادة الأقوام الأخرى لآلهتهم ، فقد كان الجميع يصنعون مذابح ، ولو كانت الدّيانة تختلف لما رأوا في بنيان رأُوبين مذبحاً خيانة .

2 ـ إنَّ ديانة إبراهيم لإيل وعبادته له لم يكن فيها مذبح ما ، ولم يرث العرب هذه الشّعائر عن إبراهيم في الكعبة ، إذ أنَّ إبراهيم ـ عليه السّلام ـ قد بنى الكعبة ، ولو كان في ديانته بناء المذابح لوجدنا مذبحه عند الكعبة .

3 ـ إنَّ بني إسرائيل لم يعبدوا يَهْوَه وحده ، فقد لاحظنا أنَّ بني رأُوبين وجماعتهم قالوا : إله الآلهة الرّبّ ، إله الآلهة الرّبّ ، هو يعلم ، ولو كانوا يعتقدون بيَهْوَه إلهاً خالصاً للبشر لما قالوا هذا القول .

إنَّ بني إسرائيل قد يرون في الإله ثلاثة شخوص ، أو قُلْ المجمع الإلهي ثلاثة شخوص ، وقد يزيد المجمع على الثّلاثة ؛ تكوين 18/ 1 ـ 3/ ؛ الثّلاثة الذين جاءوا لتدمير سَدُوم وعمورة ، ثم نراهم بعد ذلك اثنين ؛ ويُعَبَّر عنهما بالملاكين ، في 19/ 1 ـ 2/ ، ونرى المجمع في أمكنة أخرى يرفع عدد آلهة المجمع ؛ حيث نجد عدداً لا بأس به من الألهة ، فهناك إيل صبأوت ، وإيل عليون ، وإيل شداي ، وإيل شلام ، وإيل جبور ، وإيل رحبوت ، وإيل يرأه ، ويَهْوَه يرأه ، وهي غالباً أسماء أماكن ، ولكننا نلاحظ العبارات التي تدلُّ على الشّرك الصّريح .

أبناء الله ، أبناء يَهْوَه ، بكر يَهْوَه ، إسرائيل ، أبناء الآلهة ، إله الآلهة ، وإلى هذا أشار ليوتاكسل بقوله : (يتجاور في التّوراة كثير من الآلهة ، ولكنَّ يَهْوَه يلعب الدّور الرّئيسي فيما بينها ، وقد حَرَّمُ اللاهوتيون اليهودُ النّطق باسم يَهْوَه تحت طائلة فقدان الإقطاعية المستقلّة ، ولذلك استبدلوه بلقب أدوناي الرّبّ ؛ ربّ الجنود)[1] .

أما عبادة الأفود والتّرافيم فهي مُنبثَّة في ثنايا التّوراة ، (فأنزلت ميكال داود من الكوَّة فذهب هارباً ونجا ، فأخذت ميكال التّرافيم ووضعتهُ في الفراش ، ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه ، وغطّته بثوب ، وأرسل شاول رُسُلاً لأخذ داود ، فقالت : هو مريض ، ثم أرسل شاول

---

(1) ليوتاكسيل ، التّوراة ، ص525 .

الرُّسُل ليروا داود قائلاً: اصعدوا به إليَّ على الفراش لكي أقتله، فجاء الرُّسُل وإذا في الفراش التَّرافيم ولبدة المعزى تحت رأسه، فقال شاول لميكال: لماذا خَدَعتِني فأطلقتِ عدوي حتى نجا؟ فقالت ميكال لشاول: هو قال لي: أطلقيني، لماذا أقتلكِ؟[1].

فالتَّرافيم ـ حسب رأي كَتَبَة التَّوراة ـ لم تكن إلا صنماً كبيراً حَلَّ محلَّ داود في الفراش. ولعلنا نذكر أنَّ راحيل سرقت ترافيم أبيها لابان حينما رحلت مع زوجها يعقوب.

ويُنعت يَهْوَه بأنَّه ربّ الجنود وربّ العواصف والأعاصير والزّلازل والبراكين، وكل المصائب والخراب الذي يحل بالعالم إنَّما هو مظهر من مظاهر قوته، ويُلقَّبُ بيَهْوَه صبأوت ربّ الجنود، فالإله يَهْوَه يتجلَّى في البرق والرّعد والمظاهر الطّبيعية. أشعيا 4/ 7 ونحميا 1/2، وهو إله الخصوبة، ويُحتفل به لصفته هذه في الأعياد المقدسة، فهو مانح الغيث ومُنبت الحب، ومانح الحياة، لذلك فالإسرائيلي إذا أراد القسم به أمسك بعضوه التّناسلي (تكوين 24/ 2)، كما أنَّ متعة الجماع شيء مُقدَّس، ولا شك في أنَّ هذه الصّفات قد أخذها اليهود من آلهة أخرى من جيرانهم بخلاف يَهْوَه الصّحرائي المخرب، والمعروف أنَّ إله الخصب بعل الإله الفينيقي، وقد حاربه الأنبياء الإيليون إيليا واليشع حرباً لا هوادة فيها، ثم سطوا على بعل، فأخذوا دوره، وأعطوه ليَهْوَه.

أما القصص التي تتحدَّث عنه كأنَّه إله عالمي فليست إسرائيلية، بل بابلية آشورية أو مصرية قديمة كقصة الخلق والطّوفان، أو برج بابل[2].

ويضيف الدّكتور فؤاد: ويَهْوَه شأنه شأن آلهة العالم القديم لم يتصوَّره الإسرائيليون روحاً بلا جسد، وإنَّما حينما يتحدَّثون عن يَهْوَه كأنَّهم يتحدَّثون عن الإنسان، ولم يكتف اليهود بتجسيد يَهْوَه، بل خلعوا عليه سائر صفات الإنسان من خير وشر.

إنَّ الصّفات الخاصة في المعبود لم يعرفها اليهود، ولا عرفوا أنَّه أبدي، وبالرّغم مما ورد أنَّه لا أول له ولا آخر، بل على العكس كثيراً ما يوردون ما يدلُّ على أنَّه له أول وله آخر، وقد تبنَّى الملوك ملوك إسرائيل وتصوَّروا أنَّ له أولاداً وهم أبناء يَهْوَه الأحباء، أما إيل فقد أتوا به

---

(1) صموئيل الأول 19/ 13 ـ 17/ .

(2) د. حسنين علي فؤاد، اليهودية واليهودية المسيحية، ص15.

مجموعاً إلوهيم، وقد كان كما أرى أنَّهم كانوا يقولون ذلك تعظيماً وخاصة التّيار الإيلي، ولما غلب التّيار اليهوي في التّسجيل صار إيل بمعنى إله وليس بمعنى الله، ولهذا تعددت صفات كثيرة لإيل في التّوراة قاصدة أسماء وليست صفات إله الجنود الإله القدير...

وقد أخذوا إيل عن إبراهيم وإسحق ويعقوب على حسب رأي التّوراة، لأنَّهم قالوا بآراميتهم، وكان الآراميون يعبدون إيل.

ويقول الدّكتور فؤاد: الوحدانية التي كأصل من أصول اليهودية، وتعليم من تعاليمها الدِّينية، وتقول صراحة بوحدانية الله لم تظهر في العهد القديم إلا بعد السّبي البابلي، والفضل في ظهورها في اليهودية يرجع ولا شك إلى أشعيا الثّاني 46/ 9 و 48/ 12 مع استثناء بعض العبادات الواردة في سفر التّثنية 4/ 19 و35/ و 6/ 4 فاتصال اليهود بالبابليين أصحاب السّيادة العالمية في ذلك الحين أشعياء 40/ 15 و 41/ 1 ووجهة نظر أشعيا الثّاني القائلة بأنَّ مستقبل إسرائيل جزء من السّياسة العالمية التي عاش فيها هو زمناً في خضمها؛ أشعيا 41/ 8 و 44/ 24 و 49/ 22، ثم اعتقدوا بأنَّ جميع هذه المظاهر تؤدي - ولا شك - إلى فائدة كل من إسرائيل ويهوذا؛ 40/ 27 و 45/ 17 و 51/ 22[1].

ويتابع رأيه فيقول: والحقيقة التي يجب الإشارة إليها أنَّ الإيمان بالمعبود يَهْوَه من آثار العهد الموسوي، لكنْ؛ هل عبدت الشّعوب الأخرى إبَّان حياة موسى مجموعة من الآلهة أم إلهاً واحد؟ هذا ما لم يصلنا، ويُرجِّحُ أنَّ العبادة التي انتشرت إبَّان العصر الموسوي كانت توحيدية وثنية، هذا ما دفع بعض مُؤرِّخي الأديان إلى الرّبط بين توحيدية موسى والتّوحيديتين المصرية والبابلية؛ حيث نجد في المصرية أخناتون، وفي البابلية عشتر؛ عاموس 5/ 5[2].

ولكني أخالف الدّكتور فؤاد في النّقاط الآتية:

1 - الدّيانة اليهودية ليست ديانة موسى باعتراف الدّكتور فرويد، وديانة موسى قد مُحيت، ولم يبق منها إلا أثر باهت الملامح.

(1) د. حسنين علي فؤاد، اليهودية واليهودية المسيحية، ص1.

(2) المرجع نفسه، ص22.

2 ـ لم يكن يَهْوَه إله موسى، وإنَّما كان إيل الإله الذي بَشَّرَ به يعقوب وإسحق وإبراهيم، ولم يوجد هذا الإله إلا في زمن ما بعد الأسر.

3 ـ لو لم يكن هناك مصدر غير التّوراة لقبلنا هذا الرّأي الذي طرحه الدّكتور فؤاد، ومَنْ يقرأ التّوراة بمفردها يرى ما لاحظ الدّكتور فؤاد، غير أنَّ الآثار البابلية قد أشارت إلى وجود ديانة توحيدية سابقة، من خلال ملوك ثلاثة تَسَمّوا بأسماء إيلية، ثم قام انقلاب على الملك الثّالث، كما أنَّنا نلاحظ أنَّ القرآن الكريم قد أشار إلى قِدَمِ التّوحيد، غير أنني أرى أنَّ التّوراة لم تستطع أنْ تبرهن في شكل ما أنَّ إلهاً واحداً لهم، ولهذا قَرَّرَ موسكاتي في كتابه تاريخ الشّرق القديم أنَّ إسرائيل كانت متأثرة بمعتقدات الأقوام المحيطة بها، ثم تساءل: إذا كان الرّأي مَتَّفقاً على أنَّ عقيدة التّوحيد ظلَّت متأرجحة حتى على عهد الأنبياء، وتعرَّضت لكثير من الأزمات، أيمكن القول بعد ذلك إنَّها قبل عصر الأنبياء كانت بمعناها الهام المعروف الآن، وإنَّها ظلَّت لفترة طويلة نوعاً من عبادة إله قومي لا يستبعد وجوده وجود آلهة غيره للشّعوب الأخرى؟!

ويختم موسكاتي هذا الجانب من بحثه فيقرر أنَّ العهد القديم كتبه أشخاص مختلفون، في عصور مختلفة، وبمحتويات مختلفة[1].

هذا الكلام يبقى صحيحاً لو أنَّ كُتُبَ الأنبياء سُجِّلت من أفواه الأنبياء، وقد مَرَّ معنا أنَّ هذه الأسفار قد دُوِّنت بعد الأنبياء بفترة طويلة، ولهذا أصابها ما أصاب التّوراة من تحريف وتغيير.

وبالإضافة إلى الدّليل المباشر المستمد من التّوراة ومن آراء علماء الدِّين المقارن من أنَّ إله إسرائيل كما يُفهم من التّوراة التي دَوَّنها اليهود لم يكن سوى ربٍّ قبلي محلّي لا يطابق مضمون مفهوم التّوحيد بمعانيه الرّوحية السّامية التي تعرفها الآن، فإنَّ هناك دليلاً آخر مستمداً من وصف التّوراة ذاتها لذلك الإله فيها كثيراً مع إطار من المهابة والجلالة إذا به يوضع في أحيان كثيرة في مواضع أخرى لا تليق بالإنسان من البشر ذي العزة والخلق الكريم، فضلاً عن الرّبِّ الإله العظيم؛ فقد صَوَّرته التّوراة أولاً في صورة المساوم مع أحد عباده، جاءت بها على لسان يعقوب أنَّه قال: (ونذر يعقوب نذراً قائلاً: إنْ كان الله معي وحفظني في هذا الطّريق الذي أنا

---

(1) جرجس د. صبري، التّراث اليهودي الصّهيوني، ص52.

سائر فيه، وأعطاني خبزاً لآكل وثياباً لألبس، ورجعتُ بسلام إلى بيت أبي يكون الرّبّ لي إلهاً)[1].

هذا الكلام لا يدلُّ على إيمان تام بالإله، وإنَّما هو كلام مشكوك به، فإنْ قَبلَ الرّبّ هذه الصّفقة آمن به يعقوب، وإلا فإنَّ يعقوب سيُفتِّش عن إله آخر.

مصارعة يعقوب للإله؛ تكوين 32/ 24 ـ 29/ ، وقد مرت معنا عدة مرات، ولا حاجة بنا إلى إعادة ذلك، وحسبنا أنْ نقول أي إله هذا الذي لا يستطيع مصارعة يعقوب.

نسبت التّوراة إلى الله من الصّفات أحطَّ الصّفات، مما لو نُسب إلى أحطِّ البشر لرفضه، ولن نناقش الآن هذه الصّفات، وإنَّما سنناقشها في مكان آخر بشكل مفصل، والتّوراة تغصُّ بمناقشات بين الإله وموسى وبني إسرائيل، مما لا يحدث بين الأنداد، وكأنَّ بني إسرائيل هم آلهته مثل يَهْوَه، وهذا يُذكِّرنا بأنَّ اليهود هم الذين صاغوا الإله حسب أهوائهم كما صاغوا التّوراة، ويقول الدّكتور جرجس: (تكشف هذه الأمثلة القليلة لعشرات مثلها من قيمة التّوراة ككتاب تاريخ، فإنَّه إذا كانت صورة إله إسرائيل وأنَّها لم تعصمه من التّناقض والابتذال، أو في الوسع أنْ نقبل محتويات الكتاب الذي يأتلفها على أنَّها من حقائق التّاريخ أو أنَّه حسبنا النّظر إليها كمجموعة من الأباطيل صنَّفَها الخيال ليصل مَنْ صَنَّفَها ـ برغم التّاريخ وعلى حسابه ـ إلى تحقيق غرض معين؟ وإذا كان الأمر كذلك فما الغرض المعيَّن؟)[2]

والغريب في الأمر ـ رغم أنَّ التّوراة تعجُّ بالصّفات المتناقضة لهذا الإله الهمجي القاتل الذي لا يعترف بالنّاس ولا يعترفون به، يظلُّ اليهود على اعتقادهم أنَّ هذا الإله يحلُّ محلَّ الله ربّ العالمين، الرّحمن الرّحيم، فتقول الكاتبة اليهودية تروي فاليس روز مارين في كتابها البقاء اليهودي: إنَّ المساهمة الخالدة الباقية التي قدَّمها اليهود للعالم هي اكتشافهم الله الواحد الفريد غير المتجسِّد، وقد جاءت المسيحية، ثم الإسلام بعد ذلك فعدَّلت كُلٌّ منهما من فكرة اليهودية

---

(1) تكوين 28/ 20 ـ 21/ .

(2) د. جرجس صبري، التّراث اليهودي الصّهيوني، ص56.

عن الله تعديلاً جعل الفكرة أكثر ملاءمة لِمَنْ كانت وحدانية اليهودية بالنّسبة لهم أدقّ وأكمل من أنْ تُستوعَب، وقد كان من أثر ذلك أنْ صيغت حضارة الغرب في صورة جديدة تماماً[1].

وتتساءل الكاتبة لِمَ كان الإله الواحد من اكتشاف اليهود دون غيرهم من الشّعوب، ونجيب عن هذا التّساؤل بالقول إنَّ اليهود قد بعثوا شعباً اختاره الله، كما يكشف كُلٌّ عبقري عن نفسه كمختار بمعنى خاص جداً، فيه عنصر من التّلقائية، ومن الاختيار، ومن العطاء الخاص الذي لا يمكن تفسيره بالمقاييس السّكولوجية المعروفة، وتقول الكاتبة: إنَّ اليهودية ترى أنَّ لله وظيفتين رئيسيتين: القاضي الصّارم على النّاس، والأب المحبُّ لهم، الرّحيم بهم، ورحمته غالبة على عدالته، ولذلك فإنَّ الله يذكر الرّحمة عند غضبه، ويحزن على ما ينال الخطاة من عذاب، وقد حزن كثيراً على العذاب الذي لاقته إسرائيل. والله في حبه للبشرية يتألّم فعلاً لخطيئة الخطاة، يتألّم معهم، لا من أجلهم كما في المفهوم المسيحي[2].

ولنقف عند هذا النّص قليلاً لنقول:

1- إنَّ يَهْوَه لا يعترف بالبشرية ككل، ولا يعترف إلا بإسرائيل فقط، أما باقي الشّعوب فلهم آلهتهم التي لا يعترف بها على الإطلاق، ويغار من بني إسرائيل إنْ تركوه، وعبدوا إلهاً غيره.

2- إنَّ إسرائيل لم تكتشف يَهْوَه اكتشافاً، وإنَّما هو الذي كشف نفسه لموسى وقال: إنَّه الإله الذي لم يعرفه أحد بهذا الاسم قبل موسى، لأنَّه لم يُعَرِّف أحداً على نفسه قبل ذلك.

3- إنَّ صفات الله - سبحانه وتعالى - ووظائفه ليست كما ذكرت الكاتبة اليهودية، فهي لم تخرج عن يهوديتها في بحثها، فالله ليس الشّديد العقاب، وإنَّما هو الخالق المُصوِّر الباري المهيمن. هو الغافر الغفور، قابل التّوب، هو الرّحمن الرّحيم، هو الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، يحكم الكون من خلال نظام خلقه لهذا الكون، وهو الذي يُحاسِبُ، لكنه ليس القاضي الصّارم، وإنَّما رحمته وسعت كُلَّ شيء.

---

(1) د. جرجس صبري، التّراث اليهودي الصّهيوني، ص129.

(2) د. جرجس صبري، التّراث اليهودي الصّهيوني، ص130.

هذا الإله لا يندم، ولا يحزن، كما تُصوِّره التّوراة، وهو غير عابئ إنْ ضلّت البشرية، أو اهتدت، ولكنه يرسل الرُّسُلَ لهداية البشرية، أما أنَّه يحزن ويتألم إنْ ضلّت بنو إسرائيل، ويُدمِّر بقية الأمم، ألن تحتجَّ عليه فيما إذا كان خالقها لم يرسل لها رُسُلاً لهدايتها؛ لِمَ دمَّرها دون أنْ يرشدها إلى الطّريق الصّحيح؟!

4 ـ إنَّ إله المسلمين والنّصارى إله محبة ورحمة، لا إله نقمات وجنود، إنَّه إله قوي رحيم، لا إله تدمير وإبادة، ولا زلنا نسمع دعوة الرّسول صلى الله عليه وسلم: اللهم اغفر لقومي فإنَّهم لا يعلمون.

الله سبحانه هو الذي أرسل رُسُله بالحق من آدم حتى محمد لهداية البشرية، لا لتدميرها، وقد قال سبحانه: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

لنتابع عبادة اليهود للآلهة، فقد رأينا أنَّ هناك اعترافاً ضمن توراتهم بإلهين؛ إيل ويَهْوَه، ولن نناقش الآلهة التي نفَّر منها أنبياؤهم، وعَبَدَها بنو إسرائيل، كما تقول توراتهم، لن نناقش الصّورة التي أوردها يَهْوَه لإسرائيل بالمرأة الزّانية التي تدفع أجراً لِمَنْ يزني بها.

وإنَّما سأناقش الآلهة التي اعترفت التّوراة بأنَّها آلهة، وعَبَدَها بنو إسرائيل في التّوراة فقط.

عبادة الحيَّة: (وارتحلوا من جبل هور في طريق بحر سوف ليدوروا بأرض أدوم، فضاقت نفس الشّعب في الطّريق، وتكلَّم الشّعب على الله وعلى موسى قائلين: لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية، لأنَّه لا خبز ولا ماء، وقد كرهت أنفسنا الطّعام السّخيف؟ فأرسل الربّ على الشّعب الحيَّات المحرقة، فلدغت الشّعب، فمات قوم كثيرون من إسرائيل، فأتى الشّعب إلى موسى وقالوا: قد أخطأنا إذ تكلَّمنا على الرّبّ وعليك، فَصَلِّ إلى الرّبّ ليرفع عنَّا الحيَّات، فَصَلَّى موسى لأجل الشّعب، فقال الرّبّ لموسى: أصنع لك حَيَّةً محرقة، وضَعْهَا على راية، فكُلُّ مَنْ لُدغ ونظر إليها يحيا، فصنع موسى حَيَّةً من نحاس، ووضعها على الرّاية، فكان متى لدغت حيَّةٌ إنساناً ونظر إلى حَيَّة النّحاس يحيا)[2].

---

(1) سورة الملك / 22/.

(2) العدد 21/ 4 ـ 10/.

وظلت عبادة الحيَّة حتى أيام سليمان كما تقول التّوراة، ولكني أقول لا زالت عبادة الحيَّة عند اليهود حتى زماننا هذا، إذ أنَّ شعارهم الحيَّة التي تلفُّ الكرة الأرضية، وهي إحدى الشّعارات التي تطرحها الصّهيونية.

ومن الآلهة التي عَبَدَها اليهود في توراتهم الشّيطان الذي سَمّوه عزازيل، فقد ورد في وسفر اللاويين الإصحاح السّادس عشر:

(ويأخذ التَّيسَيْن ويوقفهما أمام الرّبّ لدى باب خيمة الاجتماع، ويُلقى هرون على التَّيسَيْن قرعتين؛ قرعةً للرّبّ وقرعةً لعزازيل ويُقرِّب هرون التَّيس الذي خرجت عليه القرعة للرّبّ، ويعمله ذبيحةَ خطيَّةٍ، وأما التَّيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل فَيُوقَف حياً أمام الرّبّ لِيُكفِّر عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البريَّة). والذي أطلق التَّيس إلى عزازيل «يغسل ثيابه ويرحض جسده بماء، وبعد ذلك يدخل إلى المحلَّة»[1].

فَمَنْ عزازيل هذا؟ فَسَّرَهُ التّلمود بأنَّه الشّيطان، وكان يُعطى هذا التَّيس لأنَّه يحمل خطايا بني إسرائيل، فالضّحية تُكَفِّر عن بني إسرائيل خطاياهم.

فكرة عبادة الشّيطان اتقاءً لشره إنَّما هي فكرة فارسية خالصة، ولهذا اختلف العلماء الباحثون في التّوراة حول معرفة اليهود للشّيطان؛ هل أتت هذه المعرفة من البابليين أم الفرس؟ فعند البابليين ساتانا الشّيطان، وهو اشتقاق عربي خالص بابلي، لكنَّ عبادة إله الخير وإله الشّر إنْ هي إلا عبادة فارسية خالصة، وقد تأثَّر الفكر اليهودي بالفكرين البابلي والفارسي. ارجع إلى كتابي أثر بابل في تحريف التّوراة، وكتابي الدّيانة الفارسية وأثرها في الدّيانة اليهودية، وقد مَرَّ ذكر الشّيطان في مواقع عديدة في التّوراة، وخاصة سفر أيوب؛ حيث كان الشيطان يجتمع مع يَهْوَه في مجمعه ويناقشه في عمله.

هذه هي الآلهة التي اعترفت التّوراة اليهودية بعبادة اليهود لها، أما الآلهة التي اعترفت اليهودية بالعبادة لها واستنكرتها فهي كثيرة.

1 ـ عشتروت. 2 ـ تموز. 3 ـ عانات. 4 ـ أسخيما.

---

(1) اللاويين 16/ 7 ـ 8 و26/ .

5 ـ البعل: وقد حورب حرباً شديدة لا هوادة بها، وخاصة على يدي النّبي إيليا واليشع.

فإذا كانت هذه الآلهة كلها عَبَدَها اليهود فأيّ مُوحِّدين هؤلاء؟

بالإضافة إلى هذه الآلهة هناك آلهة لمحت إليها التّوراة بشكل خفي، وجعلتها تمرُّ عَرَضَاً حتى لا ينتبه إليها القارئ، وأخصُّ بالذّكر عبادة الحجارة، وخاصة المخروطية منها، والتي تُمثِّل العضو التّناسلي الذّكري، وقد مرت هذه الأنصاب في مواقع عديدة في التّوراة، وخاصة فيما سَمّوه عهد الآباء.

لقد وُجدت هذه الحجارة في أنحاء كثيرة من التّوراة، وكانت تُسمّى المصفاة، أو المصبيم جمع مصفاة (فاستيقظ يعقوب من نومه وقال: حقاً إنَّ الرّبّ في هذا المكان وأنا لم أعلم، وخاف وقال: ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السّماء، وبكَّرَ يعقوب في الصّباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه، وأقامه عموداً، وصَبَّ زيتاً على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل). تكوين 28/ 16 ـ 19/ .

ووَرَدَ أيضاً: (فأخذ يعقوب حجراً، وأوقفه عموداً، وقال يعقوب لأخوته: التقطوا حجارة، فأخذوا حجارة، وعملوا رجمةً، وأكلوا هناك على الرّجمة، ودعاها لابان يَجَرسهدوثا، وأما يعقوب فدعاها جَلْعِيد، وقال لابان: هذه الرّجمة هي شاهدةٌ بيني وبينك اليوم، لذلك دُعي اسمها جَلْعِيد والمصفاة، لأنَّه قال: ليراقب الله بيني وبينك حينما نتوارى بعضنا عن بعض). تكوين 31/ 45 ـ 49/ .

وظلَّت هذه العبادة حتى أيام يشوع، فقد أمرَ يشوع اثني عشر رجلاً من أسباط بني إسرائيل أنْ يرفع كُلُّ واحد حجراً لتوضع أنصاباً على طرف النّهر. يشوع 4/ 5 ـ 9/ .

وقد نفَّذ الأسباط ذلك، ووضعوا الحجارة تذكاراً لذلك.

« وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله، وأخذ حجراً كبيراً ونصبه هناك تحت البلوطة التي عند مقدس الرّبّ، ثم قال يشوع لجميع الشّعب: إنَّ هذا الحجر يكون شاهداً علينا، لأنَّه قد سمع كُلَّ كلام الرّبّ الذي كَلَّمنا به فيكون شاهداً عليكم لئلا تجحدوا إلهكم » يشوع 24/ 26 ـ 27/ .

وكذلك ورد في سفر القضاة 6/ 21 ـ 26/ ، « فصعدت نـارٌ من الصّخرة وأكلت اللحم و الفطير » حتى إنَّ كتابة التّوراة كُتبت في عـهد موسى على حجرين طويلين ، كما قال كَتَبَة التّوراة ، ووضعوا الحجرين في تابوت العهد . تثنية 32 وفي المزمور 27 وُجدت العبارة (على صخرة يرفعني) وهي المصفاة .

وإلى هذا أشار كثير من الباحثين ، وقد رأى شفيق مقار عبادة العضو التّناسلي الذّكري يتجلّى في المظاهر التّالية :

1 ـ القَسَم الذي أقسم إليعازر الدّمشقي لإبراهيم الخليل .

2 ـ الحجارة التي تُمثِّل العضو الذّكري التّناسلي ، وسُمِّيت بالمصبات .

3 ـ الحيَّة المحرقة ليست إلا العضو الذّكري التّناسلي .

أما الدّكتور فؤاد حسنين علي فقد قال : (ثم أخذت الدّيانة الكنعانية تؤثّر في الإسرائيلية حتى اعتقدت أنَّ كل مكان مقدس يجب أنْ يقع على جبل أو تحت شجرة دائمة الخضرة ، أو عند منابع المياه ، و كذلك حيث الأحجار والكهوف ، وإنْ كان معظمها يقع في الأماكن المرتفعة كما تدلُّ التّسمية بإماه ؛ أي جبل أو تل أو ذروة)...

وقد نجد في الأماكن المقدسة الأعمدة المعروفة باسم المصبيم ، وقد تعني عضو التّناسل للرّجل وطقوسه ، واستخدام هذه الطّقوس في هذه المعاني لم يرد له ذكر في العهد القديم ، وإنْ كان قد ورد في إرْمِيَا ما معناه (قائلين للعود أنت أبي وللحجر أنت ولدتني)(1) .

2 ـ الإيمان بالملائكة والرُّسُل:

آمن جماعة التّوراة بالملائكة ، فقد وردت الملائكة في الأسفار التّالية :

التكوين : إنَّ أول ذكر للملائكة ورد في سفر التّكوين في الإصحاح الثّالث ، ولم يُشِرْ كَتَبَة التّوراة متى خُلقت الملائكة ، ولا كيف خُلقوا ، ولا مَنْ خلقهم ، هل الملائكة هم الذين يُكوِّنون المجمع الإلهي أم لا ؟

---

(1) حسين علي د . فؤاد ، اليهودية واليهودية المسيحية ، ص55 .

بقيت التّوراة صامتة عن هذا كله، حتى إذا طرد آدم من الجنـة، وجدنـا واحـداً مـن طائفـة الكروبيم يقف حارساً على الجنة، حتى لا يعود إليها آدم من جديد.

(وقال الرّبّ الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا، عارفاً الخير والشّر، ولأنَّ لعله يمدُّ يده ويأخذ من شجرة الحيوة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرّبّ الإله من جنـة عـدن ليعمل الأرض التي أُخذ منها، فَطَرَدَ الإنسان وأقام شرقيَّ جنـة عـدن الكروبيـم ولـهيب سيفٍ متقلب لحراسة طريق شجرة الحيوة). تكوين 3/ 22 ـ 24/.

كما ورد ذكر الملائكة في الإصحاح السادس عشر، «فوجدها (هاجر) مـلاك الـرّبّ علـى عين الماء في البرية، على العين التـي في طريـق شُـور، وقـال: يـا هـاجر جاريـة سـاراي مـن أيـن أتيتِ؟ وإلى أين تذهبين؟ فقالت: أنا هاربة من وجه مولاتي سـاراي، فقـال لـها مـلاك الـرّبّ: ارجعي إلى مولاتـك، واخضعـي تحت يديـها، وقـال لـها مـلاك الـرّبّ: تكثيـراً أُكَثِّرُ نسلكِ، فلا يُعَدُّ من الكثرة، وقال لها ملاك الرّب: هاأنتِ حبلى فتلدين ابناً، وتدعين اسـمه إسـمعيل، لأنَّ الرّبّ قد سمع لمذلَّتك). تكوين 16/ 7 ـ 11/.

الملاك هنا لإبلاغ رسالة الرّبّ إلى هاجر، والغريب في الأمر هـل الـرّبّ الـذي سـمع مذلّة هاجر يقبل أنْ تُظلم هاجر، ولا ينقذها وهي زوجة رجله إبراهيم؟

أوليس إيل هو الإله الذي خلق إبراهيم، وخلق نسله أيضاً، وبه سُمِّيَ إسماعيل؟

لكنها العنصرية، قاتلهم الله أنَّى يُؤفكون.

أما في الإصحاح الثّامن عشر فقد جاء ملاكان برفقة الرّبّ، وظلَّ الرّبّ يجـادل إبراهيـم، وذهب الملاكان لتدمير سَدُوم «فجـاء الملاكـان إلـى سَـدُوم مسـاءً، وكـان لـوط جالسـاً في بـاب سَدُوم، فلمـا رآهمـا لـوط قـام لاستقبالهما، وسـجد بوجهـه إلـى الأرض، وقـال: يـا سـيدي ميـلا إلـى بيـت عبدكمـا، وبِيتَـا، واغسـلا أرجلكمـا، ثـم تُبكِّـران، وتذهبـان في طريقكمـا». تكوين 19/ 1 ـ 2/.

ودَمَّرَ المدينـة كمـا ورد في السِّفر التّاسـع عشـر، ولـم يبـق منـها إلا لـوط وابنتـاه، فمهمـة الملائكة هنا تنفيذ أوامر الله واختبار البشر الفاسدين الذين لا يمتُّون بصلة إلى جماعة إسرائيل.

ثم ظهر الملاك ليوسف، فخلَّصه من الجب، وساعده في مصر كما يقول الإصحاح 48/ 16، وغابت الملائكة عن بقية أسفار التّوراة، حتى إذا وصلنا إلى سفر القضاة عاد ذكر الملائكة من جديد، (وصعد ملاك الرّبّ من الجلجال إلى بوكيم)، ثم تلا التّوصيات بعد ذلك، وكأنَّه جبريل يوحي إلى الأنبياء... «ولما تكلَّم ملاك الرّبّ بهذا الكلام إلى جميع بني إسرائيل، أنَّ الشّعب رفعوا صوتهم وبكوا، فدعوا اسم ذلك المكان بوكيم، وذبحوا هناك للرّبّ». قضاة 2/ 1ـ5/ .

وفي هذا الكلام تناقضات؛ فكيف صعد ملاك الرّبّ إلى بوكيم، ولم يكن يُسمّى ذلك المكان بوكيم، ثم سُمِّي بعد ذلك المكان بالبوكيم.

ولم نعرف ما منظر الملائكة، إلا أنَّ سفر القضاة أعطانا «جاء إليَّ رجل الله ومنظره كمنظر ملاك الله، مرهب جداً، ولم أسأله من أين هو، ولا هو أخبرني عن اسمه». قضاة 13/ 6/ .

ولكنَّ هذا السِّفر يناقض سفر التّكوين، فملاك الرّبّ هنا لا يأكل «فقال ملاك الرّبّ لمنوح: ولو عَوَّقتني لا آكل من خبزك، وإنْ عملت محرقةً فللرّبّ أصعدها، لأنَّ منوح لم يعلم أنَّه ملاك الرّب، فقال منوح لملاك الرّبّ: ما اسمك، حتى إذا جاء كلامك نكرمك، فقال له ملاك الرّب: لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب». 13/ 15ـ18/ .

ولكنَّ الأغرب من هذا أنَّ الكاتب لم يستطع أنْ يُميِّز بين ملاك الرّبّ والرّب، «فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السّماء أنَّ ملاك الرّبّ صعد في لهيب المذبح ومنوح وامرأته ينظران، فسقطا على وجهيهما إلى الأرض، ولم يَعُدْ ملاك الرّبّ يتراءى لمنوح وامرأته، حينئذ عرف منوح أنَّه ملاك الرّب، فقال منوح لامرأته: نموت موتاً لأنَّنا قد رأينا الله، فقالت له امرأته: لو أراد الرّبّ أنْ يُميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة». قضاة 13/ 20ـ23/ .

أما في سفر التّكوين فقد عمل إبراهيم وليمة للرّبّ وملائكته «وظهر له الرّبّ عند بلُّوطات مَمْرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حَرِّ النّهار، فرفع عينيه ونظر، وإذ ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض .... فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال: أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميذاً، اعجني واصنعي خبز

ملَّة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر، وأخذ عجلاً رخصاً وجيِّداً وأعطاه للغلام، فأسرع ليعمله، ثم أخذ زُبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدَّامهم، وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشّجرة أكلوا». تكوين 18/ 1 ـ 8/ .

فهل الملائكة والرّبّ يأكلون أم لا يأكلون؟

يبقى الجواب عند مَنْ كَتَبَ التّوراة، لأنَّ مَنْ كَتَبَ التّوراة تناقض في هذا.

«ثم ظهر ملاك الرّبّ في أخبار الأيام الأول لِيُدَمِّرَ أورشليم بعد أنْ أهلكَ سبعين ألف رجل، ثم ندم الرّبّ، فأمر الملاك بوقف الموت». 21/ 15 ـ 27/ .

أما في أشعيا فقد وقف ملاك الرّبّ ليدافع عن اليهود، ويدمر جيش آشور، فأباد مئة ألف وثمانين ألف وخمسة آلاف من جنود آشور، فرجع ملك آشور سنحاريب وأقام في نينوى. ورغم الكذب التّاريخي الذي أبداه كاتب التّوراة، فقد جعل الملائكة يدافعون عن دولة إسرائيل، ولِمَ لا، أليسوا الشّعب المختار ويَهْوَه إلهاً خاصاً لهم؟!

أما في زكريا فقد ورد مجمع الآلهة المؤلف من ثلاثة؛ الرّبّ والملاك والشّيطان عن يمين الرّب، هكذا بدت الصّورة ليهوشع الكاهن، أما في الإصحاح الرّابع فكان عمل الملاك أنْ يوقظَ زكريا، ويُكلِّمه، وزكريا قد وُجد في عهد زربابل بن شالتئيل الذي بدأ ببناء الهيكل، وكذلك كان دور الملاك في سفر ملاخي يأتي ليُهيِّئ الطّريق أمام الرّبّ، أما وصف الكروب فقد مرَّ معنا في سفرين؛ الملوك الثّاني في بناء الهيكل وفي سفر أخبار الأيام الأول، ولا حاجة بنا إلى إعادته. وقد جاء وصف للملائكة والشّياطين في التّلمود، وسنناقش هذين في فقرة التّلمود الخاصة.

أما الإيمان بالرُّسُل فقد نفوا الرّسالات السّابقة عنهم، ولم يتحدَّثوا عنها، فآدم ليس رسولاً، كما نفوا الرّسالة عن نوح، وتركوه يسكر ويتعرَّى ليلعن كنعان بن حام، ومن ثم لم يتكلَّموا عن رسالة إبراهيم وإسحق ويعقوب، وأول ما بدأت الرّسالة والنّبوة عندهم بدأت بموسى، ومن ثم أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا كثرة لا يمكن إحصاؤهم.

أما مَنْ جاء من أنبياء ورُسُل لغيرهم من الأمم كعاد وثمود ومدين، فلم يجرِ لهم أي ذكر، حتى أنَّ نينوى جعلوا نبيَّهم من بني إسرائيل، ثم لم يعترفوا بعيسى ولا محمد، ولهذا؛ نقول إنَّهم لم يؤمنوا بإله غير يَهْوَه، وهو إله خاص بهم، كما لم يؤمنوا برُسُلٍ وأنبياءَ غير أنبيائهم.

3 ـ الإيمان بالكتب المقدسة:

لم يؤمن اليهود لا بالكتب المقدسة التي سبقتهم، ولا بالكتب المقدسة التي تلتهم، بل إنَّ بعض كُتُبهم الخاصة حذفوها، ولم يؤمنوا بها، وقد ناقشنا كيف أنَّ النّصارى في مجالسهم أضافوا بعض الكتب القانونية الثّانية والمدعوَّة بالمنحولة، إذنْ؛ لم يعترف اليهود بالرِّسالات التي سبقتهم كرسالات هود وصالح وإبراهيم، ولقد أُخبرنا عن الرّسول صلى الله عليه وسلم أنَّ هؤلاء الرُّسُل قد أنزل عليها صحف، ودَلَّنا القرآن الكريم على وجود بعض الصّحف ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾. / سورة الأعلى/.

بل إنَّهم لم يعترفوا برسالة داود، وحوَّلوا كتابه الزّبور إلى مزامير، أناشيد وأدعية، ووضعوا بجانب داود نبيين جاد وناثان، وجعلوهما يراجعانه في بعض الأمور.

ولم يؤمنوا بالإله خالق الكون إله العالمين، بل آمنوا بيَهْوَه خالقاً خاصاً لهم، إلهاً خاصاً لهم، وللبشر الباقين آلهتهم الأخرى، ولهذا؛ يبقى إيمانهم ـ إنْ كانوا أصحاب رسالة ـ إيماناً مشكوكاً به.

الفصل الثّاني

الطّقوس

وسنناقش في هذا الفصل النّقاط التّالية :

1 ـ العبادات : الصّلاة ، الصّوم ، الحج ، الزّكاة .

2 ـ معاملات الزّواج ، الطّلاق .

3 ـ الأعياد والقرابين .

4 ـ المسيح .

1 ـ العبادات:

1َ ـ الصّلاة:

لا أعتقد أنَّ ديناً من الأديان ـ التي تعتقد بوجود إله سواء هذا الإله كان أرضياً أم سماوياً ، من اختلاق الخيال الإنساني ، أم أوحى إلى الإنسان لهدايته ، إلى الطّريق القويم ـ خلا من الصّلاة ، والصّلاة في الأصل الدّعاء للإله الخالق ، والدّعاء إمّا أنْ يتوجه مباشرة دون طقوس معينة ، أو يكون خلال طقوس معينة ، والدِّين اليهودي ـ الذي تكوَّن بعد ألف سنة من ضياع ديانة موسى ـ احتفظ باسم الصّلاة ، وإنْ كان غيَّرَ في طقوسها ، فقد احتفظ ببعض طقوسها ، واحتفظ بها كدعاء فقط ، وسنناقش النّوعين معاً .

الصّلاة كدعاء: ورد هذا النّوع من الصّلاة وخاصة في المزامير .

المزمور 17/ 1 ؛ « اسمع يا ربّ للحق ، انصت إلى صراخي ، اصغِ إلى صلاتي من شفتين بلا غش » .

وفي نهاية المزمور الثّاني والسّبعين لسليمان يقول: تمت صلوات داود بن يسَّى. وفي بداية المزمور السّادس والثّمانين صلاة لداود إذ يقول: «أَمِلْ يا ربّ أذنكَ، استجبْ لي، لأني مسكين وبائس أنا».

والمزمور التّسعون صلاة لموسى رجل الله، «يا ربُّ، ملجأً كنتَ لنا في دور فدور». أما المزمور الخامس والتّسعون فهو دعاء خالص، وإنْ لم يكتبوا عليه صلاة، وكذلك السّادس والتّسعون، أما المزمور المئة والثّاني فهو صلاة لمسكين إذا أعيا، وسكب شكواه أمام الله؛ «يا ربُّ استمع صلاتي وليدخل إليك صراخي».

وبهذا يكون القسم الأول من الصّلاة وهو الدّعاء قد تحقَّقَ في بعض أقسام التّوراة، فهم عَدُّوا الدّعاءَ صلاةً.

فما طقوس الصّلاة عند اليهود؟

هذه الطّقوس وردت في التّوراة، كما وردت في التّلمود، وسنعرف طقوسها وأوقاتها ودعاءها من خلال مناقشة الصّلاة عندهم.

أ ـ أوقات الصّلاة:

كانت نظرة اليهود إلى الصّلاة كنظرة باقي الشّعوب، فهي صلة بين العبد وربِّه، ولهذا كثيراً ما كان الكهَّان يحثُّون النّاس على أداء الصّلاة في أوقاتها، فعند البابليين يقول الكاهن: اعبد إلهك كُلَّ يوم، وقَدِّم له القرابين والصّلوات التي تتمُّ على أكمل وجه، مع تقديم البخور، قَدِّم قربانك طائعاً لإلهك، لأنَّ ذلك يتناسب مع الآلهة، قَدِّم له الصّلاة والضّراعة والسّجود كُلَّ يوم، وسوف تُثاب على ما ستفعل، عندئذ سيكون بينك وبين الله اتصالٌ كاملٌ، إنَّ التّبجيل يولد الحظوة، والقربان يطيل الحياة، والصّلاةُ تُكَفِّرُ عن الذّنب[1].

فإذا ما كانت الصّلاة تُكَفِّرُ الذّنوب منذ ذلك الوقت حتى الآن فإنَّ الصّلاة لم تخرج عن وظيفتها المعهودة إليها، واسمع هذه النّصائح:

---

(1) المعتقدات الدّينية لدى الشّعوب، جفري بارندز، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ص29.

لا تغتبْ أحداً، وكُنْ عفَّ اللسان، لا تنطقْ بالشّر، تَلَطَّفْ في كلامك، إنَّ مَنْ يغتب وينطق بالشّر يَصُبُّ شمس إله العدالة عقابه على رأسه، إياكَ والإسراع في الكلام حين تكون مغضباً، إذا تكلّمتَ في أثناء غضبك ندمتَ فيما بعد، وأحزنتَ عقلكَ بالسّكوت، تَقَدَّم إلى إلهك كُلَّ يوم بالهبات، والصّلاة فهي خيرُ أنواع النّجور، أَقْبِلْ على إلهك بقلبٍ طاهرٍ، لأنَّ هذا هو ما يليقُ به، عليكَ بالصّلاة والاستغفار والسّجود له في الصّباح الباكر، وتعلَّمْ بحكمتكَ من اللّوح، إنَّ مخافة الإله تجلبُ الرّضا، والقربان يعني الحياة، والصّلاة تؤدي إلى غفران الذّنوب[1].

والصّلاة كما يبدو عند البابليين كانت عند الفجر، وفيها ركوع وسجود كما يظهر من هذا الكلام.

والصّلاة ـ عند البابليين ـ بالإضافة إلى الرّكوع والسّجود هي رفع اليدين معاً إلى أعلى[2].

أما عند زرادشت فإنَّ الصّلاة واجبة عنده، واسمع صلاته:

هذا ما أسألكَ عنه فأصدقني الخبر يا أهور امزدا: مَنْ رسم للكواكب وللشّمس طريقها؟ إنْ لم يكُ بكَ في مَنْ يكمل القمر وينقص؟ مَنْ ثَبَّتَ الأرض في الأولى، وأمسك السّماء أنْ تقع؟ مَنْ أيها الحكيم خَلَقَ روحَ الخير؟ أيّ فنّان أبدع النّور والظّلمات؟ مَنْ خَلَقَ الصّباح والظّهر والمساء ليُعيِّن للَّبيب واجبه؟ إنَّهُ أنتَ يا واحدُ، يا أحدُ. اكشفْ عن أسرار المعرفة كي تساعدَني على نشر دينِكَ أيها الإله الواحد الحكيم يا أهورامزدا[3].

أما أوقات الصّلاة عند زرادشت فهي بعدد أقسام اليوم الخمسة، وهي مُوزَّعة على النّحو التّالي:

1 ـ صلاة الصّبح؛ كاه هاون.

2 ـ صلاة الظّهر؛ كاه رتون.

---

(1) اها مرتين جون، تاريخ العالم، ص684.

(2) جفري بارندز، المعتقدات الدِّينية لدى الشّعوب، ص30.

(3) محمد حميد فوزي، عالم الأديان، ص268.

3 ـ صلاة العصر ؛ كاه أزيرن.

4 ـ صلاة المغرب ؛ كاه عياد سرتير.

5 ـ صلاة الفجر ؛ كاه أشهن. وهناك صلوات خاصة أخرى[1].

وكان الفرس عندما يزدرون النّار يضعون على جباههم الرّماد، رمزاً للتّواضع والمساواة وكمصدر للقوة.

أما الصّلاة عند اليهود فلها أوقات خاصة، وسنناقشها عند اليهود كما رتّبها لهم الكهنة.

يقول الدكتور الأب وليم باركلي: (وضع اليهود الأتقياء مواعيد محددة للصّلاة، فكانت أوقات الصّلاة هي السّاعة الثّالثة والسّادسة والتّاسعة، حسب التّوقيت اليهودي؛ أي السّاعة التّاسعة صباحاً، والثّانية عشرة ظهراً، والثّالثة بعد الظّهر، حسب توقيتنا الحالي، وكان على اليهودي أنْ يتوقف أينما كان في هذه المواعيد ليصلي. وكانت نظرة اليهود إلى الصّلاة أسمى من نظرة سائر الشّعوب إليها، فقد اعتبرت اليهودية أنَّ الصّلاة من أرقى الدّرجات في سلم الواجبات الدِّينية.

وقال الرّبّيّون: إنَّ الصّلاة أعظم من كُلِّ الأعمال الصّالحة، ومن أمثالهم الجميلة عن الصّلاة العائلية: إنَّ مَنْ يُصلّي مع أسرته يحيط بيته بسياج أقوى من الحديد. وكان مُعلّمو اليهود يأسفون لأنّهم لا يستطيعون أنْ يُصلُّوا طيلة اليوم)[2].

وقد مرَّ بنا أهمية الصّلاة عند البابليين والفرس، ولم نر أنّهم نظروا إليها بأقلّ من نظرة اليهود إلى الصّلاة، بل إنّني أرى أنَّ الصّلاة عندهما أسمى من الصّلاة عند اليهود، لأنَّ التّوجُّه في صلاة بابل والفرس إلى إله خالق الكون، إله البشر جميعهم، أما الصّلاة في اليهودية فهي صلاة خاصة بإله إسرائيل.

فما أنواع الصّلاة عند اليهود؟

---

(1) محمد حميد فوزي، عالم الأديان، ص268.

(2) وليم باركلي، تفسير العهد الجديد، ص187.

ـ الأولى صلاة الشّمعا والشّماع، واسمها مُشتقٌّ من كلمات عبرية هي: اسمع، وهي الكلمة التي تُطلق وتبدأ بها الصّلاة الواردة في التّثنية، والعود واستهلالها؛ «اسمع يا إسرائيل، الرّبّ إلهنا ربٌّ واحد، فتحبُّ الرّبَّ إلهك من كُلِّ قلبك ومن كُلِّ نفسك ومن كُلِّ قوتك». تثنية 6/ 4 ـ 5/ .

وكان على اليهودي أنْ يُكرر هذه الأقوال مرة في الصّباح وأخرى في المساء، وقد ذكر مُعلِّمو اليهود أنَّه ينبغي للإنسان أنْ يُردِّدَ هذه الشّمعا حالما ينبثق الضّوء لتمييز اللون الأزرق من الأبيض، كما ينبغي أنْ يُردِّدها في المساء، فإذا جاء موعد ترديد هذه الصّلوات فيجب على اليهودي أنْ يقف حيثما يكون سواء في الشّارع أو في البيت، أو المعمل، لِيُرَدِّدَها[1].

والشّماع هو أهم قسم من الصّلاة، مأخوذ من سفر التّثنية، ونبّه ـ مع البركة التي قبله وبعده ـ عزرا مع جماعته، وكلمة شماع؛ أي اسمع، هي أول كلمة من آيات التّوحيد عند الإسرائيليين، وهي أيضاً أول آيات عقيدة الإسرائيليين.

والشّماع مجموع من ثلاثة أقسام؛ الأول: مأخوذ من التّثنية 6/ 4 ـ 9/ يبتدئ بآية التّوحيد التي ذكرناها، القسم الثّاني: مأخوذ من التّثنية 11/ 13 ـ 21/ يذكر وعد الله بمكافأتنا وإطالة حياتنا عند إتمامنا وصاياه، وبالعكس تأديبنا إذا ارتكبنا المعاصي، ولم نطع أوامره، والقسم الثّالث: مأخوذ من العدد 15/ 37 ـ 41/ يذكر وصية الأهداب، لِيُذكِّرهم بوجوب طاعة أوامر الله عندما يرونها، ولكي لا يميلون إلى شَرِّ قلوبهم وأميالهم، ويُذكِّرهم أيضاً بخروجهم من مصر قديماً[2].

أما آيات هذه الصّلاة فهي:

«اسمع يا إسرائيل، الرّبُّ إلهنا ربٌّ واحدٌ، فتحبُّ الرّبَّ إلهك من كُلِّ قلبك ومن كُلِّ نفسك ومن كُلِّ قوتك، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصَّها على أولادك، وتكلَّمْ بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشي في الطّريق، وحين تنام، وحين

---

(1) وليم باركلي، تفسير العهد الجديد، ص188.

(2) ظاظا حسن، الفكر الدِّيني اليهودي، ص145.

تقوم، واربطها علامةً على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك». التثنية 6/ 4 ـ 9/ .

«فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها اليوم لتحبُّوا الرّبَّ إلهكم، وتعبدوه من كُلّ قلوبكم ومن كُلِّ أنفسكم، أعطي مطر أرضكم في حينه المبكّرَ والمتأخّرَ، فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك، وأعطي لبهائمك عشباً في حقلك فتأكل أنت وتشبع، فاحترزوا من أنْ تنغوي قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى، وتسجدوا لها، فيحمى غضب الرّبِّ عليكم، ويغلق السّماءَ فلا يكون مطرٌ ولا تعطي الأرض غلّتها، فتبيدون سريعاً عن الأرض الجيدة التي يعطيكم الرّبُّ.

فضعوا كلماتي هذه على قلوبكم ونفوسكم، واربطوها علامة على أيديكم، ولتكن عصائب بين عيونكم، وعَلِّموها أولادكم مُتكلِّمين بها حين تجلسون في بيوتكم وحين تمشون في الطّريق وحين تنامون وحين تقومون، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك، لكي تكثر أيامك وأيام أولادك على الأرض التي أقسَمَ الرّبُّ لآبائك أنْ يعطيَهم إياها كأيام السّماء على الأرض». التثنية 11/ 13 ـ 21/ .

«وكَلّم الرّبُّ موسى قائلاً: كَلِّم بني إسرائيل وقل لهم أنْ يصنعوا لهم أهداباً في أذيال ثيابهم في أجيالهم، ويجعلوا على هدب الذّيل عصابةً من اسمانجواني، فتكون لكم هدباً فترونها وتذكرون كُلَّ وصايا الرّبِّ وتعملونها، ولا تطوفون وراء قلوبكم وأعينكم التي أنتم فاسقون وراءها، لكي تذكروا وتعملوا كُلَّ وصاياي، وتكونوا مُقدَّسين لإلهكم، أنا الرّبُّ إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر ليكون لكم إلهاً، أنا الرّبُّ إلهكم». العدد 15/ 37 ـ 41/ .

هذه صلاة الشّماعا التي يُصلُّونها في الفجر وفي المساء، ولنا عليها ما يلي:

1 ـ لا تدعو الله ربَّ العالمين، وإنَّما تدعو يَهْوَه إله إسرائيل.

2 ـ يذكرون فضل يَهْوَه عليهم، فهو إله خاص بهم.

3 ـ اعتراف بآلهة أخرى غير يَهْوَه.

4 ـ العقوبة أرضية إذا زاغوا عن هدي يَهْوَه.

5 ـ وصايا خاصة بزي خاص لليهود.

نخرج من هذه الصّلاة أنّها لا يمكن أنْ تكون في مستوى رقيها وروعتها صلاة البابليين، وللموازنة اسمعوا معي هذا الدّعاء البابلي:

يا راعيَ البلاد الذي حمى كافة الشّعوب مهما بَعُدَتْ، أيها الحاكمُ المطلقُ لكافة أماكن العبادة، يا مردوك أيها السّيد العظيم، يا مَن اسمكَ على لسان جميع البشر بالمديح والخير، اجعلْ رغباتي تتحقّق، اجعل الخير يسكن قلبي، هل يمكن موازنة هذا الدّعاء مع صلاة اليهود؟

أترك الجواب لكُلّ ذي بصر.

ويُفهَمُ من سفر دانيال أنَّ أوقات الصّلاة ثلاث مرات: (فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته وكواهُ مفتوحة في علِّيَّتِهِ نحو أورشليم، فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم، وصلّى وحَمَدَ قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك). دانيال 6/ 10.

ويؤكد المزمور / 55/ الصّلاة ثلاث مرات يومياً من قصيدة لداود:

«أَصْغِ يا الله إلى صلاتي، ولا تتغاضَ عن تضرُّعي، استمعْ لي واستجبْ لي، أتحيَّرُ في كربتي وأضطرب، من صوت العدو من قِبَلِ ظلم الشّرير...

أما أنا فإلى الله أصرخ والربّ يُخلِّصني، مساءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمعُ صوتي». مزمور 55/ 1 ـ 2 و 16 ـ 17/.

فأوقات الصّلاة إذن الصّبح حين يبدأ تمييز اللون الأزرق من اللون الأبيض، ووقت الصّلاة الثّانية عند الظّهر، والثّالثة عند المساء، وقد رأينا أنَّ صلاة الشّماعا صباحاً ومساءً، ومواقيت الصّلوات اليهودية كما قلنا حُدِّدَتْ على النّحو التّالي:

1 ـ صلاة الفجر؛ ويُسمّونها صلاة السَّحَر شحاريت، ووقتها ـ حسب ما قدرته المشنا ـ منذ أنْ يتبيَّن الخيط الأبيض من الخيط الأزرق إلى ارتفاع عمود النّهار.

2 ـ صلاة نصف النّهار؛ أو القيلولة (منجمه)، وتجب منذ انحراف الشّمس عن نقطة الزّوال إلى ما قبل الغروب.

3 ـ صلاة المساء؛ ويُسمّونها صلاة الغروب عروبيت؛ ووقتها من غروب الشّمس وراء الأفق إلى أنْ تتمّ ظلمة الليل الكاملة[1].

ب ـ كُتُبُ الصّلاة:

وردت كلمة الصّلاة في التّوراة كثيراً، ولكنّ القارئ لا يستطيع أنْ يفهم كيفية صلاة اليهود، ولهذا؛ وضعت اليهودية كُتُباً عن الصّلاة في التّلمود، وأول كتاب يشمل مجموع صلوات السّنة السّدور هو سيدور ربّ عمرام على اسم جامعه عمرام الجاءون في بابل 846 و 864م، وهو يختلف قليلاً عن كُتُب الصّلاة الحالية، وبقي ما ينوف عن ألف سنة دون طبع إلى أنْ اشترى كورونل نسخة من حبرون، وطبعها في دارس سنة 1960.

قام بعده سعديا الجاءون رئيس مدرسة سورا في بابل، ووضع سيدوراً 928 ـ 942، وجد مخطوطاً في الفيوم محلّ ميلاده، ويحتوي على صلاتين من وضعه، عَرَّبَ إحداهما بنفسه وعَرَّبَ الأخرى صيمح بن يوسف.

وجمع ربي الحانان سيدر تقون نصه في الجيل السّادس عشر؛ القرن السّادس عشر.

ووضع موسى بن ميمون كتاب سيدر تفلوت كل هشانه في آخر كتاب له شهير معروف باليـاد، وهو يطابق طقس السّفاراديم تماماً، وقد طُبع مع ترجمته للألمانية في بطرسبورج 1851، وأهم كتاب للصّلاة للإشكنازيم هو محزور فترى وضعه حاخامو فرنسا سنة 1208، وهو أكبر من سدور عمرام بعشر مرات، وهو أول كتاب للصّلاة.

أما كتاب صلاة القرّائين فتختلف كثيراً عن سدور الإسرائيليين؛ طُبع أول مرة في فينيسيا في الجيل السّادس عشر في أربعة أجزاء[2].

وشرح الدّكتور هلال فارحي أنّ أساس التّدَيُّن اليهودي نفسه هو الصّلاة الموسوية، والصّلاة الموصوفة في كتب الشّريعة اليهودية لا تمتّ إلى ما كانت طقوس الصّلاة الموسوية بصلة.

---

(1) ظاظا حسن، الفكر الدِّيني اليهودي، ص151.

(2) ظاظا حسن، الفكر الدِّيني اليهودي، ص150.

جـ ـ هل للصّلاة اليهودية وضوء؟

الجواب عن هذا السّؤال بالإيجاب، فقد وُجد في وصف هيكل سليمان مرحضة للوضوء، «وعمل عشر مراحض من نحاس، تَسَعُ كُلُّ مرحضةٍ أربعين بثاً، المرحضة الواحدة أربع أذرع، مرحضة واحدة على القاعدة الواحدة للعشر القواعد، وجعل القواعد خمساً على جانب البيت الأيمن، وخمساً على جانب البيت الأيسر، وجعل البحر على جانب البيت الأيمن للشّرق من جهة الجنوب»[1].

وتبدأ الصّلاة بشيء يقابل الوضوء، وهو غسل اليدين فقط.

د ـ كيف تُؤدَّى الصّلاة:

لقد رأينا أنَّ الصّلوات تختلف حسب السّدر المكتوب وحسب المذهب والطّائفة، فالخلاف موجود بين فرقة وفرقة.

الصّلاة فريضة واجبة على النّساء والرّجال، وكانوا يُصلُّون جلوساً ووقوفاً، يركعون ويسجدون. وكانوا يحرصون بوجوب وضع الأيادي على الصّدر مع حني الرّأس قليلاً، كوقوف الخادم أمام سيده لزيادة الاحترام.

وقد حَدَّدَ الكتاب المقدس وجهة الصّلاة إلى الهيكل: «فكُلُّ صلوةٍ وكُلُّ تضرُّعٍ تكون من أي إنسان كان من كُلِّ شعبك إسرائيل الذين يعرفون، كُلُّ واحد ضربه قلبه، فيبسط يديه نحو هذا البيت، فاسمع أنت من السّماء مكان سكناك، واغفر، واعمل، وأعطِ كُلَّ إنسان حسب كُلِّ طرقه». ملوك أول 8/ 38 ـ 39.

«إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه في الطّريق الذي ترسلهم فيه، وصلّوا إلى الرَّبِّ نحو المدينة التي اخترتها، والبيت الذي بنيتُهُ لاسمك». ملوك أول 8/ 44.

«وصلوا إليك نحو أرضهم التي أعطيتَ لآبائهم نحو المدينة التي اخترتَ، والبيت الذي بنيتُ لاسمك». ملوك أول 8/ 48.

---

(1) ملوك أول 7/ 38 ـ 39.

وهكذا كانت قبلة اليهود القدس، ولكننا إذا أردنا أنْ نبحث عن قبلة بني إسرائيل فكيف كانت؟ وإلى أية جهة؟

هذا السّؤال يبقى دون إجابة، إلا إذا اعتمدنا الدِّين الإسلامي، وقد مرَّ بنا أنَّ إبراهيم الخليل ـ عليه السّلام ـ قد بنى الكعبة الغرَّاء لتكون مثابة للنّاس وأمناً.

وهكذا كانت قبلة بني إسرائيل هي قبلة المسلمين العرب؛ الكعبة الغرَّاء، أما اليهود الذين غيَّروا صلوات موسى وديانة موسى فقد غيَّروا قبلة موسى أيضاً، ولهذا؛ كان نداء الله للنّاس فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[1].

وقال لإبراهيم: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[2].

تغيير قبلة موسى يجعلنا نتساءل هل هذه الصّلاة كانت على زمن موسى؟

أقول إنَّ الصّلاة هذه لم تكن بالشّكل الذي نزل على موسى، وإنَّما غُيِّرت تغييراً كُلِّياً، فقد ورد في القرآن ما يفيد أنَّ صلاة موسى كصلاتنا تماماً، وإلى هذا الاختلاف أشار الدّكتور ظاظا: أما زمن وضع الصّلاة المستعملة في وقتنا الحاضر فيختلف حسب أقسامها، ويُنسب إلى عزرا ومائة وعشرين رجلاً من الشّيوخ والعلماء والأنبياء، ومن ضمنهم دانيال وحجي وزكريا وملاخي، فإنَّ عزرا بعد خرائب الهيكل وإبطال الذّبائح والتّقدمات رأى وجوب وضع صلوات يومية للشّعب لتقوم مقامه هذا، ولتعزيهم في ضيقهم ويأسهم، فجمع هؤلاء الرّجال المعروفون برجال الكنيسة الكبرى، ووضعوا القسم الأساسي من صلاة الشّمعا، وهو المتبع عند كافة الإسرائيليين، ولم يتغير أساسياً إلى الآن إلا في تغيير بعض الألفاظ؛ يقرأ الصّلاة الحزان (المنوب من قبل الشّعب بصوت مرتفع والعاميدة بصوت منخفض)، ويكررون العاميدة بشكل عال لكي يسمع الذين لا يعرفون القراءة[3].

---

(1) سورة آل عمران / 97/ .

(2) سورة الحج / 27/ .

(3) ظاظا د. حسن، الفكر الدِّيني اليهودي، ص145.

والصّلاة اليهودية تبدأ بغسل اليدين، وهو يقابل الوضوء عند المسلمين، ثم يوضع الشّال، وهو نسيج أبيض مستطيل أو مربع، وفي كل زاوية من زواياه حلية مؤلفة من ثمانية أهداب من الخيط، أربعة بيضاء وأربعة زرقاء اسمها بالعبرية صعيت، رمزاً للتّعرُّف على طلوع الفجر بتمييز الخيط الأبيض من الخيط الأزرق.

والشّال نوعان؛ صغير يوضع على الكتفين في الصّلاة الفردية، أو كبير في الصّلاة الجماعية في المعبد، ولهذا الشّال في طهارته أحكام خاصة أهمها أنّه لا تلمسه النّساء، ويُخصَّص له موضع معلوم في المنزل، ويجب على اليهودي لبسه منذ أنْ يبلغ سنَّ التّكليف بالعبادة، وهي سنُّ الثّالثة عشرة، ويبقى إلى أنْ يموت فيُكَفَّن به عادة.

والصّلاة اليهودية يجب فيها تغطية الرّأس، وهي عموماً للتّعبير عن الاحترام إذا قرؤوا النّصوص المقدسة، أو ذكروا اسم الله، أو قاتلوا عظيماً من العظماء.

كذلك يلبسون التّفلين، وهي عبارة عن علبة صغيرة من الجلد، محفوظ بداخلها رقعة من الغزال أو الجلد، مكتوب علها قراءة الشّماع، ويجب وضعها عند الصّلاة في وسط الجهة، بحيث يُرَبَطُ شريط الجلد حول الرّأس، وتوضع واحدة أخرى على الكفِّ اليسرى، بحيث يُربط شريطها حول اليد، وتكون العلبة مثبتة عند أصل الإبهام، وإذا كان المصلّي أعسر وجب عليه أنْ يربطها على الكفِّ اليمنى[(1)].

1 ـ الشّمونة عشرة، تُنسب أيضاً إلى عزرا، واسمها مأخوذ من كلمة ثمانية عشرة، فهي ثمانية عشر دعاء، وكانت وما تزال جزءاً هاماً من العبادة في المجتمع، وقد صارت هذه الصّلوات تسع عشرة، ولكنها ظلّت محتفظة باسمها القديم.

2 ـ هنالك صلوات متعددة للمناسبات المختلفة، فلم يكن هناك ظرف ما لا توجد له صلاة مكتوبة، كانت هناك صلوات قبل كل وجبة طعام، وصلوات الإشراق والنّور وللنّار والبرق ولرؤية الهلال الجديد وللبحر والأنهار، وعند تلقي الأخبار السّارة.

وسنورد بعض الصّلوات التي حصلنا عليها:

---

(1) ظاظا د. حسن، الفكر الدّيني اليهودي، ص145.

أ ـ **صلاة الهلال**؛ ويدعو المصلون: إلـهنا وإله آبائنا، حَدِّدْ لنا هذا الشّهر بخير وبركة وفرح وسرور وخلاص وتعزية، وقوت وإعالة، وغفران الخطيئة، وعفو عن الإثم، وليكن نهاية هذا الشّهر واحداً لكل ضيقاتنا، وابتداءً وأول فداء أنفسنا، لأنك اخترتَ شعبك إسرائيل من بين جميع الأمم، وفرضتَ عليهم فرائض دروس شهور، ولا يكتفي الإسرائيليون بتقديس الهلال، بل القمر أيضاً، ففي إحدى ليالي الأسبوع الثّاني من كل شهر تُتلى الصّلاة الآتية:

هللوا، يا مبارك، أنتَ يا ربُّ إلهنا ملك العالم الذي خلق السّموات بكلمته، وكل جنوده بنسمة من فيه، قد وضع لها نظاماً وإماماً فلا تتعدى فريضتها، تسر وتفرح لتعمل مشيئة مالكها صانعها حق، فإنَّ عمله كما حق أمر القمر أنْ يتجدَّدَ تاج بهاء المحمولين في البطن، لأنَّهم أيضاً سيجدون في المستقبل مثله.

ليمجِّدوا خالقهم لأجل اسم مجد ملكوته مبارك، وأنت يا ربُّ مُجدِّد الشّهور، لتكن طالعاً سعيداً لنا ولكُلِّ إسرائيل، لتكن طالعاً سعيداً لنا ولكُلِّ إسرائيل، لتكن طالعاً سعيداً لنا ولكُلِّ إسرائيل[1].

ب ـ صلاة عيد الفصح؛ يقرؤون في صلاتهم عند المساء المزمور المئة والسّابع وبدايته: (احمدوا الرّبَّ لأنَّه صالحٌ، لأنَّ إلى الأبد رحمته... مَنْ كان حكيماً يحفظ هذا، ويتعقل مراحم الرّبّ)، والمزمور متألف من اثنتين وأربعين آية.

ج ـ ـ صلوات مشتركة؛ وهي صلاة طقسية، أُسِّست هذه الصّلاة بعد تأسيس أمكنة العبادات كخيمة الاجتماع، وهذه الصّلوات تُؤدَّى باشتراك جملة أشخاص علناً، وعموماً في أمكنة مخصصة، ومواعيد معلومة حسب طقوس مُقرَّرة من رؤساء الدِّين والكهنة، وأول صلاة طقسية كانت عند تقديم باكورة الأثمار، وبعد أداء الأعشار، وعند تقدمة الذّبائح، وكفارة الخطايا، وبركة هارون وأولاده المثلثة كانت من نوع الصّلاة الطّقسية.

د ـ الصّلاة الفردية؛ صلوات ارتجالية من أفراد تُتلى حسب الظّروف والاحتياجات الشّخصية ولا علاقة لها بالطّقوس والمواعيد والمواسيم[1].

---

(1) حسنين علي فؤاد، اليهودية واليهودية المسيحية، ص63.

وهذا النّوع من الصّلاة يُتلى في أيٍّ محلٍّ كان.

ويرى الدّكتور ظاظا أنَّ هذه الصّلوات وُضعت بعدما خرب الهيكل، وسُبي بنو إسرائيل من بلادهم إلى بابل، وبَطُلَتْ التّقدمات والقرابين، وضعت بدلاً منها إلى يومنا هذا، هذه العبادات بالصّلوات تفوق كثيراً العبادات القديمة بالذّبائح والتّقدمات، جاء في مشنى البركات32، إنَّ الصّلاة أفضل من القرابين، فإنَّ العبادات بالتّقدمات هي عبارة عن تقدمة شيء من مال الإنسان، أي مادة حسية أرضية على مذبح مادي بخلاف العبادات الرّوحية بالصّلوات، فإنَّها إظهار عواطف وإحساسات وتقدمة شكر روحية صادرة من نفس الإنسان على مذبح قلبه وعقله وشهواته الجسدية[2].

والسّؤال الذي أطرحه هل يقبل يَهْوَه هذه الصّلوات؟

يقول اليهود إنَّ يَهْوَه يستجيب كُلَّ صلاة يهودي يدعوه فإنَّه استجاب صلاة موسى ورفع الوباء عن مصر، وشفى مريم، وقبل صلاة إيليا واليشع، وشفى الأولاد، وقَبِلَ توبة أهل نينوى، وعفا عنهم.

ويُقرِّر الدّكتور ظاظا أنَّ الصّلاة للإله موجودة منذ أول وجود للجنس البشري، وذلك عندما أدرك بنو البشر وجود قوة إلهية فائقة وضعف جنسهم وأنَّ حياتهم ووجودهم متوقفان عليه تعالى.

والصّلاة فريضة واجبة على النّساء والرّجال، وكان اليهود يُصلُّون جلوساً ووقوفاً، ويسجدون.

والصّلاة لها مكانة هامة في الأديان كلها، وكانت في اليهودية موضع اهتمام الأنبياء المُجَدِّدين في الدِّين، ومنهم مَنْ رأى تطويرها، ويرى الدّكتور حسنين علي: (الصّلاة عند القرّائين عبارة عن طهارة جسدية وغسل ووضوء، وإقامتها تتطلّب الوقوف والرّكوع والسّجود، شأنهم في ذلك شأن المسلمين تماماً. بينما اليهود الرّبّانيون يقعون تحت تأثير الأوربيين والكنيسة الغربية، فهم لا يجلسون أرضاً، ولا يركعون، ولا يسجدون، بل يُقَلِّدون

---

(1) ظاظا حسن، الفكر الدِّيني اليهودي، ص143.

(2) ظاظا حسن، الفكر الدِّيني اليهودي، ص142.

المسيحيين المعاصرين في الشّرق أو الغرب، يجلسون على مقاعد، ويركعون، ويسجدون بطريقة تكاد تكون رمزية)[1].

ويتابع الدكتور حسنين علي كلامه فيقول: وقد أوليتُ في كتابي هذا الحديث عن الصّلاة عناية خاصة مقابلاً بينها وبين الصّلاة في العقائد الأخرى، لأنَّها جميعاً ترجع إلى أصل واحد أصله الشّرق العربي.

وقد تعرَّض أنبياء بني إسرائيل للصّلاة، ووجَّهُوا لها نقداً فورياً، سواء إلى الصّلاة التي كانت سائدة قبل عصورهم أو التي يباشرونها أنفسهم، وهذا النّقد نقل الصّلاة إلى عصر جديد يُعرف في اللاهوت الإسرائيلي باسم فترة الصّلوات، و قد امتازت بالتّركيز على أنَّ الله لا يحدُّه زمان ولا مكان وهو ربّ العالمين، كما تتميَّزُ فترة إقامة الصّلاة باعتراف المصلِّي بذنوبه وخطاياه، كما فرض هذا التّطوُّر أيضاً تلاوة بعض آيات من العهد القديم مع العناية بترتيلها وتجويد النّطق بها، مع تحديد مواعيد لإقامة الصّلاة وجعلها في الصّباح والظّهر والمساء. ارجع إلى دانيال 6/ 10 ـ 15/ وعزرا 10/ 1 ونحميا 8/ 16 وإرْمِيَا 7/ 16 و21/ 14 و 37/ 3.

والصّلاة في العهد القديم مُوجَّهة دائماً إلى المعبود يَهْوَه، ويعتقد المصلِّي أنَّ الصّلاة وسيلة مُلزِمَة ليَهْوَه لتأدية عمل من الأعمال، وهذه الظّاهرة تم تثبيتها في العهد القديم من الطّريقة التي يعبر فيها المصلي عن احترامه لله.

ويقول الدكتور حسنين علي: ولم يقف التّطوُّر في الصّلاة عند هذا الحدّ، بل نجده يمتدُّ إلى الطّقوس الملازمة لها أيضاً، فالطّقوس القديمة اختفت تدريجياً، وحلَّت محلَّها الطّقوس الجديدة، وهي عبارة عن تلاوة بعض آيات العهد القديم، مع العناية بترتيلها وتجويد النّطق بها مع تحديد مواعيد لإقامة الصّلاة، إلا أنَّ هذا التّشريع الذي استنَّه كبار الأنبياء خاصاً بالصّلاة انحرف في العصور المتأخرة، وأُقحمت عليه تعديلات أخرى[2].

من هذه التّطوُّرات والتّعديلات التي تمَّتْ بعد أنْ شُيِّدَ المعبد في أورشليم، اعتبر المكان الوحيد المقدس أخذ النّاس يتجهون إليه عند الصّلاة، ملوك أول 8/ 38 ودانيال 6/ 11

---

(1) حسنين علي فؤاد، اليهودية واليهودية المسيحية، ص 74.

(2) حسنين علي فؤاد، اليهودية واليهودية المسيحية، ص76.

وطوبيت 3/ 11 وأخبار الأيام الثّاني 6/ 34، ومن هذه التّعديلات استعاضوا عن لمس جسد يَهْوَه بتقبيل اليدين مع الاتجاه إلى السّماء.

وكان المصلّي يصلي عادة في مكان يعتقد وجود يَهْوَه فيه مجسداً جسداً وروحاً اعتقاداً من المصلّي في أنّ جسده يبارك بلمس جسد المعبود، تكوين 12/ 7 و 28/ 16 والملوك الثّاني 5/ 17 والمزمور 5/ 8، وهذه الظّاهرة واضحة عندما نتأمل أماكن العبادة الصّلاة، فنحن نعلم أنّ داود لما هرب من وجه أبشالوم سجد لله على قمة جبل، ولما وصل داود إلى القمة ـ حيث سجد لله ـ إذا بحوشاي الأركي قد لقيه، صموئيل الثّاني 15/ 32، ولم يسجد على قارعة الطّريق، وارجع إلى يهوديت 9/ 1، «وبينما هم ذاهبون دخلت يهوديت معبدها، ولبست مِسْحاً، وألقت رماداً على رأسها، وخَرَّتْ أمام الرّبّ، وصرخت إلى الرّبّ قائلة: أيها الرّبّ إله أبي شمعون الذي أعطاه سيفاً لينتقم من الغرباء الذين بنجاستهم فضحوا وكشفوا عذراء للخزي... أتوسل إليك أيها الرّبّ إلهي أنْ تُعينني أنا الأرملة»...

وتمرُّ الصّلاة في الأسفار كله تقريباً، وقلّما يخلو سفر منها، ولنتذكر عيد الغفران والصّلاة الخاصة له.

تفتح صلاة العشاء ليلة الاحتفال بعيد الغفران يوم كفور بالصّلاة المعروفة باسم كل نذري، وهي تتصل بالاستغفار من جميع الوعود التي قطعها الإسرائيلي على نفسه طوال العام المنصرم والعام القادم ولم يفِ بها، ويرجو المستغفر العفو والمغفرة.

2 ـ الصّوم:

طقسٌ آخر من طقوس الدِّين اليهودي والذي نعرفه من القرآن الكريم الكتاب الذي جاء مُصحِّحاً للتّوراة ما حُرِّفَ منها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ

﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ سورة البقرة.

ولكنَّ الذي بين أيدينا ليس الصّوم الذي فرضه القرآن: (كان الصّوم الإجباري الوحيد عند اليهود في زمن السّيد المسيح هو صوم يوم الكفارة، ففي ذلك اليوم كان على اليهود أنْ يصوموا من الصّباح إلى المساء، لِيُذَلِّلُوا أنفسهم، وقد نصَّ قانون للكتاب اليهودي أنَّه في يوم الكفارة محظور الأكل أو الشّرب أو الاستحمام أو دهن الرّأس. وكان اليهود يُدربون أطفالهم على أنْ يصوموا في ذلك اليوم تدريجياً، لكي يحفظوا هذه الفريضة عندما يكبرون. ومع أنَّه لم يكن على اليهود صوم إجباري سوى هذا اليوم إلا أنّهم كانوا يصومون في مناسبات شخصية متنوعة، فقد كان الحزانى منهم يمتنعون عن أكل اللحم وشرب الخمر عند حدوث وفاة من وقت الموت إلى وقت الدّفن وكان بعضهم يصومون للتّكفير عن ذنب)[1].

وقد حَدَّد العهد القديم يوم الغفران «ويكون لكم فريضةً دهريَّةً أنكم في الشّهر السّابع في عاشر الشّهر تُذلِّلُون نفوسكم، وكلّ عملٍ لا تعملون الوطنيُّ والغريبُ النّازلُ في وسطكم، لأنَّه في هذا اليوم يكفّر عنكم لتطهيركم من جميع خطاياكم، أمام الرّبّ تطهرون، سبت عطلةٍ هو لكم، وتُذلِّلُون نفوسكم فريضةً دهريّةً». لاويين **16/ 29 ـ 31**.

والغريب أنَّ سفر القضاة على الرّغم من الأحداث التي مرَّت فيه، والمضايقات لبني إسرائيل فلم يُذكر أنَّهم أعلنوا الصّوم، مما يدلُّ على أنَّهم قد نسوه نهائياً، ولا ذكر للصّوم في صموئيل الأول، وصموئيل الثّاني، إلا صيام داود حين مرض ابنه تبشبع «وضرب الرّبُّ الولدَ الذي ولدته امرأة أوريَّا لداود فثَقِلَ، فسأل داودُ اللهَ من أجل الصّبي، وصام داود صوماً، ودخل وبات مضطجعاً على الأرض، فقام شيوخ بيته عليه ليقيموه عن الأرض فلم يشأ ولم يأكل معهم خبزاً، وكان في اليوم السّابع أنَّ الولد مات، فخاف عبيد داود أنْ يخبروه بأنَّ الولد قد مات، لأنَّهم قالوا هوذا لما كان الولد حياً كلَّمناه فلم يسمع لصوتنا، فكيف نقول له قد مات الولد يعمل أشرَّ؟

---

(1) باركلي وليم، تفسير العهد الجديد، ص228.

ورأى داود عبيده يتناجون، ففطن داود أنَّ الولد قد مات، فقال داود لعبيده: **هل مات الولد؟** فقالوا: مات، فقام داود عن الأرض واغتسل وادَّهن، وبدَّل ثيابه، ودخل بيت الرّب، وسجد، ثم جاء إلى بيته وطلب، فوضعوا له خبزاً فأكل، فقال له عبيده: ما هذا الأمر الذي فعلتَ؟ لَمَّا كان الولد حياً صمتَ وبكيتَ ولَمَّا ماتَ الولدُ قمتَ وأكلت خبزاً، فقال: لمّا كان الولد حياً صمتُ وبكيتُ لأني قلتُ مَنْ يعلم؟ ربما يرحمني الرّبُّ، ويحيا الولد، والآن قد مات، فلماذا أصومُ؟ هل أقدر أنْ أردَّه بَعْدُ، أنا ذاهب إليه، وأما هو فلا يرجع إليَّ». صموئيل ثان 12/ 15 ـ 32/ .

ويمكن أنْ يكون الصّوم للدّلالة على توبة حقيقية.

ويمكن أنْ يكون الصّوم نيابة عن الأمة، فقد كان بعضهم يصوم بالنّيابة عن الأمة.

أما أيام اليهود المخصَّصة للصّوم فهي أيام الإثنين والخميس، وقد كانت هذه الأيام هي أيام السّوق.

وكان صيامهم عبارة عن نفاق ورياء ومظهر لكبرياء روحية بغيضة، ومباهاة تنافي روح الدِّين الحقيقي[1].

وقد عاب اليهود على عيسى ـ عليه السّلام ـ أنَّ أصحابه لا يصومون، «حينئذ أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين: لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً، وأما تلاميذك فلا يصومون؟ فقال لهم يسوع: هل يستطيع بنو العرس أنْ ينوحوا ما دام العريس معهم؟ ولكنْ؛ ستأتي أيام حين يُرفع العريس عنهم، فحينئذٍ يصومون». متى 9/ 14 ـ 15/ .

وقد صام موسى وعيسى أربعين يوماً بلياليها كما تقول التّوراة وإنجيل برنابا.

فالصّوم ركن هام من أركان الدّيانة اليهودية ولكنَّ اليهودية غيَّرت فيه، وبدَّلتْ، ولقد ورد حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه: ﴿إنَّ أفضل الصّيام صيام أخي داود، فقد كان يصوم يوماً ويفطر يوماً﴾.

---

(1) باركلي وليم، تفسير العهد الجديد، ص228.

3 ـ الحج:

لا يرد في الكتاب المقدس شيء ذو بال عن الحج، فلم نعهد بموسى وبني إسرائيل أنْ حجّوا في يوم من الأيام إلى مكان معين، وإنْ كان الحديث الشّريف يُكذّب هذه الواقعة، فقد مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد فقال: ما هذا الوادي؟ وسمّوه له، فقال: كأني بموسى يركب جملاً أورق يخبُّ فيه إلى الحج.

ويُقرِّرُ السّيد قطب في ظلاله وفي تفسير آيات الحج: هذا الحج مكتوب على هؤلاء اليهود الذين يجادلون في توجُّه المسلمين إليه في الصّلاة، على حين أنّهم هم أنفسهم مُطالبون من الله بالحج إلى هذا البيت، والتّوجُّه إليه، بوصفه أول بيت وُضع للنّاس للعبادة، فَهُمْ اليهود المنحرفون المُقصِّرون العاصون[1].

ولم يرد الحج عند اليهود إلا بعد بناء سليمان للهيكل، فقد فُرضت زيارة الهيكل سنوياً، وصار ما يُعرف بالحج؛ « وكان لما انتهى سليمان من الصّلوة إلى الرّبّ بكُلِّ هذه الصّلوة والتّضرُّع أنَّه نهض من أمام مذبح الرّبّ من الجُثُوّ على ركبتيه ويداه مبسوطتان نحو السّماء، ووقف وبارك كُلَّ جماعة إسرائيل بصوتٍ عالٍ قائلاً: مباركٌ الرّبّ الذي أعطى راحةً لشعبه إسرائيل حسب كُلّ ما تكلَّم به، ولم تسقط كلمة واحدة من كلامه الصّالح الذي تكلّم به عن يد موسى عبده، لِيَكُنْ الرّبُّ إلهنا معنا، كما كان مع آبائنا، فلا يتركنا، ولا يرفضنا، ليميل بقلوبنا إليه، لكي نسير في جميع طُرُقه، ونحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه التي أوصى بها آباءنا، وليَكُنْ كلامي هذا الذي تضرّعتُ به أمام الرّبّ قريباً من الرّبّ إلهنا نهاراً وليلاً، ليقضي قضاء عبده وقضاء شعبه إسرائيل أمر كُلّ يومٍ في يومه، ليعلم كُلّ شعوب الأرض أنَّ الربّ هو الله وليس آخر، فليَكُنْ قلبكم كاملاً لدى الرّبّ إلهنا إذ تسيرون في فرائضه وتحفظون وصاياه كهذا اليوم، ثم إنَّ الملك وجميع إسرائيل معه ذبحوا ذبائح أمام الرّب، وذبحَ سليمانُ ذبائح السّلامة التي ذبحها للرّبّ من البقر اثنين وعشرين ألفاً ومن الغنم مئة ألف وعشرين ألفاً، فَدَشَّنَ الملك وجميع إسرائيل بيت الرّب، في ذلك اليوم قدَّس الملك وسط الدّار التي أمام بيت الرّبّ، لأنَّه قرَّب هناك المحرقات والمقدمات وشحم ذبائح السلامة، لأنَّ مذبح النحاس الذي

---

(1) قطب السّيد، في ظلال القرآن، ج1، ص435.

أمام الرّبّ كان صغيراً عن أنْ يَسَعَ المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح السلامة، وعَيَّدَ سليمان العيد في ذلك الوقت وجميع إسرائيل معه جمهور كبير من مدخل حماة إلى وادي مصر أمام الرّبّ إلهنا سبعة أيام وسبعة أيام أربعة عشر يوماً، وفي اليوم الثّامن صرف الشّعب، فباركوا الملك، وذهبوا إلى خيمهم فرحين». الملوك الأول 8/ 54 ـ 66/ .

حتى أنَّ يربعام حينما انشقَّ عن دولة رحبعام غيَّرَ الحج لبني إسرائيل حتى لا ينضمّوا إلى دولة رحبعام؛ «وقال يربعام في قلبه الآن ترجع المملكة إلى بيت داود، إنْ صعد الشّعب ليُقرّبوا ذبائح في بيت الرّبّ في أورشليم يرجع قلب هذا الشّعب إلى سيدهم إلى رحبعام ملك يهوذا ويقتلوني ويرجعون إلى رحبعام ملك يهوذا، فاستشار الملك وعمل عجلَيْ ذهبٍ، وقال لهم: كثيرٌ عليكم أنْ تصعدوا إلى أورشليم، هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أَصْعَدُوكَ من أرض مصر، ووضع واحداً في بيت إيل، وجعل الآخر في دان». ملوك أول 12/ 26 ـ 29/ . وبهذا؛ صار لليهود ـ حسب رأي توراتهم ـ مكاناً للحج (القدس وبيت إيل).

لكنَّ عزرا أعاد الحجَّ إلى القدس من جديد.

بينما الآية القرآنية تؤكد: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1].

ولهذا، قُرِّرَ الحج على اليهود، ولكنْ؛ إلى القدس، وليس إلى مكة، بينما الآيات والأحاديث تفرض الحج إلى مكة المكرمة.

4 ـ الزّكاة:

الزّكاة في الكتاب المقدس أوضح من الحج فيها، فقد وردت الزّكاة في كثير من أسفار التّوراة، وإنْ كانت الزّكاة لم تُلفَظْ باسمها في بعض الأسفار، لكنْ؛ جاء من العبارات ما دلَّ عليها. «وعندما تحصدون حصيد أرضكم لا تُكمِّل زوايا حقلك في الحصاد، ولقاط حصيدك لا تلتقط، وكرمك لا تُعلِّله، ونثار كرمك لا تلتقط، للمسكين والغريب تتركه، أنا الرّبّ إلهكم». لاويين 19/ 9 ـ 10/ .

---

(1) سورة الحج / 27/ .

ومرَّ أيضاً في مكان آخر من السِّفر نفسه: «وكُلُّ عُشر الأرض من حبوب الأرض وأثمار الشّجر فهو للرّبّ، قُدْسٌ للرّبّ، وإنْ فكَّ إنسانٌ بعض عُشرهِ يزيد خمسة عليه، وأما كُلُّ عُشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قُدْساً للرّبّ، لا يُفحَص أجيدٌ هو أم رديء ولا يُبدله، وإنْ أبدلَهُ يكون هو وبديله قُدْساً لا يُفَكُّ». لاويين 27/ 30 ـ 33/، كما ورد مثل هذا في عدد 31/ 25.

وهكذا فُرض العشر على النّتاج الزّراعي والحيواني، ولم يرد عن الزّكاة غير هذين النّصين.

2 ـ معاملات الزواج، الطلاق:

أ ـ الزّواج:

لا شك أنَّ الدّيانات قديماً اهتمَّت بالأسرة اهتماماً بالغاً، وهي تختلف في هذا عن نظرة القوانين الحديثة التي جعلت الأسرة تتفكّكُ وتنحلُّ.

وقد ربطت الأسرةُ برباط محكم الزّواجَ، ووضعت له القيود حتى لا تحلّ الأسرة، يقول وليم باركلي: إنَّ المتأمل في المثل اليهودي للزّواج يراها ـ نظرياً ـ من أسمى المثل والمبادئ، فقد كان الزّواج يعتبر واجباً مقدساً ينبغي على الإنسان أنْ يقوم به إتماماً لوصية الله، «أثمِروا، وأكثِروا، واملأُوا الأرض».

لذلك فإنَّ الامتناع عن الزّواج أو تأخيره لم يكن مقبولاً إلا لعذر واحد، وهو التّفرُّغ لدراسة الشّريعة الإلهية.

وإذا قصَّرَ إنسان في الزّواج يُعتبر أنَّه أنقص من صورة يَـهْوَه في العالم وعارض مشيئة الله ووصاياه[1].

ولو عدنا إلى الكتاب المقدس لرأينا أنَّه جعل الزّوجة أعلى مقاماً من الأم، بينما في الإسلام كَرَّمَ الأم كثيراً، ولم ينقص الزّوجة حَقَّهَا.

---

(1) وليم باركلي، تفسير العهد الجديد، ص148.

« فأوقع الرّبُّ الإلهُ سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً، وبنى الرّبُّ الإلهُ الضّلعَ التي أخذها من آدم امرأةً، وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظمٌ من عظامي ولحمٌ من لحمي، هذه تُدعى امرأة لأنَّها من امرئٍ أُخِذَتْ، لذلك يترك الرّجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً »[1].

وهكذا كانت المرأة جزءاً من الرّجل حسب هذا النّص، وكُرِّمَت لأنَّها جزء من الرّجل، لكنَّ العهد القديم لم يحافظ على قدسية المرأة هذه، وإنَّما جعلها سبباً من أسباب الخطيئة ووكراً للشّيطان.

« وكانت الحيَّة أَحْيَلَ جميع حيوانات البريَّة التي عملها الرّبّ الإله، فقالت للمرأة: أحقّاً قال الله: لا تأكلا من كُلِّ شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشّجرة التي في وسط الجنة، فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسَّاه لئلا تموتا، فقالت الحيَّة للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنَّه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَين الخير والشّر، فرأت المرأة أنَّ الشّجرة جيدة للأكل وأنَّها بهجة للعيون وأنَّ الشّجرة شهيَّة للنّظر، فأخذت من ثمرها، وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل، فانفتحت أعينهما، وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تينٍ وصنعا لأنفسهما مآزر ». تكوين 3/ 7 - 7/ .

وهكذا كانت المرأة في التّوراة أسباب الخطيئة، ولهذا؛ لعنها الرّب.

« وقال للمرأة: تكثيراً أُكَثِّرُ أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك ». تكوين 3/ 16/ .

وهكذا أُذِلَّت المرأة، فصارت تابعاً للرّجل، وأصلاً للخطيئة في العالم، وقد تبعت النّصرانية هذا الرّأي، وكانت المرأة من حبائل الشّيطان.

ولهذا كانت المرأة تُعتبر في نظر اليهودي شيئاً بلا إرادة أو شخصية، ولعلَّ السّرَّ في هذه الظّاهرة أنَّ اليهود أساؤوا في تفسير النّاموس، ففي سفر التّثنية 24/ 1 إذا أخذ رجلٌ امرأةً

---

(1) تكوين 2/ 21 - 24/ .

وتزوج بها فإنْ لم تجد نعمة في عينيه لأنَّه وجد فيها عيب شيء كتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته[1].

وفي الكتاب المقدس لو تابعنا النّص «ومتى خرجت من بيته وصارت لرجل آخر، فإنْ أبغضها الرّجل الأخير، وكتب لها كتاب طلاق، ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، أو إذا مات الرّجل الأخير الذي اتخذها له زوجة، لا يقدر زوجها الأول الذي طَلَّقَها أنْ يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أنْ تنجَّسَتْ، لأنَّ ذلك رجسٌ لدى الرّبّ، فلا تجلب خطيَّةً على الأرض التي يعطيك الرّبّ إلهك نصيباً». تثنية 24/ 2-4/ .

وبهذا؛ تُحرَمُ المرأة من حقٍّ رجوعها لزوجها، وعُدَّت نجسة، وإذا فعل هذا فإنَّه ستكون خطيَّةً في الأرض.

ولعلَّ أكثر ما كَرَّمَ الدِّينُ اليهوديُّ المرأةَ هو تأجيلُ زوجها عن الجندية سنة كاملة، ليسرَّ امرأته التي أخذها. تثنية / 24/ .

هذا ما يمكن من ناحية تكريم المرأة، ولكننا نلاحظ أنَّ المرأة عُدَّت متاعاً للرّجل، فهي تُورَثُ إذا مات رجلها، ولم يكن قد خلَّفَ أولاداً، وفي هذه الحالة سيتزوجها أخوه البكر منه لأخيه الميت، حتى لا يفنى اسمه في إسرائيل، ومَنْ يأبى ذلك يُسمّى بيت مخلوع النّعل، وقد رأينا حادثة ثامار مع عير ويونان وزناها بعمها يهوذا انتقاماً لأنَّه لم يُزوِّجها من ابنه الثّالث شِيلة.

1ً - تعدُّدُ الزّوجات:

لم يُحدِّد الكتاب المقدس عدد الزّوجات على الإطلاق، فكان متناقضاً في هذا تمام التّناقض، فهو مرة يعترف بالزّوجات الأخرى وأبنائهن، ومرة يُقلِّلُ من قيمة الزّوجة الثّانية، ويحرم أبناءها من أي حق.

1 - فمع إبراهيم عليه السّلام؛ قرَّرَ لسارة الحقَّ في كُلِّ شيء، وجعلها مُتسلِّطة في آرائها تسلُّط اليهود على بقية النّاس، فطرد إبراهيمُ هاجرَ وابنها، وطرد أبناء قطورة، وترك الكتابُ المقدس الحقَّ الكامل لابن سارة.

---

(1) وليم باركلي، تفسير العهد الجديد، ص148.

2 ـ ومع داود؛ تزوج داودُ عدة زوجات، وكانت زيجته من المرأة التي زنى بها، وقتل زوجها، ومع العلم أنَّ ابنها سليمان ليس البكر فقد صار ملكاً بعد أبيه، وقتل أخاه أدونيّا الأحقّ بالملك.

3 ـ ومع سليمان؛ فقد بلغت زوجاته الألف، ولكنه اختار ابن المرأة العمُّونية، مع العلم أنَّ الكتاب المقدس يقول: لا يدخل نسل عمُّوني ولا مؤابي في رجال الله حتى الجيل العاشر.

4 ـ ومع رحبعام؛ فقد تزوج عدة نساء، ولكنه أعطى المُلك لابنه من معكة ابنة شالوم أبيا.

ولن نستقصي هذا، فالكتاب جملة من التّناقضات، ولكنْ؛ سُمح للرّجال بالزّواج ـ حسب الكتاب المقدس ـ بالعديد من الزّوجات، حتى أنَّ إسرائيل كان لديه زوجات أربع، وأبناؤه من الأربع قد ورثوا جميعاً أبناء المرأة المكروهة والمحبوبة، وفضّل يهوذا على بقية أخوته وهو ابن المرأة المكروهة، مع العلم أنَّ سِجِلَّ حياته لا يُشرف.

2 ـ مَن المرأة المُفَضَّلَة في الزّواج؟

هذا السّؤال يردُّ عليه الكتاب المقدس في العديد من المواقع بأنَّ المرأة الآرامية هي الزّوجة الصّالحة والتي تحظى برضى الرّبّ، ولهذا كانت سارة المرأة الفاضلة لدى جماعة الكتاب المقدس، وقد طلب إبراهيم من ابنه المُدَلَّلِ إسحق أنْ يتزوج ابنة خاله بتوئيل الآرامي، وزَوَّجَهُ رفقة الجميلة التي سارت على خطا سارة.

وطلب إسحق ورفقة من ابنهما يعقوب أنْ يتزوج ابنة خاله لابان بن بتوئيل الآرامي، فتزوج ليئة وراحيل ابنتي خاله، وخدع يعقوب خاله، وسرقت راحيل أصنام أبيها.

وغضبت رفقة على ابنها العيسو لأنَّه تزوج من بنات حثّ، ومن بنت عمه إسماعيل.

غير أنَّ هذه القاعدة ليست قاعدة، فقد خُرقت مرات ومرات:

1 ـ لم يتزوج موسى من بني إسرائيل ولا من الآراميات، وإنَّما تزوج امرأة مديانية، وهي أم أولاده، وتزوج من المرأة الكوشية التي ثار عليه بسببها أخوه هارون وأخته مريم، وقصته في الكتاب المقدس من أجل الكوشية أشهر من أنْ تُذكر.

2 ـ تزوج يشوع من الزّانية راحاب وهي من أريحا.

3 ـ تزوج شمشون من فتيات فلسطينيات ومنهن دليلة .

4 ـ تزوج داود عدة نساء غير إسرائيليات وغير آراميات .

5 ـ جدة داود راعوث مؤابية .

6 ـ أم رحبعام عمُّونية .

7 ـ تزوج يهوذا من امرأة فلسطينية .

8 ـ تزوج يوسف من امرأة مصرية .

9 ـ تزوج سليمان مصرية وكنعانية وعمانية ومؤابية .

10 ـ أثبت سِفرا عزرا ونحميا أنَّ كثيراً من اليهود (بعد أنْ أَسَّسَا اليهودية) أنَّهم قد تزوجوا من نساءٍ غير يهوديات . (وفي تلك الأيام رأيت اليهود الذين ساكنوا نساءاً أشدوديات (نسبة إلى مدينة أشدود) وعمُّونيات ومؤابيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي ، ولم يكونوا يُحسنون التكلُّم باللسان اليهودي ، بل بلسان شعب وشعب . نحميا 13/ 23 ـ 24/ .

11 ـ إنَّ انقسام الفرقة السّامرية عن اليهودية كان أسبابها الزّواج من غير اليهوديات ، ولو كانت التّوراة تنصُّ على ما قاله عزرا ونحميا لكان سبباً كافياً لرفض السّامريين للكاهن الذي رفض الانصياع لأوامر التّوراة ، وانفصل عن اليهودية ، وشَكَّلَ فرقة خاصة لها توراتها الخاصة .

« وكان واحد من بني يوياداع بن الياشيب الكاهن العظيم صهراً لسنبلّط الحوروني ، فطردتُهُ من عندي ، اذكرهم يا إلهي لأنَّهم نَجَّسُوا الكهنوت وعهد الكهنوت واللاويين ، فطهرتُهُم من كُلِّ غريب ، وأقمتُ حراسات الكهنة واللاويين ، كُلٌّ واحد عمل على عمله » . نحميا 13/ 28 ـ 29/ .

ولن أُعدِّدَ الذين خرقوا هذه القاعدة فهم أكثر من أنْ يُعَدُّوا .

3َ ـ سمحت التّوراة لليهودية أنْ تتزوج من غير اليهودي لمصلحة اليهود ، وحَرَّمَتْ أنْ تتزوج اليهودية من غير اليهودي من ناحية أخرى :

ولهذا ؛ وقعت في التّناقض من جديد « والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ، ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ، ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لكي تتشدَّدوا وتأكلوا خير الأرض ،

وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد». عزرا 9/ 12. وقد مرت هذه التوصية في التّثنية والعدد، ورغم ذلك فقد تزوجت إسرائيلية من رجل مصري، وقد احتطب ابنها يوم السّبت، فرجمه موسى «وخرج ابن امرأة إسرائيليَّة وهو ابن رجل مصري في وسط بني إسرائيل، وتخاصم في المحلَّة ابن الإسرائيلية ورجل إسرائيلي، فجدَّف ابن الإسرائيليَّة على الاسم وسبَّ، فأتوا به إلى موسى، وكان اسم أمه شلوميَّة بنت دِبْري من سبط دان، فوضعوه في المحرس ليُعلن لهم عن فم الرّبّ». لاويين 24/ 10 ـ 12.

ـ تزوجت استير بارتحشتستا، أو قُلْ قبلت أنْ تكون محظية عنده لخدمة شبعها، ولها سفر خاص باسمها استير.

ـ زنت يهوديت بإليقانة قائد بختنصر حتى قتلته، وولَّى جيشه الأدبار، تاركاً القدس من قبضته.

وبهذا يحار المرء في هذا الكتاب المقدس، أيّ أمر سيُطبق، علماً بأنَّ ابنَي يعقوب شمعون ولاوي قد أبادا مدينة شكيم، لأنَّ دينة أختهم زنت بشكيم بن حمور حسب رأي الكتاب المقدس، وكان في استطاعتهم أنْ يستغلّوا دينه لمصلحتهم، ولكنَّ كَتَبَة الكتاب المقدس رفضوا ذلك، ليزداد تناقض الكتاب تناقضاً.

لن أكرر هذه الزّيجات فإنَّها أكثر من أنْ تُعَدَّ، وكلما قيل في التّوراة ابن أرملة فالأم إسرائيلية أو يهودية والأب أممي.

ب ـ الطّلاق:

يُعَدُّ الطّلاق في اليهودية مشروعاً بشكل كبير، وقد نصَّت التّوراة عليه في العديد من الأسفار، «إذا أخذ رجلٌ امرأةً وتزوج بها فإنْ لم تجد نعمةً في عينيه لأنَّه وجد فيها عيبَ شيءٍ وكتب لها كتاب طلاقٍ ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجلٍ آخر، فإنْ أبغضها الرّجل الأخير، وكتب لها كتاب طلاق، ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، أو إذا مات الرّجل الأخير الذي اتخذها له زوجةً، لا يقدر زوجها الأول الذي طلّقها أنْ يعود يأخذها لتصير له زوجةً بعد أنْ تَنَجَّسَتْ، لأنَّ ذلك رجسٌ لدى الرّبّ، فلا تجلب خطيَّةً على الأرض التي يعطيك الرّبّ إلهك نصيباً». تثنية 24/ 1 ـ 4/ .

كما نهى اللاوي أنْ يأخذ امرأة مطلقة مهما كانت ظروفه، ومن ثم أكَّدَ ملاخي أنَّ الطّلاق مكروه. « فاحذروا لروحكم، ولا يغدر أحد بامرأة شبابه، لأنَّه يكره الطّلاق قال الرّبّ إله إسرائيل، وأنْ يُغطّي أحدٌ الظّلمَ بثوبه قال ربّ الجنود، فاحذروا لروحكم لئلا تغدروا». ملاخي 2/ 15 ـ 16/ ، فالطّلاق موجود في الشّريعة اليهودية، وهو مكروه في الوقت نفسه.

ج ـ التَّسَرِّي:

أباحت اليهودية التَّسَرِّي من المرأة، وقد تزوج سليمان سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية، وتزوج إبراهيم من سارة ومن سريتين ـ كما تدّعي التّوراة ـ هاجر وقطورة، وتزوج يعقوب من الأختين ومن جاريتيهما.

وتختلف معاملة السّرية من إصحاح لإصحاح، ومن سفر لسفر، فبينما فَرَّقَت التّوراة في المعاملة بين ابن هاجر وأبناء قطورة من جهة وابن سارة من جهة ثانية، لم ينصّ الكتاب المقدس على أية معاملة مختلفة بين أسباط إسرائيل، علماً أنَّهم ينتمون إلى آراميتين وجاريتين، ومن ناحية أخرى صار ابن السّرية العمُّونية رحبعام ملكاً على إسرائيل بعد موت سليمان، فهو ابن نعمة العمُّونية، والتّسري كثير في التّوراة، ولعل حادثة سرية اللاوي التي قُتل فيها سبط بنيامين وأُبيد إبادة شبه تامة أكبر من أنْ تُذكر.

د ـ وقد وردت أحكام أخرى خاصة بالمرأة:

ففي الخروج 21/ 1 ـ 11/ أحكام العبد العبراني ونساؤه، وفي اللاويين 15/ 16 ـ 32/ أحكام الغسل للمرأة والرّجل والنّزيف والطّمث؛ حيث عُدَّت المرأة نجسة في هذه الأوقات، حتى الأغراض التي تجلس عليها عُدَّت نجسة، وفي اللاويين 18/ 6/ 18/ أحكام المحرمات من النّساء، ومن 19 ـ 20 المرأة والطّمث وعدم جماعها في تلك الفترة، اللاويين 19/ 20 ـ 21/ حكم الأمة الزّانية، و26 عدم تعريض البنت للزّنى، و 20/ 10 ـ 21/ حكم الزّناة، و 21/ 7 ـ 8/ عدم السّماح للاوي الزّواج من مطلقة أو زانية، و22/ 12 ـ 13/ حكم ابنة الكاهن المطلقة، وعدد 27/ 6 ـ 9/ إرث المرأة، وفي التّثنية 21/ 10 ـ 14/ السّماح في الزّواج من

أسيرة، و / 15 ـ 17/ حق البكورية لابن المرأة المكروهة، و 22/ 13 ـ 30/ أحكام الـزّواج واتهام الفتاة بفقد العذرية وإفقاد البكارة، و 25/ 5 ـ 10/ حكم الزّواج من امرأة الأخ المتوفى.

3 ـ الأعياد والقرابين:

أ ـ الأعياد:

يُميِّز اليهود كثرة أعيادهم، فقد أخذوا عن الأمم التي عاشـروها أعيادهم، كما أضافوا إلى تلك الأعياد أعياداً أخرى بمناسبات خاصة، فما أهم تلك الأعياد؟

1 ـ عيد السّبت: وهو عيد أسبوعي، كُلّ سبعة أيام، وعيد السّبت أخذه اليهود عن البابليين، وكلمة شافاط تعني القضاء، وإيليشافاط قاضي الله، وكذلك يهوشافاط قاضي يَهْوَه. ومدته من غروب الشّمس يوم الجمعة إلى غروب الشّمس يوم السّبت، وأهم شعائره الكفّ عن أيّ عمل، وبذلك جاء الأمر صريحاً في الوصايا العشر المنسوبة إلى موسى في التّوراة، والأصل فيه كما تقول التّوراة: «فَأُكمِلَت السّموات والأرض وكُلّ جندها، وفرغ الله في اليوم السّابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السّابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السّابع وقَدَّسَه، لأنّه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً». تكوين 2/ 1 ـ 3/ .

وقد أوصت التّوراة في العدد سبعة، حتى في السّنوات وأيام السّبوت السّنوية تسع وأربعون سبتاً، وقد مرَّت التّوصية في السّبت كثيراً، بحيث أنّه قلّما يخلو سفر من أسفارها من التّوصية يوم السّبت، وقد قلنا إنَّ عطلة يوم السّبت قد أخذها اليهود من بابل.

2 ـ ظهور الهلال: وعُدَّ الهلال وسيلة توقيت لأعياد يَهْوَه، وله صلوات خاصة عند رؤية الهلال، وهم لا يعتمدون على الرّؤية البصرية، ويأخذونه الآن بالحساب الفلكي، ويُسمَّى عندهم عبدروش حدوش رأس الشّهر، والاحتفال به يكون أحياناً يوماً واحداً أو يومين اثنين.

وكثيراً ما يُذكر السّبت مع ظهور الهلال، كما لو أنَّ هذا العيد يرجع إلى ما قبل العصر الكنعاني، إلا أنَّ تعليل مشاركة السّبت الأول الشّهر القمري هو تكرار مجيء السّبت إبّان الشّهر القمري، بخلاف الأعياد التي يُحتفَل بها مرة كل عام، ومنذ القرنين التّاسع والثّامن ق.م كان السّبت يوم راحة.

وبعد السّبي أخرجت اليهودية يوم السّبت من معناه الأصلي، ونظرت إليه نظرة دينية خالصة، إذ كان بعض اليهود مَنْ يُفضِّل أنْ يُقتَلَ من أنْ يدافع عن نفسه يوم السّبت.

والواقع إنَّ الاحتفال بالسّبت أخذه الإسرائيليون بعد نزوحهم إلى أرض كنعان عن البابليين عن طريق الكنعانيين، ففي بابل وآشور نجد كيف أنّهم كانوا يُقدِّسون اليوم الأول من الشّهر القمري، ثم اليوم السّابع ربع القمر، ثم الخامس عشر بدر، و كان في الأكادية شبتو السّبت، كما احتفل البابليون والآشوريون أيضاً باليوم الثّامن والعشرين المحاق.

وقد مرَّ معنا أنَّ إسرائيلياً احتطب يوم السّبت، فرجمه موسى وجماعته، ولا أظن هذا إلا من قبيل مخيلة اليهود. عدد 15/ 32 ـ 36/ .

3 ـ عيد رأس السّنة: ويُسمَّى عندهم روش هشانا، وتستغرق طقوسه ثلاثة أيام، وفي اليوم الرّابع من تشرى رأس السّنة يصومون، اسمه صوم جدليا، ومناسبته ذكرى قتل جدليا بن أحيفام الذي ولاّه بختنصر ملك بابل على البقية الباقية من اليهود في فلسطين بعد الاستيلاء عليها، و نقل مَنْ يصلح للخدمة من إسرائيل أسرى إلى بابل، وقد قتله إسماعيل بن نثنيا بن اليشاماع من النّسل الملوكي. إرْمِيَا/ 41.

4 ـ وهذا العيد من أشهر الأعياد الإسرائيلية التي ترجع إلى عهد السّبي، وهو عيد الخريف، وذلك لأنَّ السّنة الإسرائيلية في ذلك الوقت كانت تبدأ بأول الخريف، مثلها في ذلك مثل السّنة البابلية، والتّقويم البابلي هو الذي أَثَّرَ تأثيراً بعيداً في التّقويم الإسرائيلي بعد السّبي.

وفي حزقئيل 1، ص45/ 18 نجد الإسرائيليين يُعيِّدون عيدين لرأس السّنة؛ عيداً في أول السّنة أبيب (نيسان)، وعيداً في الشّهر السّابع تشري، وتعليل هذا أنَّ رأس السّنة احتُفل به في الخريف، واستمرَّ الحال كذلك، وإلى جانبه الاحتفال برأس السّنة الرّبعي، والعيد الخريفي، أخذوه من بابل يوم الغفران؛ أي يوم الكفارة، وهو اليوم العاشر من شهر تشري، ويبدأ قبيل غروب الشّمس من اليوم التّاسع من تشري ويستمر إلى ما بعد غروب شمس اليوم التّالي، فمُدَّته حوالي / 27/ ساعة يجب فيها الصّيام ليلاً ونهاراً، وعدم الاشتغال بأي شيء ما

خلا العبادة، واسمه بالعبرية كبور، والظّاهر أنَّ بداية هذه الشّعيرة ترجع إلى عصور العبرانية الأولى[1].

ومن الرّاجح أنَّ الشّريعة الموسوية نفسها قد قرَّرَت يوماً في السّنة لحساب النّفس والنّدم على ما بدر من الخطايا والتّكفير عنها لا بالصّوم فقط، بل بالذّبائح والصّلوات والأموال، وردّ المظالم إلى أهلها، وطلب الصّفح من المعتدين عليهم، وكان اسمه يوم هكيفوريم يوم الكفارات، واقترن هذا اليوم بذكرى دخول بختنصر مدينة القدس، وأصبح عندهم أكبر أيام الحداد[2].

والواقع هو أنّنا لا نعرف عن هذا العيد شيئاً قبل السّبي، ويرجع إلى عصر متأخر بعد السّبي بعد عصر عزرا، وتفتح صلاة العشاء ليلة الاحتفال بعيد الغفران بالصّلاة المعروفة باسم كل ندري، وهي تتصل بالاستغفار من جميع الوعود التي قطعها الإسرائيلي على نفسه طوال العام المنصرم والعام القادم ولم يفِ بها، ويرجو العفو والمغفرة.

5 ـ عيد الظّلل أو المظال: وبالعبرية سكوت، والأصل في هذا العيد أنه عيد زراعي، ولذلك يُسمّونه أيضاً بالعبرية حج ها أسيف عيد التّخزين، ويبدأ في اليوم الخامس عشر من غروب الشّمس في اليوم الرّابع عشر بحيث تكون هذه ليلة العيد.

ومُدّتُهُ التّقليدية تسعة أيام؛ منها سبعة عيد الظّل، ويومان آخران / 22 ـ 27/ من تشري ولها لون آخر، فالأول منهما يُسمَّى الثّامن الختامي، لأنّه يختم عيد الظّلل بأيام السّبعة، وأما اليوم الثّاني فإنّه يفتح دورة جديدة من قراءة التّوراة، ولذلك يُسمَّى عيد فرحة التّوراة سمحت توراة.

ويُسمَّى اليوم السّابع والأخير من عيد الظّلل باليوم الكبير لطلب النّجدة، وبالعبرية هوشع ناريا، ويبدو في الأصل أنّها كانت صلاة استسقاء عندما يتأخر المطر[3].

وقد أخذوا هذا العيد من جملة الأعياد الزّراعية منها عيد جمع الشّعر وعيد الحصاد، ويوم المظال يوم جمع العنب والفواكه، وهذه الأعياد كنعانية خالصة.

---

(1) ظاظا حسن، الفكر الدّيني اليهودي، ص168.

(2) ظاظا حسن، الفكر الدّيني اليهودي، ص168.

(3) ظاظا حسن، الفكر الدّيني اليهودي، ص169.

6 ـ عيد التّدشين : وتاريخه في الخامس والعشرين من شهر كسلو ، وهو في وقت عيد الميلاد ، ومناسبة هذا العيد ترجع إلى سنة 165 ق . م ، حينما أخرج متاتيا التّماثيل اليونانية من الهيكل .

7 ـ عيد الفوريم أو النّصيب (البوريم) : وكان الكُتّاب العرب يُسمّونه عيد المسخرة (الكرنفال) ، وهذا العيد لا يمتُّ بصلة إلى رسول الله موسى ، ولا إلى شريعته ، يبدأ هذا العيد من ليلة 13 شهر آذار من السّنة اليهودية بالصّيام ، والرّابع عشر العيد ، أما الخامس عشر فهو اليوم الصّاخب (الكرنفال) .

عُرف هذا العيد في عهد استير ، وبالرّغم من وضوح هذه المناسبة وذكرها في سفر استير ، إلا أنَّ التّلمود يزعم أنّه كان معروفاً ومُحتَفَلاً به منذ أيام يوشع بن نون ، ويؤكد الدّكتور فؤاد حسنين علي بأنَّ هذا العيد ظهر بعد السّبي ، وكان ميعاده في 14/ 15 من آذار ، أما لفظ فوريم فدخيل على العبرية ، مما يفيد أنَّ العيد دخيل أيضاً ، ويرى الباحثون أنّه صدىً لقصة بابلية قديمة ، فأستير هي عشتر ، وهامان إله العيلامية ، ومردخاي عبارة عن مردوك ، فتكون القصة عبارة عن ملحمة حربية بين الآلهة البابليين والعيلاميين[1] .

8 ـ عيد الفصح : وأول أيامه الخامس عشر من شهر نيسان من السّنة اليهودية ، ويُسمّيه بعض المستعربين من علماء اليهود الفسح ، ومن هؤلاء سعديا الفيومي ، والفصح هو عيد الرّبيع ، فهم على غرار الأمم الأخرى من العالم ، وهي تتقارب بالطّبع في زمانها ، وتختلف في مناسبتها التّاريخية ، وكان الشّهر الذي يقع فيه يُسمّى في التّوراة شهر أبيب ، وهي كلمة عبرية معناها الرّبيع ، ثم حدث أنْ تحدَّدَت هجرة بني إسرائيل من مصر في هذا الوقت . . .

ومن هنا جاء اختيار أمثال سعديا من علماء اليهود أنْ يُسمّوه الفسح ؛ أي الفرج بعد الضّيق ، ومُدَّة هذا العيد ثمانية أيام ، وعيد الفصح اليهودي يُحَدِّد بداية فترة خاصة عند اليهود مُدَّتها خمسون يوماً ، يُسمّونها عومر ، تبدأ بعيد الفصح ، وتنتهي بعيد الحصاد ، أو ما يُسمّونه بعيد الأسابيع . خروج 12/ 21 .

---

(1) حسنين علي فؤاد ، اليهودية واليهودية المسيحية ، ص68 .

ونستطيع أنْ نقول إنَّ عيد الفصح عرفه الإسرائيليون في البادية، وتذكر بعض المصادر التي وصلتنا تعليلاً آخر لهذا العيد. ونستطيع أنْ نقول إنَّهم عرفوه قبل يَهْوَه، ولما جاءهم موسى بالمعبود يَهْوَه طلب إلى الإسرائيليين تقديسه، احتفظ موسى والإسرائيليون به أيضاً، ثم حاول القوم فيما بعد ربط هذا العيد بالمعبود يَهْوَه، ولم يستمر الاحتفال بالعيد على وتيرة واحدة، بل أخذ يتطوَّرُ مع تطوُّر العقيدة والحياة الاجتماعية لهم، فبعد السّبي - لَمّا استأثر معبد أورشليم بالقداسة دون سائر المعابد الأخرى - أصبح الاحتفال بعيد الفصح قاصراً على معبد أورشليم[1]، أما المزمور المختص بعيد الفصح؛ المزمور 107، فهو يبتدئ ب - «احمدوا الرّبَّ لأنَّه صالح، إلى الأبد رحمته، ليقل مفديو الرّبّ الذين فداهم من يد العدو». والمزمور يتألف من 43 آية، وينتهي ب - «يرى ذلك المستقيمون فيفرحون، وكُلُّ إثم يسدُّ فاه، مَنْ كان حكيماً يحفظ هذا ويتعقَّل مراحم الرّبّ».

9 - الثّالث والثّلاثون في العومر: وهو أهم أعياد فترة العومر هذه، ويُسمِّيه اليهود بلج عومر، لأنَّ اللج لأنَّ اللام في حساب الحروف عندهم بثلاثين والجيم بثلاثة، وهذا العيد يقع في الثّامن عشر من أيار.

10 - عيد الحصاد أو عيد الأسابيع: وبالعبرية شبوعوت، ويبدأ في اليوم الخمسين من العومر الموافق السّادس من شهر سيوان، ومُدَّتُهُ يومان، ويقابله في الأعياد المسيحية عيد العنصرة، ويقيمون فيه زفافاً للتّوراة في داخل المعبد، وكأنَّها عروس.

11 - صوم تموز: هو يوم واحد، يصوم فيه اليهود في الثّامن عشر من تموز، ويجعلون هذا الصّيام حداداً من أجل حوادث مختلفة؛ أهمها تحطيم الألواح، وإبطال القربان، وإحراق التّوراة في أورشليم، وذكرى بداية مهاجمة تيتوس لأورشليم.

12 - صيام التّاسع من آب: وهو ذكرى سقوط في أورشليم في يد تيتوس.

(1) حسنين علي فؤاد، اليهودية واليهودية المسيحية، ص69.

ب ـ القرابين:

لا أعتقد أنَّ شعباً يحبُّ الدّماء كالشّعب اليهودي، فهو شعب جزّار يحبُّ الدّم، ويحبُّ الإبادة للإنسان والحيوان، واسمع هذا الوصف لكثرة الذّبائح «والملك سليمان وكُلّ جماعة إسرائيل المجتمعين إليه معه أمام التّابوت كانوا يذبحون من الغنم والبقر ما لا يُحصى ولا يُعَدُّ من الكثرة». ملوك أول 8/ 5.

«ثم إنَّ الملكَ وكُلَّ الشّعب ذبحوا ذبائح أمام الرّبّ، وذبح الملكُ سليمانُ ذبائحَ من البقر اثنين وعشرين ألفاً، ومن الغنم مئة وعشرين ألفاً، ودَشَّنَ الملكُ وكُلُّ الشّعب بيتَ الله». أخبار الأيام الثّاني 7/ 4 ـ 5/ .

ولو طالعتَ سفر يشوع لألفيتَ وصفاً لحروب الإبادة؛ وصفاً تقشعر منه الأبدان، من دوس بالمناجر، ونشر بالمناشير، وإعدامات لمدن كاملة، وحرق حتى للحمير والغنم والبقر.

وشعب يحب الإبادة ويكره البشرية كلها سنشاهد عندهم القرابين الكثيرة، ولن أقوم بإحصاء تفصيلي لهذه القرابين، لكنها تقارب في السّنة لكل عائلة ما يقارب من سبعين ثوراً وألف خروف.

وهناك أنواع للقرابين في التوراة:

ـ الأضاحي البشرية: ورد في التّوراة حادثتان تدلاّن على الأضاحي البشرية.

أ ـ حادثة إبراهيم وإسحق؛ وكاد يضحي بابنه، ولكنْ؛ اللحظة الأخيرة بَدَّلته التّوراة بكبش من الغنم. تكوين 22/ 9 ـ 14/ .

ب ـ حادثة يفتاح الجلعادي ابن الزّانية وتضحيته بابنته الوحيدة. قضاة 11/ 34 ـ 40/ . وطقس التّضحية بالبشر عند الكنعانيين يرتبط عادة بآلهة الخصب والرّي طلباً للغيث والرّي، كما يرتبط بطقس الجنس الجماعي والموضع الذي ذهب إبراهيم ليضحي فيه بولده يأتي في النّص القائل يَهْوَه يرأه. تكوين 22/ 14، وهنا يرد يَهْوَه بمعنى إله مضافاً إلى براه، فهو إله الرّي[1].

---

(1) كنعان جورجي، تاريخ يَهْوَه، ص116.

والقربان هو الطّعام الذي يجمع بين الإنسان والإله، والطّعام عبارة اللحم والدّم، وفيما بعد نجد يَهْوَه يختصُّ بالدّم، ولعل الطّريقة التي استخدمها صموئيل عند تقديم القربان هي الطّريقة البدوية؛ حيث نقرأ ذكراً لحجر خاص، لِتُذْبَحَ عليه العجول والضّأن والماعز ويُترك الدّم نصيباً للمعبود، ولذلك يُترك الدّم يجري على الحجر أو على الأرض، أما مُقدِّمو القربان فنصيبهم اللحم.

ويلاحظ هنا أنّنا لا نقرأ شيئاً عن حرق الحيوان أو الدّهن، وتظلُّ هذه الفكرة قائمة في العقيدة الإسرائيلية، حتى أطلقت على موضع تقديم القرابين مذبحاً، و لو أنَّ المؤمنين كانوا يُقدِّمون القربان ويحرقونه ولا يذبحونه.

ولما اتصل الإسرائيليون بالكنعانيين أخذوا عنهم فكرة جديدة عن القربان، والغاية منه - من القربان - ليس للجمع بين الإنسان ويَهْوَه عن طريق القربان، بل القربان عطية للمعبود، لذلك أصبح القربان يُحرَق، ولا يُذبَح، أو يحرق دهنه فقط، فيصعد الدّخان إلى السّماء؛ حيث يقيم هذا الإله الذي خُصِّصَ له القربان[1].

والذي أراه غير هذا على الإطلاق، فقد وردت القرابين في الأسفار التّالية:

1 - خروج 5/ 3؛ وفيه «ونذبح للرّبّ إلهنا». ولم يرد الحرق.

2 - خروج 13/ 1 - 2؛ وفيه «قَدِّسْ لي كُلَّ بكر كل فاتح رحم من بني إسرائيل من النّاس ومن البهائم لي». ولم يُبيِّن السِّفر ماذا يفعل يَهْوَه بهم.

3 - خروج 13/ 11 - 13/ ؛« وفيه البكر ليَهْوَه ما عدا بكر الحمار يُفدى، وإنْ لم يُفْدَ تُكسر رقبته، وبكر الإنسان يفديه».

4 - خروج 24/ 4 - 8/ ؛ بدء المحرقات، وذبائح سلامة، ورش الدّم.

5 - خروج 29؛ كله يتحدث عن المحرقات.

6 - اللاويون 1 / 2 - 17/ ؛ كله يتحدث عن المحرقات.

7 - اللاويون 2؛ كله يتحدث عن المحرقات.

---

(1) حسنين علي فؤاد، اليهودية واليهودية المسيحية، ص78.

8 ـ اللاويون 3؛ كله يتحدث عن المحرقات.

9 ـ اللاويون 4؛ كله يتحدث عن المحرقات.

10 ـ اللاويون 6/ 8؛ حتى النّهاية محرقات.

11 ـ اللاويون 7؛ كله محرقات.

12 ـ اللاويون 8؛ تنفيذ المحرقات.

13 ـ اللاويون 9؛ تنفيذ المحرقات.

14 ـ اللاويون 10/ 16 ـ 2؛ محرقات.

15 ـ اللاويون 14؛ محرقات.

16 ـ اللاويون 16؛ محرقات.

17 ـ اللاويون 17؛ محرقات.

18 ـ اللاويون 22 / 17 ـ 33/ ؛ محرقات.

19 ـ العدد 7؛ كله محرقات.

20 ـ العدد 15/ 1 ـ 16/ ؛ كله محرقات.

21 ـ العدد 28؛ كله محرقات.

22 ـ العدد 29؛ كله محرقات.

23 ـ العدد 30؛ نذور.

24 ـ تثنية 12/ 11 ـ 28؛ محرقات.

هذه أسفار موسى الخمسة، ولا أظن أنَّ كتاباً ما سيكون للحم القرابين أكثر دموية من أسفار موسى، وقد عرفنا سابقاً أنَّ هذه الأسفار لم يكتبها موسى، وإنَّما كتبها مَنْ جاء بعد موسى بقرون عديدة، وكان عزرا أحد أبطال هذه الحلقات، والذي ألاحظه أنَّ أنبياء الأسر وقبل العودة لم يحفلوا بالقرابين، وإنَّما دعوا للصّلوات والاستماع لآراء يَهْوَه، حتى إذا عادوا كان رأيهم أنْ يذبحوا البشرية كلها، ولما لم يستطيعوا ذلك حَوَّلوا الذّبح إلى هذه الحيوانات.

أليست نظرة اليهود إلى البشرية بأنّهم حيوانات واضحة الوضوح كله في أسفار توراتهم؟! فكما أباح يشوع تدمير المدن وتحريم النّاس أباحوا هؤلاء الحيوانات وجعلوا عطشهم للدّماء يرتوي من فيض الأنهار الجارية من هذه الذّبائح، وحوّلوا يَهْوَه إلى سفاك سفاح مجرم يبيد البشرية، ولا يرضى إلا برائحة الدّم واللحم المشوي، ليكون رائحة سرور للرّبّ.

وأما وصف القرابين فيمكن أنْ نقسم فيه هذه الأمور إلى النّقاط التّالية:

1 ـ ضحايا بشرية: إسحق وابنة يفتاح والمجازر البشرية.

2 ـ ضحايا حيوانية: وهي لا تُحرق، وإنّما تُذبح وتُؤكل، وهو ما قُرِّرَ في بقية الأديان والذي يُحرق منها الدّهن للإضاءة، فلم يكن النّفط معروفاً.

3 ـ المحرقات أخذوها عن النّاس، وكذلك تقديم الضّحايا، ولكنْ؛ بعد أنْ تحرَّروا من أسر بابل وعادوا إلى فلسطين فقدّموا المحرقات.

4 ـ فترة الأسر البابلي: وفيها ماتت فكرة القرابين كما في مزمور 40/ 7 و 50/ 8 و 51/ 18 ـ 19، وصارت تمهيداً لإقام الصّلوات من أجل إقامة المعابد حتى عام 70م، حينما هدم المعبد ثالثة.

ومن الذين وقفوا ضدّ القرابين عاموس وأشعيا والمزامير، بل اتهم هؤلاء الأنبياء أنّ القرابين التي ذُبحت لم تكن ليَهْوَه، وإنّما كانت لعشتار وملكوم وبعل وبقية آلهة الأمم الأخرى.

4 ـ المسيح:

إنّنا لو بحثنا بشكل وافٍ في إرْمِيَا ومراثي إرْمِيَا لما رأينا وجود فكرة مسيح الرّبّ المخلص، وإرْمِيَا هو النّبي الذي أنذر بني يهوذا من الدّمار المقبل عليهم، فحاربوه، وسجنوه، حتى أتى بختنصر، وأخرجه من سجنه.

وسفر إرْمِيَا أحقُّ من بقية الأسفار في وجود المسيح، إنْ كانت هنالك فكرة للمسيح المخلص.

فما هي فكرة المسيح؟ لقد قالت التّوراة بمسح ملوكها بدءاً من شاول وانتهاءاً بصدقيا، ولم تكن فكرة المخلص موجودة، مع العلم أنّ الكتاب المقدس ـ وخاصة تاريخ الملوك ـ قد تحدَّثَ عن سقوط إسرائيل بشكل مُفصَّل مع سنحاريب والدّولة الآشورية، وكتاب يهوديت

أحد الأسفار التي سَجَّلت هذا التّاريخ، ورغم هذا السّقوط المريع، ورغم أنَّ السّقوط لدولة داود مُتوقَّعٌ ـ كما يبدو للنّاظرين ـ فإنَّ فكرة المخلص لم تظهر، ولم يُبشِّرْ بها أحد.

بل على العكس، فقد هَدَّدَ النّبي أشعيا حزقيا «فقال: ماذا رأوا في بيتك؟ فقال حزقيا: رأوا كُلَّ ما في بيتي، ليس في خزائني شيءٌ لم أُرِهِمْ إياه، فقال أشعيا لحزقيا: اسمع قول الرّبّ، هوذا أيام تأتي أيّامٌ يُحمَل فيها كُلُّ ما في بيتك وما ذخره آباؤك إلى هذا اليوم إلى بابل، لا يُترَك شيءٌ يقول الرّبّ، ويُؤخَذ من بنيك الذين يخرجون منكَ الذين تلدهم، فيكونون خصياناً في قصر ملك بابل»[1].

ولا أدري كيف مَدُّوا عمر أشعيا من هذه الأيام إلى أيام كورش!! وأول ما ورد كلمة المسيح مسيح الرّبّ كورش المنقذ المخلّص في سفر أشعيا إصحاح 45، وقد قلت فيما سبق إنَّ الإصحاح 45 وما بعد فهو لأشعيا الثّاني والثّالث، ولا ندري عنهما شيئاً 45 / 1 ـ 8/، وهذا أول ورود للمسيح، لذا؛ نستطيع أنْ نؤكِّد أن هذه الفكرة قد أخذها اليهود عن زرادشت، فقد كانت هذه الفكرة عنده، وهي أنَّ كل ألف عام يظهر رجل من نسل زرادشت ليعيد للعالم صفاءه ونقاءه.

وقد تأكدت هذه الفكرة بعد السّبي البابلي، ثم مع النّكبات المتعاقبة التي حَلَّت باليهود؛ وهي فكرة الأمل في المسيح المخلّص حتى أصبحت ركناً من أركان العقيدة اليهودية العامة، وسُمِّيَت عند كثير من مُؤرِّخي تطوُّر الفكر الإسرائيلي باسم المسيحانية، ويقول مرسيا إلياد في كتابه المعتقدات الدِّينية:

ربما كانت فكرة المخلّص مدينة إلى حَدٍّ ما للأثر الإيراني، ولكنْ؛ ربما كان التّأثير الإيراني الأعظم قد حدث في تطوير الإيمان المسيحي اليهودي، فقد اتفق الأحبار على نطاق واسع على أنَّ التّصوُّرات اليهودية المتأخرة عن الشّيطان والجحيم والحياة الأخرى والبعث ونهاية العالم وصورة المخلّص قد صبغتها الدّيانة الزّرادشتية بصبغتها[2].

---

(1) الملوك الثّاني 20/ 15 ـ 18/.

(2) مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات الدِّينية، ج2، ص134.

أما المؤرخ الأمريكي ويل ديورانت فيقول: فكرة المسيح أو المسيح المنتظر موجودة في الدّيانة الفارسية، ويبدو حسب رأيه أنَّ اليهود استعاروها منهم في زمن النّفي إلى بابل[1].

وقد بلغت هذه التّوقعات حَدّاً فاق الوصف؛ إذ تنبّأ كثير من الكَذَبَة أنّهم المسيح المنتظر، ارجع إلى كتاب حول المسيح المنتظر لبديع السّيوفي، وفي النّهاية وعلى أية حال نجد أنَّ المسيح الموعود لم يأتِ لليهود، وأنَّهم ظلوا يأتون به في شخص هذا وذاك من أبطال حكايتهم المتفق عليها، وظلُّوا يكتشفون أنَّ مَنْ أتوا به ليس هو. ارجع أشعياء 11/ 15 ـ 16/ وعدم حدوث النّبوءات.

« ولمّا لم تكن أية نبوءة من تلك النّبوءات قد تحقّقت حتى عصر الهيكل الثّاني، وحتى زمان الحاخام شام توف بن إسحق في الرّبع الأخير من القرن الرّابع عشر وما بعده، وكلها نبوءات مقضيٌّ بتحقّقها على يدي المسيح المنتظر، فإنَّه يتبع من ذلك ـ يهودياً ـ أنَّ المسيح المنتظر لم يأتِ بعد، ويتعيَّن انتظار مقدمه في زمن آت يقود فيه جيش أبناء النّور ضدّ أبناء الظّلام؛ أي ضدّ جيش ياجوج والشّعوب الكثيرة الشّريرة المعادية لشعب يَهْوَه المختار، ويمحق فيه أبناء الظّلام، وتتحقق النّبؤات، ويبدأ القصر الألفي السّعيد الذي تحكم فيه صهيون كُلَّ الأمم، وتنبذ كُلُّ الأمم الحربَ، فتحوِّل سيوفها إلى محاريث، ورماحها إلى مناجل في ظل سلام صهيون شامل، تخرج فيه الشّريعة من صهيون، وتختفي كل الأديان، فلا يبقى إلا يَهْوَه وحده، ولا تبقى إلا عبادته، والنّتيجة التي لا يهرب منها لكل الحقائق أنَّ النّاصري ادَّعى باطلاً أنَّه مسيح الرّبّ »[2].

وللمسيح في نظرهم تصوُّرٌ يختلف عن نظر المسيحية، فأوزويل يخبرنا أنّه بالوسع أنْ نرى في تصوير المسيح المحارب البطل القاضي الذي سيسحق الطّغاة، ويُدمِّرُ الأشرار، ويستأصل الشّر من الخليقة.

---

(1) دكتور البار محمد علي، المدخل إلى التّوراة، ص128.

(2) الرّيس رياض، المسيحية والتّوراة، ص60.

اقتبست صورة من المتضادات التي نراها في الدّيانة الزّرادشية والتي تبلغ ذروتها في المعركة الكونية الكبرى الفاصلة بين أهورامزد الذي يُمثِّل الحياة والنّور، وأهريمان الذي يُمثِّل الموت والظّلام، وهي المعركة التي تنتهي بانتصار النّور والحياة.

ومعركة كبرى سوف تكون آخر صدام مُسلَّح على الأرض، وهو صدام سوف ينتصر فيه جيش اليهود، ويكون انتصارهم استهلالاً للألف الذّهبي السّعيد.

فالأسطورة الفارسية ـ باعتراف هذا الباحث اليهودي ـ أُخذت واستُخدمت في صُنع أسطورة المسيح المنتظر لكاهن وحاكم خير[1].

ولقد رأينا أنَّ أشعيا في الإصحاح الخامس والأربعين، وفي الإصحاح الرّابع والعشرين، وعزرا 1/ 3 يتناقضان تمام التّناقض في وصف المسيح المخلص.

أشعياء 24/ 21 «ويكون في ذلك اليوم أنَّ الربَّ يطالب جند العلاء في العلاء، وملوك الأرض على الأرض، ويُجمَعُون جمعاً كأسارى في سجن، ويُغلَق عليهم في حبس، ثم بعد أيام كثيرة يتعهدون، ويخجل القمر، وتخزى الشّمس لأنَّ ربّ الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم، وقدام شيوخه مجدٌ». 24/ 21 ـ 23/.

فالإنعام بلقب مسيح الرّبّ على أيّ بطل أسطوري أو تاريخي من أبطال الحكاية المُتَّفق عليها ظلَّ مرتبطاً بالاعتبار الأساسي في الدّيانة، وبالغرض الذي نشأت من أجله أصلاً، وهو إقامة المُلك ودوامه، وتأمين أوضاع الكهنة ومصالحهم في ذلك المُلك.

ولعل أي تفصيل من تفاصيل الحكاية لا يفصح عن ذلك قدر ما تفصح عنه الجزئية الخاصة بقورش الفارسي الذي مات لوقته المسيح المنتظر، رغم عدم عبادته ليَهْوَه، بل وعدم كونه من شعب يَهْوَه المختار أصلاً، فالمتنبئ أشعيا يؤكد أنَّ يَهْوَه قال عن قورش الفارسي: «هكذا يقول الرّبّ لمسيحه لكورش الذي أمسكتُ بيمينه لأدوس أمامه أمماً وأحقاء ملوك...» أشعيا 45/ 1/.

(1) أوزوبل اليهودي، كتاب اليهود، ص284، والرّيس رياض، ص45.

ولكنَّ المسيح عليه السّلام قال: إنَّ ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره. أكبر تأكيد بأنَّ الميراث المدعو لبني إسرائيل في النّبوة والهداية قد انتهى، وذلك حين رفضت دعوة المسيح عليه السّلام، وطوردت. ومن عند هذا الموقف العظيم الذي أعلن فيه السّيد المسيح تجريد بني إسرائيل من كل ما يمكن أنْ يدعوه دينياً أو تاريخياً بهذا الأسلوب العفّ العظيم الذي ساقه، فإنَّ القوى اليهودية التي رأت في هذا الدِّين العظيم خطراً عليها قد دخلت في معارك صريحة مع الدّعوة ومع صاحبها، ولكنْ؛ رغم هذا كله فما زالت الصّهيونية اليوم تتعلّق بهذا الأمل؛ بالمسيح الذي هو من نسل داود، والذي سيحارب أمم الأرض قاطبة ليسودَ اليهود دعاة الشِّرك لا التّوحيد، دعاة اللاأخلاق والرّذيلة، وما زال النّاس يُصَدِّقُون دعاويهم لكثرة ما زيَّفوا من حقائق، وضلّلوا النّاس، وقد برعت الصّهيونية في هذه الأساليب حتى اعتقد النّصارى في العالم أنَّ اليهود هم شعب الله المختار، وأنَّ بقية النّاس تبع لهم، وقد نقلت عبارات إلى الإنجيل تُؤيِّد هذا التّزييف، فنقل نسب ليوسف النّجار، ونسبوه إلى داود عليه السّلام، ليوصلوا نسب عيسى فيه، ولو نقلوا نسب مريم إلى داود لكان أقوى حجة، واختلفوا في هذا النّسب ما بين متّى ولوقا من جهة ثانية، فقد نسبه متّى إلى رحبعام بن سليمان، بينما لوقا لم ينسبه إلى سليمان، وإنّما نسبه إلى ناثان بن داود، ثم هناك خلاف آخر، فقد ورد بين داود ويوسف عند متّى خمسة وعشرون أباً، وفي لوقا اثنان وثلاثون أباً، بالإضافة إلى خلافات كثيرة منها:

1 ـ نسب متّى إلى سليمان بن داود، ونسب لوقا إلى ناثان.

2 ـ كلاهما عاد إلى زربابل بن شالتئيل الذي مَلَكَ في عهد عزرا، مما يدلُّ على أنَّ نسب شالتئيل مُختلَفٌ فيه، ولا يُعرف بشكل صحيح، وقد اختُلف من جديد، فابن زربابل عند متّى بيهود، وعند لوقا ريسا.

3 ـ اختُلف في والد يوسف، فمتّى جعله ابن يعقوب، ولوقا جعله ابن هايل.

4 ـ هنالك اختلاف في عدد من الأجيال ما بين شالتئيل، فعند متّى جعله بن يكينا ملك يهوذا مباشرة، بينما جعله لوقا بن نيربي، ولهذا؛ زاد ستة آباء عن نسب متّى.

5 ـ عند متّى ما بين شالتئيل ويوسف عشرة آباء، وعند لوقا أحد عشر أباً.

6 ـ هذا النّسب ليس نسب عيسى عليه السّلام، لأنّ يوسف ليس والده.

سكت الاثنان عن نسب مريم، وكل الذي أورده لوقا هو: (وفي الشّهر السّادس أُرسل جبرائيلُ الملاكُ من الله إلى مدينةٍ من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراءَ مخطوبةٍ لرجلٍ من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم). لوقا 1/ 26 ـ 27/ ، دون أنْ يُفصح عن نسبها، ولمَنْ تنتمي، وبهذا أنفي أنْ يكون نسب عيسى عليه السّلام هذا النّسب الذي أورده متّى ولوقا، وهما يريدان أنْ يثبتا أنّ عيسى ـ عليه السّلام ـ ينتمي إلى داود، وحسناً فعلا لو أنهما نسبا مريم إلى داود.

الفصل الثّالث

الوصايا

شهرت الوصايا العشر في التّوراة بشكل كبير وواضح، ويظن كثير من النّاس أنَّ هذه الوصايا هي التي تبقَّت من شريعة موسى عليه السّلام، ولكني لا أرى ذلك لأنَّها حُرِّفَتْ، وفي بحثي هذا لن أتناول هذه الوصايا فقط، وإنَّما سأتناول إلى جانبها وصايا أخرى.

أ - الوصايا العشر:

«ثم تكلّم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً:

أنا الرّبُّ إلهك الذي أخرجكَ من أرض مصرَ من بيت العبودية، لا يَكُنْ لك آلهةٌ أخرى أمامي، لا تصنعْ لك تمثالاً منحوتاً ولا صورةً مَّا ممَّا في السّماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجدْ لهنَّ ولا تعبدهنَّ، لأنني أنا الرّبُّ إلهك إلهٌ غيورٌ أفتقد ذنوبَ الآباء في الأبناء في الجيل الثّالث والرّابع من مُبغضيَّ، وأصنع إحساناً إلى ألوفٍ من مُحِبِّيَّ وحافظي وصاياي.

لا تنطقْ باسم الرّبّ إلهك باطلاً، لأنَّ الرّبّ لا يُبرِئُ مَنْ نطقَ باسمه باطلاً. اذكرْ يومَ السّبتِ لتقدِّسه، ستة أيامٍ تعمل وتضع جميع عملكَ، وأما اليوم السّابع ففيه سبتٌ للرّبّ إلهك، لا تصنعْ عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأَمَتُكَ وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك، لأنَّ في ستة أيام صنع الرّبُّ السّماءَ والأرضَ والبحرَ وكُلَّ ما فيها، واستراح في اليوم السّابع، لذلك بارك الرّبُّ يوم السّبت وقدَّسَهُ، أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرّبّ إلهك، لا تقتلْ، لا تزنِ، لا تسرقْ، لا تشهدْ على قريبك شهادة

زور، لا تَشْتَهِ بيت قريبك، لا تَشْتَهِ امرأة قريبك ولا عبدَهُ ولا أَمَتَهُ، و لا ثوره ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك». خروج 20/ 1 ـ 18/ .

هذه الوصايا عُرفت باسم الوصايا العشر، ولنناقشها بشكل هادئ وعلمي.

1 ـ الوصية الأولى توحيد الإله:

إنَّنا رأينا أنَّهم لم يكونوا مُوحِّدين في يوم من الأيام، فقد كانوا يعبدون آلهة عديدة، ومَنْ يطالع الكتاب المقدس سيرى العجب العجاب: إيل، يَهْوَه، عشتر، البعل الحيَّة، العجل، التّرافيم، السّواري، الحجارة، ولهذا؛ لم يفوا بها.

2 ـ لا تنطق باسم ربك باطلاً:

هذه الوصية لو طُبِّقت لأراحوا النّاس واستراحوا، ألم يُحرِّفُوا التّوراة وقالوا على الله ما لم يقل؟ ولهذا؛ تكون هذه الوصية لم تطبق نهائياً، وخاصة في كتاب التّوراة وفي التّلمود، فهنالك كثير من الآراء نسبوها إلى الله، وهو بريء منها.

3 ـ السّبت:

رأينا أنَّه أُخذ عن البابليين والآشوريين، ولم يكن هنالك سبت عطلة لديهم، وقد ناقشناه مسبقاً.

4 ـ أكرم أباك وأمك:

إكرام الأب والأم واجب، وقد مرَّت هذه الوصية مبثوثة في الكثير من التّوراة. وإكرام الوالدين لديهم لا لأنهما سبب الحياة، ولا لأنَّ الله يُثيبهم من أجلهما في الحياة الآخرة، وإنَّما لكي تطول أيامهم على الأرض الموعودة، وهذا إنَّما هو التّحريف بعينه.

5 ـ لا تقتلْ:

هذه الوصية الخامسة، وحبذا لو نُفِّذت، فقد قرأنا في سفر يشوع والقضاة وصموئيل عن حروب إبادة وتحريم المدن، وشاهدنا في عصرنا الحديث في فلسطين من المجازر ما يندى له

الجبين، من أشهر هذه المجازر الحديثة؛ قبية، دير ياسين، قلقيلية، بحر البقر، صبرا وشاتيلا، قانا[1]، فكيف وُجدت هذه الوصية ضمن وصاياهم؟!

6 ـ لا تزنِ:

شاهدنا في مناقشة رجال ومواقف الكثير من اتهامات رجال نسبت التّوراة قرابتهم، ولن نناقشها مرة أخرى.

7 ـ لا تسرقْ:

هذه الوصية السّابعة، وقد رأينا أنَّ يَهْوَه يأمرهم بسرقة المصريين وقت الخروج، وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، فقد طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً، وأعطى الرّبّ نعمة للشّعب في عيون المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين. خروج 12/ 25 ـ 26/، فكيف يطلب يَهْوَه منهم أنْ لا يسرقوا، ويأمرهم بالسّرقة؟! ألم يتكلّموا باسم الإله باطلاً؟!

8 ـ لا تشهد على قريبك شهادة زور:

هذه الوصية الثّامنة، وأنا أعتقد أنَّ الوصية كانت (لا تشهد على أحد شهادة زور) لكنهم حَوَّرُوها، فجعلوها على قريبك، وكأنَّ شهادة الزّور على غير القريب تجوز، أهذه وصية إلهية؟!

9 ـ لا تَشْتَهِ بيت قريبك:

يمكن أنْ نلحق بها الوصية العاشرة أيضاً، وهما موقفان كما لاحظنا في الوصية الثّامنة.

هذا الفكر الذي ادعاه اليهود بأنّه فكر خلاق قد أعطانا وصايا لاأخلاقية، لأنّه لم يُنَفِّذ منها شيئاً دائماً، وإنما نفَّذها بشكل مقلوب، وقد جاءت في تثنية 5/ 1 ـ 22/. حتى إنَّ بعض الوصايا نقضها في مكان آخر، فقد أباح النّحت، وجعلوا الكروبيم وأقاموا السّواري، وعَبَدُوا آلهة أخرى، بل إنَّه نقض حساب الأبناء من أجل الآباء، وقد ناقشنا هذا سابقاً، أهذه الدّيانة هي ما ندعوها بالسّماوية؟ ولننظر إلى بعض الوصايا في الأديان الأخرى.

---

(1) للتوسّع كثيراً في المجازر اليهودية القديمة منذ بداية التوراة إلى الآن، يُراجَع كتاب المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، عبد المجيد همو، دار الأوائل، ط1، دمشق، 2003.

10 ـ الوصايا العشر البوذية:

1 ـ لا تقتلْ أحداً. 2 ـ لا تسرقْ، ولا تغتصبْ. لا تأخذْ ما لـم تُعطِ. 3 ـ لا تكـذبْ. 4 ـ لا تشربْ خمراً، ولا تتناولْ مُسْكِراً. 5 ـ لا تزنِ، ولا تخالف العفَّة. 6 ـ لا تأكلْ طعاماً نضج قبل أوانه. 7 ـ لا تتخذْ طبيباً، ولا تُكَلِّـلْ رأسـك بـالزّهر. 8 ـ لا ترقص، ولا تحضر مرقصاً، ولا حفل غناء. 9 ـ لا تقتنِ فراشـاً، ولا أرائِكَ فخمـة، ولا وسـائد، ولا حشـايا وثيرة. 10 ـ لا تأخذْ ذهباً أو فضة[1].

ب ـ وصايا أخلاقية:

«لا تضطهد الغريب ولا تضايقه، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر، لا تُسِئ إلـى أرملة مّا ولا يتيم، إنْ أسأتَ إليه فإنِّي إنْ صرخ إليَّ أسمع صراخه، فيحمى غضبـي وأقتلكـم بالسّيف، فتصير نساؤكم أرامل وأولادكم يتامى، إنْ أقرضتَ فضة لشعبي الفقير الـذي عنـدك فلا تكن له كالمرابي، لا تضعوا عليه رِباً، إنْ ارتهنتَ ثوبَ صاحبك فإلى غروب الشّمس تـردُّهُ له، لأنَّه وحده غطاؤه، هو ثوبه لجلده، في ماذا ينام؟ إذا صرخ إلي إنِّي أسمع، لأنـي رؤوف، لا تسبَّ اللهَ، ولا تلعن رئيساً في شعبكَ، لا تُؤَخِّر ملءَ بيدركَ وقطر معصرتـكَ، وأبكـار بنيـك تعطيني، كذلك تفعل ببقرك وغنمكَ، سبعة أيام يكون مع أمه، وفي اليوم الثاني تعطينـي إيـاه، وتكونون لي أناساً مُقدَّسين، ولحم فريسة في الصحراء لا تأكلوا، للكلاب تطرحونـه، لا تقبـل خبراً كاذباً، ولا تضع يدك مع المنافق لتكوِن شاهد ظلم، لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشَّـرِّ، ولا تُجِبْ في دعـوى مـائلاً وراء الكثيرين للتحريـف. لا تحـابِ مـع المسكين في دعـواه». خـروج 22/ 21 ـ 31 و 23/ 1 ـ 3.

«لا تُحرِّف حق فقيرك في دعـواه، ابتعـدْ عـن كـلام الكـذب، ولا تقتـل البـريءَ والبـارَّ، لأني لا أُبرِّر المذنـب، ولا تـأخذ رشـوة، لأنَّ الرّشـوة تُعمـي المُبصرين وتعـوّج كـلام الأبـرار، ولا تضايق الغريب فإنَّكم عارفون نفس الغريب، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر». خـروج 23/ 6 ـ 9.

---

(1) فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة، ص199.

وأعتقد أنَّ هذه الوصايا لا تحتاج إلى تعليق، لأنَّه لم يُطَبَّق فيها شيء على بساط الواقع، وما المجازر التي نراها في فلسطين الآن إلا التّطبيق الفذّ لهذه الوصايا، أما وصية الكذب، فحسبي أنْ أورد كلمة لصموئيل ديزرائيلي (اكذبْ، واكذبْ، واكذبْ، حتى تجد مَنْ يُصدِّقك) وفي هذا فصل الخطاب.

ج ـ الخطوة الأولى في تحريم الخمر:

« وكلَّمَ الرّبُّ هرونَ قائلاً: خمراً ومسكراً لا تشربْ أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع، لكي لا تموتوا، فرضاً دهرياً في أجيالكم، وللتّمييز بين المقدّس والمُحلّل بين النّجس والطّاهر، ولتعليم بني إسرائيل جميع الفرائض التي كلّمهم الرّبُّ بها بيد موسى ». لاويين 10/ 8 ـ 11/ .

أليس هذا النّص مشابهاً لقوله تعالى﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾[1]؟

لكنَّ النّص التّوراتي حُرِّفَ، فَجُعِلَ لهرون وأبنائه فقط، والأصل هو خطوة أولى لتحريم الخمر.

د ـ المحرَّمات من النّساء:

« لا يقترب إنسانٌ إلى قريب جسده ليكشف العورة، أنا الرّبُّ؛

1 ـ عورة أبيك وعورة أمك لا تكشف، إنَّها أُمُّكَ لا تكشف عورتها، عورة امرأة أبيك لا تكشف، إنَّها عورة أبيك.

2 ـ عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها.

3 ـ عورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك لا تكشف عورتها، إنَّها عورتك.

4 ـ عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها، إنَّها أختك.

---

(1) النّساء / 43/ .

5 ـ عورة أخت أبيك لا تكشف، إنَّها قريبة أبيك.

6 ـ عورة أخت أمك لا تكشف، إنَّها قريبة أمك.

7 ـ عورة أخي أبيك لا تكشف، إلى امرأته لا تقترب، إنَّها عمتُّكَ.

8 ـ عورة كنَّتك لا تكشف، إنَّها امرأة ابنك، لا تكشف عورتها.

9 ـ عورة امرأة أخيك لا تكشف، إنَّها عورة أخيك.

10 ـ عورة امرأة وبنتها لا تكشف، ولا تأخذ ابنة ابنها أو ابنة بنتها لتكشف عورتها، إنَّهما قريبتاها إنَّه رذيلة.

11 ـ ولا تأخذ امرأةً على أختها للضّرّ لتكشف عورتها معها في حياتها». لاويين 18/ 6 ـ 18/ .

هل نُفِّذَت هذه المحرمات والوصايا؟

1 ـ نُسب إلى يعقوب أنه تزوج الأختين راحيل وليئة.

2 ـ نُسب إلى إبراهيم أنه تزوج أخته سارة.

3 ـ نُسب إلى أمنون أنَّه أذلَّ أخته ثامار.

4 ـ نُسب إلى يهوذا أنَّه زنى في كنَّته.

5 ـ نُسب إلى أبشالوم أنَّه نكح زوجات أبيه.

6 ـ نُسب إلى رأُوبين أنَّه زنى من سرية أبيه.

7 ـ نُسب إلى عتنائيل بن قناز أنَّه تزوج ابنة أخيه.

8 ـ نُسب إلى أبيا أنَّه تزوج أمه.

إنَّه تطبيق جيد للوصايا.

هـ ـ وصايا تطلب لبني إسرائيل:

وهذه الوصايا الأجدر أنْ تكون عامة:

«1 ـ لا تسرقوا، ولا تكذبوا، ولا تغدروا أحدكم بصاحبه.

2 ـ ولا تحلفوا باسمي للكذب، فتدنِّس اسم إلهك، أنا الرّبُّ.

3 ـ لا تغصب قريبك، ولا تسلب.

4 ـ لا تَبِتْ أجرة أجيرٍ عندك إلى الغد.

5 ـ لا تشتم الأصمَّ وقدام الأعمى لا تجعل معثرةً، بل اخشَ إلهك، أنا الرّبُّ.

6 ـ لا ترتكبوا جوراً في القضاء.

7 ـ لا تأخذوا بوجه مسكينٍ، ولا تحترم وجه كبيرٍ، بالعدل تحكم لقريبك.

8 ـ لا تسعَ في الوشاية بين شعبك.

9 ـ لا تقف على دم قريبك، أنا الرّبُّ.

10 ـ لا تبغض أخاك في قلبك.

11 ـ إنذاراً تُنذر صاحبك، ولا تحمل لأجله خطيَّة.

12 ـ لا تنتقم، ولا تحقد على أبناء شعبك، بل تحبُّ قريبك كنفسك، أنا الرّبُّ.

13 ـ فرائضي تحفظون...

14 ـ ولا يكن عليك ثوبٌ مُصنَّفٌ من صنفين». لاويين 19/ 11 ـ 19/ .

وهذه الوصايا تبدو خاصة في معاملة بني إسرائيل لبعضهم، وحبذا لو كانت عامة، وقد رأينا تطبيق هذه الوصايا من خلال التّاريخ اليهودي للشّعوب الأخرى!!

و ـ وصايا حول الزّنى:

«1 ـ كُلُّ إنسان سَبَّ أباه أو أمه فإنَّه يُقتَلُ، قد سبَّ أباه أو أمه، دمه عليه.

2 ـ وإذا زنى رجلٌ مع امرأةٍ فإذا زنى مع امرأة قريبة فإنَّه يُقتَلُ الزّاني والزّانية.

3 ـ وإذا اضطجع رجلٌ مع امرأة أبيه، فقد كشف عورة أبيه، إنَّهما يُقتلان كلاهما، دمهما عليهما.

4 ـ وإذا اضطجع رجلٌ مع كنَّته فإنَّهما يُقتلان كلاهما، قد فعل فاحشةً، دمهما عليهما.

5 ـ وإذا اضطجع رجل مع ذكرٍ اضطجاع امرأة فقد فعل كلاهما رجساً، إنَّهما يُقتلان، دمهما عليهما.

6 ـ وإذا اتخذ رجلٌ امرأةً وأمَّها فذلك رذيلةٌ، بالنّار يحرقونه وإياهما، لكي لا يكون رذيلةٌ بينكم.

7 ـ وإذا جعل رجلٌ مضجعه مع بهيمةٍ فإنَّه يُقتَلُ والبهيمة تميتونها.

8 ـ وإذا اقتربت امرأةٌ إلى بهيمةٍ لنزائها تميت المرأة والبهيمة، إنَّهما يُقتَلان، دمهما عليهما.

9 ـ وإذا أخذ رجلٌ أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار، يُقطَعَان أمام أعين بني شعبهما، قد كشف عورة أخته، يحمل ذنبه.

10 ـ وإذا اضطجع رجلٌ مع امرأة طامث وكشف عورتها عرَّى ينبوعها، وكشفت هي ينبوع دمها، يُقطَعَان كلاهما من شعبهما.

11 ـ عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف، إنَّه قد عرَّى قريبته، يحملان ذنبهما.

12 ـ وإذا اضطجع رجلٌ مع امرأة عمِّه فقد كشف عورة عمِّه يحملان ذنبهما، يموتان عقيمَين.

13 ـ وإذا أخذ رجلٌ امرأةَ أخيه فذلك نجاسة، قد كشف عورة أخيه، يكونان عقيمَين».
لاويين 20/ 9 ـ 21/ .

هذا حكم الزّناة، ومَنْ يقرأ هذه الوصايا يظنُّ أنَّه اليهود قد طبَّقوها، وعلى هذا الأساس يكون إبراهيم، ويعقوب، ويهوذا، ورأُوبين، وداود، وأبيا بن معكه كلهم من الهلكى بحكم التّوراة وشهادتها.

أما الوجه الثّالث عشر فقد نهى عن زواج امرأة الأخ، وقد حثَّ عليه اليهود في مكان آخر، ولنتذكر زواج ثامار من عير وأونان وزناها بيهوذا لأنَّه لم يُزوِّجها من شِيلة. فكيف نحلُّ هذا التّناقض؟

ز ـ وصايا خاصة بالكهان:

« 1 ـ لا يتنجَّس أحد (الكهنة) منكم لميت في قومه، إلا لأقربائه الأقرب إليه أمه وأبيه وابنه وابنته وأخيه وأخته العذراء القريبة إليه التي لم تَصِرْ لرجل، لأجلها يتنجَّس، كزوج لا يتنجَّس بأهله لتدنيسه.

2 ـ لا يجعلوا قرعةً في رؤوسهم، ولا يحلقوا عوارض لحاهم، ولا يجرحوا جراحةً في أجسادهم.

3 ـ امرأة زانية أو مدنَّسة لا يأخذوا، ولا يأخذوا امرأةً مُطلَّقة من زوجها، لأنَّه مُقدَّسٌ لإلهه.

4 ـ وإذا تدنَّست ابنة كاهن بالزّنى فقد دنَّست أباها، بالنّار تُحرَق». لاويين 21/ 1 ـ 9/ .

ح ـ وصايا حول الأرض واليهودي الفقير:

1 ـ والأرض لا تُباع بتَّةً، لأنَّ لي الأرض وأنتم غرباءُ ونزلاءُ عندي، بل في كُلِّ أرض ملككم تجعلون فكاكاً للأرض.

2 ـ إذا افتقر أخوك فباع من ملكه يأتي وَلِيُّهُ الأقرب إليه ويفكُّ مبيع أخيه، ومَنْ لم يكن له وَليٌّ فإنْ نالت يده ووجد مقدار فكاكه، يحسب سني بيعه ويردُّ الفاضل للإنسان الذي باع له فيرجع إلى ملكه.

3 ـ وإنْ لم تَنَلْ يده كفايةً ليردَّ له يكون مبيعه في يد شاريه إلى سنة اليوبيل، ثم يخرج في اليوبيل فيرجع إلى ملكه.

4 ـ وإذا باع إنسان بيت سكَن في مدينة ذات سور فيكون فكاكه إلى تمام سنة بيعه، سنةً يكون فكاكه، وإنْ لم يُفَكَّ قبل أنْ تكمل له سنةٌ تامَّةٌ وجب البيت الذي في المدينة ذات السّور بتَّةً لشاريه في أجياله، لا يخرج في اليوبيل[1].

5 ـ وإذا افتقر أخوك عندك وبيعَ لك، فلا تستعبده استعباد عبدٍ.

---

(1) اليوبيل المقصود به هنا خمسون سنة.

6 ـ وإذا طالت يد غريبٍ أو نزيلٍ عندك ، وافتقر أخوك عنده وبيعَ للغريب المستوطن عندك أو لنسل عشيرة الغريبِ ، فبعد بيعه يكون لـه فكاكٌ ، يفكُّهُ واحد من أخوته ، أو يفكُّهُ عمه أو ابن عمه ، أو يفكُّهُ واحد من أقرباء جسده من عشيرته ، أو إذا نالت يده يفكُّ نفسه) . لاويين 25/ 23 ـ 49/ .

ط ـ وصايا مختلفة :

1 ـ إذا كان لرجلٍ امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبةُ والمكروهةُ ، فإنْ كان الابن البكر للمكروهة ، فيومَ يقسم لبنيه ما كان له لا يحلُّ له أنْ يُقدِّم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر ، بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كُلِّ ما يوجد عنده ، لأنَّه هو أول قدرته له حقّ البكورية .

2 ـ إذا كان لرجلٍ ابنٌ معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ، ويُؤدِّبانه فلا يسمع لهما ، يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته ، وإلى باب مكانه ، ويقولان لشيوخ مدينته : ابننا هذا معاندٌ ومارد لا يسمع لقولنا ، وهو مسرفٌ وسكِّير ، فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارةٍ حتى يموت ، فتنزع الشّر من بينكم ، ويسمع كل إسرائيل ويخافون .

3 ـ إذا كان على إنسان خطية حقُّها الموت فَقُتِلَ وعلَّقته على خشبةٍ ، فلا تَبِتْ جثته على الخشبة ، بل تدفنه في ذلك اليوم) . تثنية 21/ 15 ـ 23/ .

أما الوجهة الأولى فقد خُرقت هذه القاعدة عدة مرات :

1 ـ إسماعيل وإسحق ؛ فقد حُذف حقّ البكورية ـ حسب رأي التّوراة ـ وأعطى إسحق ذلك الحقّ بناء على أوامر أمه سارة .

2 ـ نقل حقّ البكورية من عيسو إلى يعقوب لأنَّ الأم تكره عيسو .

3 ـ نقل حقّ البكورية من أدونيًا بن داود وأمه حجيت إلى سليمان بن بتشبع .

4 ـ نقل حقّ البكورية إلى أبيا بن أرحبعام ، وصار ملكاً ، وهو العاشر من أخوته . « وأحبَّ رحبعام معكة بنت أبشالوم أكثر من جميع نسائه وسراريه ، لأنَّه اتخذ ثماني عشرة امرأة وستين سرية وولد ثمانية وعشرين ابناً وستين ابنة ، وأقام رحبعام أبيا بن معكة رأساً

وقائداً بين أخوته لكي يملكه». أخبار الأيام الثّاني 11/ 21 ـ 22/ . والبكر يعوش وأمـه محلة بنت بريموت بن داود.

ولن أتابع هذا، فالأمر أكثر من خرق للبكورية.

لم تحدثنا التّوراة عن قتل ابن معاند في إسـرائيل، ومعنـى هـذا أنَّ الوصيـة لـم تُطبَّق على الإطلاق، ولو طُبِّقت لتكلَّموا عنها، فقط تكلَّموا عن رجل سَبَّ الإلـه، ورجـل احتطـبَ يـوم سبت، ورجل خان الحرام.



الفصل الرّابع

الإيمان باليوم الآخر

لا أعتقد أنَّ ديانة من السّماء إلا وعدت بالآخرة، وكذلك وُجدت ديانات أرضية وضعت الثّواب والعقاب والآخرة تعويضاً لما يصيب الإنسان من ظلم في هذه الحياة الدّنيا.

وأعتقد تمام الاعتقاد أنَّ ديانة موسى ـ عليه السّلام ـ لم تخلُ من وجود الآخرة والثّواب والعقاب، لكنَّ عزرا ونحميا حينما شكَّلا الدّيانة اليهودية حرماها من وجود الآخرة، واعتمدا العقوبة الحياتية والثّواب الحياتي، ولا ذكر للآخرة في الأسفار الخمسة.

ولو رجعنا إلى الوصايا والوصية الرّابعة بالذات أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرّبّ إلهك. فالثّواب هنا أرضي خالص، وسأنقل بعض آراء الأديان الأخرى حول هذا الإيمان:

ـ الدّيانة المصرية وخاصة ديانة أخناتون والتي يرى الكثير من العلماء أنَّ موسى قد قلَّدها، وكان أحد أتباعها، وهذه الدّيانة ترى أسباب الاعتقاد بالآخرة:

1ـ الحياة الدّنيا حلبة صراع بين المتناقضات، وكثيراً ما ينتصر الشّرُّ على الخير، وهذا مخالف لناموس الحياة، لهذا؛ لابُدَّ من حياة أخرى ينتصر فيها الخير على الشّرِّ.

2ـ اعتقادهم أنَّ النّفس الإنسانية تنفصل عن الجسم، وستعود إليه من جديد، فيشعر الحياة من جديد.

أما ديانة مصر القديمة قبل أخناتون، فكان أوزيريس إله القيامة ورمز الخلود وربّ الموتى، وديَّانهم وأملهم. ظهر في عهد السّلالة الثّامنة عشرة، فكان نداً لرع، ثم نسبت إليه صفات الله

ثم صفات الآلهة جميعها، وكانت تنسب إليه صفات خارقة، وفي عهد السّلالة الثّانية عشر حوالي / 2500/ ق . م ، أصبح إلهاً كونياً، ثم إلهاً قومياً)[1] .

وكانت ديانة أخناتون ديانة تؤمن بالحساب والآخرة .

أما الدّيانة البابلية فقد آمنت بحياة وراء القبر، ولم تكن فكرة الثّواب والعقاب ويوم الحساب واضحة، فقد كان البابليون يعتقدون أنَّ روح الإنسان بعد الموت تنفذ من القبر، وتنزل إلى العالم السّفلي أرولو وهو مدينة كبيرة مهجورة يلفُّها الظّلام، يعيش فيها الموتى حياة حزينة، يأكلون التّراب، ويشربون المياه القذرة، ولا يمكن التّخفيف من هذا البلاء إلا بالقرابين التي يُقدِّمها أصدقاء الميت وأقرباؤه الأحياء .

أما الأخيار من البشر فتصعد أرواحهم إلى السّماء لتلاقي الآلهة، فمصيرهم الاستقرار والخلود الذي تهبهم إياه الآلهة وتباركهم[2] .

وبهذا؛ لم تكن الدّيانة البابلية ديانة تؤمن بالحساب بالمعنى المعروف في بقية الدّيانات الأخرى .

أما في الدّيانة الفارسية فقد جاء في كتاب الأزفستا ببعث الموتى، وتعود الحياة إلى الأجسام، وتتردَّدُ فيها الأنفاس، ويخلو العالم المادي له إلى الأبد من الشّيخوخة والموت والفساد والانحلال. لقد آمن زرادشت بالبعث ويوم الآخرة والحساب للإنسان، إنْ كان عمله سيئاً نال سوءاً، وإنْ كان خيراً نال خيراً، وكذلك آمنت الدّيانة المانوية بالحساب بعد الموت، كما آمنت بالثّواب والعقاب، لكل فرد حسب قوله أو فعله، ويقول ماني: إنَّ هناك ثلاث طرق لحساب النّاس؛ أحدها إلى الجنان، وهم الصِّدِّيقون، ثانيها الإنسان المحارب القابل للدّين والبر، الحافظ لهما من الصِّدِّيقين، وثالثهما الإنسان الأثيم المستعلي عليه الحرص والشّهوة، فيُلقى به في جهنم[3] .

---

(1) محمد حميد فوزي، عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة، ص86 .

(2) محمد حميد فوزي، عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة، ص117 .

(3) محمد حميد فوزي، عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة، ص277 .

أما اليهودية فقد حاولتُ عبثاً أنْ أفتش في التّوراة عن ذكر للآخرة فلم أجد فيها ذكراً للآخرة على الإطلاق، وكان إذا مات أحدهم، وكان كَتَبَةُ التّوراة عنه راضين يكتبون (واضطجع مع آبائه بسلام)، أما إذا لم يكونوا راضين عنه فكانوا يقولون: وانحدرت شيبته إلى الهاوية.

(وإنَّ التّوراة اليهودية المكتوبة والتّلمود المنطوق لا يوجد فيهما ذكر للحياة الآخرة ويوم البعث ويوم الحساب، ولا يذكران عن الرّوح شيئاً بخلاف التّوراة المنزلة، فالدِّين اليهودي بعيد عن الرّوحانيات، لأنَّ حياتهم تقوم على المادة وحبّ التّملُّك.

وورد في التّلمود: إنَّ اليهود الذين يرتدُّون عن دينهم بقتلهم يهودياً آخر لا يدخلون الجنة، وإنَّما تدخل أرواحهم في الحيوانات والنّباتات، ثم تذهب إلى الجحيم، ثم تُعذَّب عذاباً أليماً مدة اثني عشر شهراً، ثم تعود ثانية لتدخل في الجمادات، ثم في الحيوانات، ثم في الوثنيين، ثم ترجع إلى جسد يهودي بعد تطهيرها.

فهم يعتقدون بمبدأ تناسخ الأرواح والتّقمص، كما يعتقد الهندوس في الهند، ووجه الشّبه بينهما قريب؛ فذكر الجنة والنّار في التّلمود أقرب إلى الخرافة والأساطير)[1].

ويقول ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة: إنَّ اليهود قلما كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء من الخلود، وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدّنيا.

وقد آمنت بعض فِرَق اليهودية بالحياة بعد الموت، والفريسيون هم الوحيدون الذين يعتقدون بالحياة بعد الموت للصّالحين فقط من البشر، ليشتركوا مع المسيح القادم في إنقاذ النّاس وإدخالهم في دين موسى[2].

ويرى مرسيا إلياد أنَّ يوم الدَّينونة الذي ذُكر في التّوراة (إنَّ نهاية العالم في الرّؤى اليهودية معلنة بعدد من الكوارث الأرضية والظّواهر الكونية الشّاذة، ستضيء الشّمس أثناء الليل، والقمر أثناء النّهار، وسيجري الدّم في الأنهار، و تخرج النّجوم من محاجرها، وستقصر

(1) محمد حميد فوزي، عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة، ص347.

(2) محمد حميد فوزي، عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة، ص349.

السّنة، وسيتقاتل البشر، ويميت بعضهم بعضاً، وسيكون هناك جدب ومجاعة، وكالتّقليد الإيراني لنهاية العالم سيكون هناك دينونة شاملة، إذن؛ بعث للأموات)[1] .

ولكني لا أرى هذا، فليس هناك بعث للأموات حسب الدّيانة اليهودية، وإنّما هناك إدانة لكل البشر، ولن يبقى فوق الأرض إلا اليهود فقط، الذين يؤمنون بيَهْوَه، ولعل السِّفر الوحيد الذي أشار إلى بعث الأموات هو سفر أشعيا (أمواتك سيحييون وأشلاؤهم ستُبعث).

غير أنَّه من الصّعب تحديد تاريخ هذا المقطع، وأول مرجع لا جدال فيه، ومن الرّاجح أنَّ ذلك يتعلَّق بتأثير إيراني، إلا أنَّه يجب أنْ يؤخذ في الحسبان أيضاً مفاهيم العصور الحجرية الشّرقية لآلهة الزّراعة، إنَّ مذهب البعث سيكون مُعلَناً باستمرار في الأدب الرّؤي؛ يوشع 51/ 16/ و 52/ 61 ـ 62/ ، والرّؤيا السّريانية لباروخ ومن قبل الفريسيين، وقد كان مقبولاً منذ تنبؤ المسيح بشكل عام باستثناء الصّدوقيين، أما بالنّسبة للدّينونة الأخيرة فإنَّ دانيال 5/ 9 ـ 14/ يصفها منطوية بحضور قديم.

وفي حلم هوشع الذّهولي رأى الرّبّ بوضوح جالساً على العرش، ورأى الكتب المختومة، وحضر محاكمة الملائكة المتساقطين والعصاة المذنبين بأنْ يُقذف بهم في مغارة متقدة / 9 ـ 20/ ، وتعاود صورة العليّ الأعلى ظهورها على عرش الدَّينونة، يُعيد المحاكمة، يُمحى الشّر للأبد، وسيُهزم الفساد، إنَّ مفهوم الدَّينونة الأخروية بالنّار هي على الأرجح من أصل إيراني[2] .

ويتساءل النّاس هل التّصوُّر اليهودي ليَهْوَه الذي ورد في التّوراة على هذه الصّورة الغريبة أناس مؤمنون بالألوهية حقاً؟! أم ترى كان يَهْوَه وظَلَّ فيما يخصهم سلاحاً في أيدي كَهَنَتِهِم وأنبيائهم وقادتهم للسّيطرة على الشّعب وتحقيق مآرب أرضية لا علاقة لها بالسّماء أو الصّلاح؟!

وتوقف سبينوزا عند سؤال ما الذي يبقى من اليهودية في غيبة السّماء والصّلاح؟

---

(1) مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات الدِّينية، ص293.

(2) مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات الدِّينية، ص294.

ويبدو أنَّ اسبينوزا استفظع الجواب عليه، فحاول التّهرُّب من المواجهة بقوله: إنَّه يجب فوق كل شيء، وقبل أنْ نفطن إلى أنَّ كُلَّ هذه المهاوي الغائرة التي يتعثر عندها العقل نجمت عن الانصياع لحكم الضّرورة الذي أملى تكييف النّصوص كيما تتواءم مع مستوى ذكاء الجماهير اليهودية العريضة.

وكان اسبينوزا ـ وهو يقول بهذا المخرج من الورطة ـ واقعاً في مأزق مخيف مع كَهَنَة ديانته، انتهى به إلى الخروج من تلك الدّيانة، بعد أنْ حاول كَهَنَتُهَا رشوته، ثم حاولوا اغتياله ليسكت.

وبطبيعة الحال كان بالوسع تَقَبُّل المخرج الذي حاول اسبينوزا إيجاده لولا:

1 ـ الادعاء الرّاسخ أنَّ الأسفار الخمسة التي شَكَّلَتْ جوهر الدّيانة والرّكيزة الأساسية للعقيدة التي أُنزلت على موسى، وهو ادعاء وجد اسبينوزا أنَّه لم يكن مستطيعاً التّسليم بصحته.

2 ـ إنَّ المحصلة النّهائية لذلك التّكليف للنّصوص كيما تتواءم مع مستوى الذّكاء للجماهير اليهودية العريضة جَرَّدَ الدّيانة من ركيزتها الأخلاقية التي لا وجود لأية ديانة بدونها، من خلال تجريده للمعبود من صفته السّماوية العلوية التي تجعله إلهاً لكل البشر، لا لتلك الجماهير اليهودية وحدها في تصادمها ـ تحت وطأة طموحات كَهَنَتِهَا ـ مع كُلِّ مَنْ لم يكن يهودياً[1].

والذي يؤكد أنْ لا علاقة لليهودية بيوم بعث وعدم الإيمان بالآخرة العامل الدّنيوي المادي المتعلّق بالثّروة، فالثّواب والعقاب في اليهودية ـ وهي ديانة مجردة من البعد الأخروي ـ لم تَعِدْ أتباعها في كُتُبها المقدسة ببعث أو نشور، وإنَّما انحصر في المكافأة المادية على الأرض والعقاب الدّنيوي على النّحو الذي يُوَضِّحه سفر التّثنية ومُحَرِّرُه بجلاء بالغ، واسمع نصَّ سفر التّثنية، وسأنقله بحرفيته، ليكون دليلاً وشاهداً على ذلك. «وإنْ سمعتَ سمعاً لصوت الرّبّ إلهك لتحرصَ أنْ تعمل بجميع وصاياهُ التي أنا أوصيكَ بها اليوم، يجعلكَ الرّبُّ إلهك مستعلياً على جميع قبائل الأرض، وتأتي عليكَ جميع هذه البركات، وتدركُكَ إذا سمعتَ لصوت الرّبِّ

(1) مقار شفيق، السّحر في التّوراة، ص541.

إلهك، مباركاً تكون في المدينة، ومباركاً تكـون في الحقـل، ومباركـة تكـون ثمـرة بطنـك وثمـرة أرضك وثمرة بهائمك، نتاج بقـرك وإنـاث غنمـك، مباركـة تكـون سـلّتك ومعجنـك، مباركاً تكون في دخولك، ومباركاً تكون في خروجكَ، يجعل الرّبُّ أعداءك القـائمين عليـك منـهزمين أمامك، في طريق واحدة يخرجـون عليكَ، وفي سبـع طـرق يـهربون أمـامك، يـأمر لـك الـرّبُّ بالبركة في خزائنكَ، وفي كُلِّ ما تمتدُّ إليه يدكَ، ويباركك في الأرض التي يعطيـك الـرّبُّ إلـهك، يقيمكَ الرّبُّ لنفسه شعباً مقدساً كمـا حلفَ لـك إذا حفظـتَ وصايـا الـرّبِّ إلـهك وسـلكتَ في طُرُقه، فيرى جميع شعوب الأرض أنَّ اسم الرّبِّ قد سُمِّيَ عليـك، ويخـافون منـكَ، ويزيـدك الرّبُّ خيراً في ثمرة بطنك وثمرة بهائمك وثمرة أرضك على الأرض التي حلـف الـرّبُّ لآبـائك أنْ يعطيكَ، يفتح لك الرّبُّ كنزه الصّالح السّماءَ، ليعطي مطر أرضـك في حينـه، وليبـارك كُلَّ عمل يدك فتقرض أممـاً كثيرة، وأنـت لا تقـترض، ويجعلـك الـرّبُّ رأسـاً لا ذنبـاً، وتكـون في الارتفاع ولا تكون في الانحطاط »[1].

والملاحظ هنا أنَّ الثّواب كله أرضي، ولا حاجة إلى أنْ نُعـدِّدَه، فقـد عَـدَّدَه سـفر التّثنيـة، أما إذا لم يسمع اليهودي لصوت الرّبّ ووصاياه « تأتي عليك جميع هذه اللعنات، وتدركك، ملعوناً تكون في المدينـة، وملعونـاً تكون في الحقـل، ملعونـةً تكـون سـلّتكَ ومعجنـكَ، ملعونـة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك نتاج بقرك وإناث غنمـك، ملعونـاً تكـون في دخولـك وملعونـاً تكون في خروجك، يرسل الرّبُّ عليك اللعـن والاضطـراب والزّجـر في كُـلِّ مـا تمتـدُّ إليـه يـدك لتعمله حتى تهلك، وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذا تركتني، يُلصِقُ بك الرّبُّ الوبأ حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها، يضربـك الـرّبُّ بالسِّلِّ والحمـى والـبُرَداء والالتهاب والجفاف واللفح والذّبول، فتتّبعكَ حتى تفنيك، وتكون سماؤك التي فـوق رأسـك نحاساً والأرض التي تحتك حديداً، ويجعل الرّبُّ مطـر أرضـك غبـاراً وترابـاً يُـنزل عليـك مـن السّماء حتى تهلك، يجعلك الرّبُّ منهزماً أمام أعدائك، في طريق واحـدة تخـرج عليـهم، وفي سبع طُرُق تهرب أمامهم، وتكون قَلَقاً في جميع ممـالك الأرض، وتكـون جثّتكَ طعامـاً لجميـع طيور السّماء ووحوش الأرض، وليَس مَنْ يزعجها، يضربـك الـربُّ بقرحـة مصـر وبالبواسـير

---

(1) تثنية 28/ 1 ـ 13/ .

والجرب والحكّة حتى لا تستطيع الشّفاء، يضربك الرّبُّ بجنون وعمىً وحيرة قلب، فتتلمّس في الظّهر كما يتلمّس الأعمى في الظلام، ولا تنجح في طُرُقكَ، بل لا تكون إلّا مظلوماً مغصوباً كُلَّ الأيام وليس مخلّص.

تخطب امرأةً ورجلٌ آخر يضطجع معها، تبني بيتاً ولا تسكن فيه، تغرس كرماً ولا تستغلُّه، يُذبَح ثورك أمام عينيك ولا تأكل منه، يُغتَصب حمارك من أمام وجهك ولا يرجع إليك، تُدفَعُ غنمك إلى أعدائك وليس لك مخلّص، يُسلَّم بنوك وبناتك لشعب آخر وعيناك تنظران إليهم طول النّهار فَتَكِلاَّن، وليس في يدك طائلةٌ، ثمر أرضك وكُلُّ تعبك يأكله شعبٌ لا تعرفه، فلا تكون إلا مظلوماً ومسحوقاً كُلّ الأيام»[1].

وتتوالى العقوبات الأرضية حتى نهاية الإصحاح والبالغ / 68/ آية.

ولا ذكر في هذه العقوبات والثّواب لجنة أو نار أو حياة آخرة.

ويُعلّق ليوتاكسل على سفر التّثنية في هذا الإصحاح بقوله: إنَّ ما يلفتُ الانتباه في هذه العقوبات أنَّها كلها جسدية، ليس فيها عقوبة روحية واحدة، الأمر الذي لا يتوافق مع عقوبات الكنيسة المسيحية.

هذا ما تجدر الإشارة إليه، إضافة إلى أنَّ العهد القديم لا يأتي على ذكر جهنم أو المطهر في أيّ فصل من فصوله، ونحن رأينا منذ قليل أنَّ يَهْوَه اهتمَّ بأمكنة تُبرز جنده، ولكنه لم يهتم بأرواحهم قط، ففي أيّ سفر من أسفار التّوراة لا تقع على تعبير خلود الرّوح، ومما يذكر هنا أنَّ المسيحيين أخذوا ديانتهم من هذه الأسفار نفسها[2].

ويؤكد محمد محلا أنَّ سفر التّكوين لا يعير اهتماماً لمسالة الخلود والحياة الأبدية، أو السّمو بالإنسان إلى مجال روحي رحب، وكُلُّ ما فيه سر وإخبار قبيلة أضناها التّشرد

---

(1) تثنية 28/ 15 ـ 34/ .

(2) ليوتاكسيل، التّوراة، ص207.

وأنهكها التّبدي والتّرحال حتى صار استيطانها في أرض أملاً ضارياً يلهب كيان أفرادهـا بسـوط مسعور، من هنا كان ابتداعها للوعد الإلهي لتُبرِّرَ به استيلاءها على أرض الآخرين[1].

وأضيف إلى رأي الكاتب محمد محلا بأنَّ أسفار التّوراة الخمسـة قد خلت من أيّ ذكر للرّوح والحياة الآخرة، أو قيامة النّاس، أو البعث والنّشور، وكُلُّ ما وُجد من العقوبات فهي دنيوية أرضية.

أما عن الرّؤى وأسفارها، والتي شمَّ منها الباحثون ذكر الجنة والنّار والآخرة كعاموس وحزقيال وما شابههما، فإنَّها ليست رؤى ليوم القيامة كما يتوهَّمـها بعض النّاس، وإنَّما هي رؤى لانبعاث اليهود (شعب يَهْوَه المختار) وعودتهم إلى أرض فلسطين، وليست بعثاً للأمم ودينونة لَمنْ أساء، وعقاباً في جهنم ومكافأة لَمنْ أحسن، وجنة عرضها السّموات والأرض.

إنَّها رؤى لعودة الشّعب المختار ولتفوقه ولمحو الأمم من ظهر الأرض، ولن يبقى في الحياة إلا هُمْ، هكذا يتوهَّمون.

أما الهاوية التي ورد ذكرها في العديد من الأسفار وخاصة في المزامير فهي ليست إلا مأخوذة من شيؤل الجب الذي توضع فيه أرواح الموتى، والفكرة مأخوذة من التّراث البابلي.

وأكثر الأسفار وروداً لكلمة الهاوية سفر المزامير 9/ 17 و 16/ 10 و 30/ 3 «قد رأيتُ الشّرير عاتياً وارفاً مثل شجرة شارفة ناضرة، عَبَرَ فإذا هو ليس بموجود، والتمستُهُ فلم يُوجَد... أما الأشرار فَيُبادون جميعاً، عَقِب الأشرار ينقطع» 37/ 35 - 38 والعقوبة هنا كما نلحظ أرضية، وكذلك ثواب الجيدين ثواب أرضي، «الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطي اللهُ كفارةً عنه، وكريمة هي فدية نفوسهم فَغَلِقَتْ إلى الدّهر، حتى يحيا إلى الأبد فلا يرى القبر». 49/ 7 - 9/ .

ولا أدري لماذا لم يُعَمِّرْ أحدٌ من اليهود كما عَمَّرَ نوح، بل كان عمرهم كلهم دون المئة، مما يدلُّ على أنَّهم كانوا مسيئين، فلم تطلْ مُدَّتهم على الأرض، عودة إلى الهاوية 49/ 14 -

---

(1) محلا محمد، الخرافة التّوراتية، ص34.

15/ وقد ورد جبّ الهلاك بديلاً من الهاوية، «ألْقِ على الرّبِّ همَّك فهو يعولك، لا يدع الصّديق يتزعزع إلى الأبد، وأنت يا الله تُحَدِّرهم إلى جبّ الهلاك، رجال الدّماء والغش لا يَنصفُون أيامهم، أما أنا فَأَتَّكِل عليك». 55/ 22 ـ 23/ .

ومزمور 89/ 48، وحتى الأمثال لم تخلُ من الهاوية 9/ 18 .

وهذه الهاوية هي المكان الذي تذهب إليه أرواح الموتى من المسيئين دون أنْ تشير التّوراة إلى العذاب الذي سيلاقيه هؤلاء.

الخاتمة

أردتُ من كتابي أنْ يكون واسعاً، يخوض موضوعات عديدة بالإضافة إلى هذه الموضوعات التي طرحتُهَا، ولكني لم أستطع خوفاً من الإطالة، وسأناقش الموضوعات الأخرى في كتب ثانية.

لقد جلت في هذا الكتاب ضمن موضوعات عديدة:

1 ـ الموضوع الأول: تاريخ تدوين أسفار التّوراة، ورأينا بالإجمال أنّ هذه الكتب لم تُسجَّل لا في عهد موسى ولا في عهد سليمان أو داود، و إنَّما سُجِّلت في زمن عزرا، ووضعتُ كُلَّ سفر من الأسفار وتاريخ تدوينه، ورأينا كيف لعبت الأهواء أثناء تسجيلها، وكيف تلاقفوها أيام عزرا وما بعده.

2 ـ الموضوع الثّاني: القيم الخلقية عند مَنْ يُسمّونهم بالآباء، وناقشنا في هذا الموضوع إبراهيم، إسحق، يعقوب، يهوذا، موسى، داود، سليمان، رأُوبين، وشخصيات أخرى، ورأينا كيف أساء اليهود إلى هذه الشّخصيات أكثر مما وصفتهم على حقيقتهم، أو قل إنَّهم وصفوهم كما أرادوا لا كما هُمْ.

3 ـ موضوع العقيدة اليهودية: وناقشنا عدم إيمانهم بإله واحد، فقد كان لهم آلهة عديدون؛ إيل، يَهْوَه، البعل، الحيَّة، الحجارة، عشتر، الأصنام في بعض الأحيان، وظلَّت هذه العبادة المتعددة حتى الآن، أما يَهْوَه فقد صاغوه مثالاً لليهودي الجشع السَّفاك الحاقد على البشرية، كما ناقشنا أركان الإيمان؛ الملائكة والرّسل، الكتب المقدسة، وأتينا إلى الطّقوس، فناقشنا العبادات من صوم وصلاة وحج وزكاة، ولقد برهنَّا أنَّه كان لليهود صوم عن الطّعام كما للمسلمين بالضّبط، إلا أنَّه في الفترة الأخيرة غُيِّرَ إلى صوم الكلام، ثم ناقشنا المعاملات بين الأفراد وخاصة الأسرة والزّواج والطّلاق وتعدُّد الزّوجات وحقوق المرأة والأولاد.

4 ـ ومررنا بالأعياد، فرأينا أن الأعياد منقولة عن الأمم السّابقة، وأنّه لا عيد خاص بهم، كما ناقشنا الأضاحي وسفك الدّماء.

5 ـ وانتقلنا بعدها إلى الإيمان بالمسيح المخلّص.

6 ـ وبعد أنْ ناقشنا قصة المسيح المخلّص، وكيف أتت من الدّيانة الفارسية، انتقلنا إلى الوصايا، فرأينا أنَّها وصايا نُسبت لموسى، وفَنَّدناها، وبيّنّا أن هناك وصايا أخلاقية عامة ووصايا خاصة لبني إسرائيل.

7 ـ وأوردتُ النّقطة الأخيرة في هذا الباب، الإيمان باليوم الآخر، وقد أفردتُ له فصلاً خاصاً، لأنَّ اليهودية لا تؤمن بوجود البعث، وقالوا: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾، ثم ناقشتُ الثّواب والعقاب عندهم، فرأيتُ أنهما دنيويان أرضيان ماديان، فإنْ وُفِّقتُ في عرض أفكاري كان قصدي، وإنْ لم أوفق فعذري قلّة المراجع التي تناقش هذه القضايا.

والله من وراء القصد

عبد المجيد همو

المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم.

2 ـ العثماني الهندي رحمة الله بن خليل، إظهار الحق.

3 ـ الأب شربنتيه اصطفان، دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، دار المشرق، ط2، 1986.

3 ـ دروزه محمد عزة، تاريخ موجبات الجنس العربي، بيروت، الطّبعة الأولى في بلاد الشّام.

5 ـ زياد منى، جغرافية العهد القديم، دار الرّيس، الطّبعة الأولى.

6 ـ لانجري وليم وآخرون، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة، النّهضة المصرية.

7 ـ الشّرقاوي محمد عبد الله، مقارنات في الأديان، دار الجيل، بيروت، 1990.

8 ـ اسبينوزا، الرّسالة.

9 ـ الكتاب المقدس، الطّبعة اليسوعية، سنة 1986.

10 ـ ول ديورانت، قصة الحضارة، طبعة الجامعة العربية.

11 ـ داود أحمد، تاريخ سورية العام، الطّبعة الأولى، 1975، دمشق.

12 ـ لوبون غوستاف، اليهود في تاريخ الحضارات القديمة، الحلبي، القاهرة، 1970، ترجمة عادل زعيتر.

13 ـ ديب سهيل، التّوراة تاريخها وغاياتها.

14 ـ كنعان جورجي، تاريخ يَهْوَه، الدّار العربية للعلوم، دمشق، 1994.

15 ـ كنعان جورجي، تاريخ الله، الدّار العربية للعلوم، دمشق، 1990.

16 ـ كنعان جورجي، الوثيقة الصّهيونية في العهد القديم، دار النّهار، ط3، **1989**.

17 ـ البار محمد علي، المدخل لدراسة التّوراة، دمشق، دار القلم، **1990**.

18 ـ ليوتاكسل، التّوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير؟ **1994**.

19 ـ الكتاب المقدس، الطّبعة البروتستنتية، عام **1970**.

20 ـ الإمام أبو محمد ابن حزم، الفصل في الملل والنّحل، طبعة دار المثنى، بغداد.

21 ـ طعيمة صابر عبد الرّحمن، اليهود بين الدِّين والتّاريخ، شركة الطّباعة الفنية المتحدة، **1972**.

22 ـ حدة حسن، موسى والتّوراة، المكتب العربي، **1994**.

23 ـ ميرزا الأميركي فيليب فان نس، التّاريخ العام.

24 ـ سيغموند فرويد، موسى والتّوحيد، طبعة ثانية، **1978**.

25 ـ عبد المسيح جورج متري، فكرنا الدِّيني بين التّعريف والتّحريف، **1974**.

26 ـ حسنين علي فؤاد، اليهودية واليهودية المسيحية، الجامعة العربية، **1968**.

27 ـ جرجس صبري، التّراث اليهودي الصّهيوني، القاهرة، الطّبعة الأولى.

28 ـ هامرتين أجون، تاريخ العالم.

29 ـ بارندز جفري، المعتقدات الدِّينية لدى الشّعوب، عالم المعرفة، الكويت.

30 ـ محمد حميد فوزي، عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة، دار حطين، **1993**.

31 ـ باركلي وليم، تفسير العهد الجديد، بولاق، القاهرة، **1977**.

32 ـ ظاظا حسن، الفكر الدِّيني اليهودي أطواره ومذاهبه، ط3، **1995**.

33 ـ قطب السّيد، في ظلال القرآن، دار الشّروق، **1973**.

34 ـ الرّيس رياض، المسيحية والتّوراة، الطّبعة الأولى، **1992**.

35 ـ أوزوبل، اليهود.

36 ـ إلياد مرسيا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدِّينية.

37 ـ مقار شفيق ، السّحر في التّوراة ، دار يعرب ، 1995 .

38 ـ مقار شفيق ، الجنس في التّوراة وسائر العهد القديم ، دار يعرب ، 1998 .

39 ـ محلا محمد ، الخرافة التّوراتية .

40 ـ همو عبد المجيد ، هاجر بين الحرية والعبودية ، 1994 .

41 ـ همو عبد المجيد ، بابل ولصوص اليهود ، 1996 .

42 ـ همو عبد المجيد ، التّوراة تحريف وتزوير ، 1998 .

43 ـ أحمد سوسة ، العرب واليهود في التّاريخ ، دار العربي ، 1975 .

44 ـ همو عبد المجيد ، مصادر التّوراة ، 2000 .

من إصدارات دار الأوائل للباحث عبد المجيد همو

1 ـ ما بين موسى وعزرا، كيف نشأت اليهودية؟
2 ـ اليهودية بعد عزرا، وكيف أُقِرَّتْ.
3 ـ مفاهيم تلمودية نظرة اليهود إلى العالم.
4 ـ الفِرَق والمذاهب اليهودية منذ البدايات.
5 ـ اللّه أم يَهْوَه؟ أيهما إله اليهود؟
6 ـ الماسونية والمنظمات السرية ـ ماذا فعلت؟ ومن خدمت؟

من إصدارات دار الأوائل

1 ـ المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات ـ ديب علي حسن.
2 ـ مائير كاهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي ـ رفائيل ميرجي وفيليب سيمون ـ ترجمة: عائدة عم علي.
3 ـ نقد الدِّين اليهودي ـ جميل خرطبيل.
4 ـ مصير إسرائيل في النبوءات ـ محمد عرب.
5 ـ الحقيقة بين النبوءة والسياسة ـ التوراة ـ الأناجيل ـ القرآن ـ نوسترادااموس ـ محمد نضال الحافظ.
6 ـ السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة ـ د. جمال البدري.
7 ـ مثلث الدم شارون ـ أمس ـ اليوم ـ غداً ـ د. جمال البدري.
8 ـ مناهضة السامية تاريخها وأسبابها ـ بيرنار دى لازال، تر: د. ماري شهرستان.
9 ـ اليهودية والأغيار ـ ألبيرتو دى انزول، تر: د. ماري شهرستان.
10 ـ الخديعة الكبرى هل اليهود حقاً شعب الله المختار؟ د. محمد جمال طحان.
11 ـ العبادات في الأديان السماوية اليهودية المسيحية الإسلام ـ عبد الرزاق الموحي.
12 ـ أمريكا ـ إسرائيل و 11 أيلول 2001 ـ ديفيد ديوك ـ ترجمة: سعد رستم.
13 ـ الولايات المتحدة الأمريكية من الخيمة إلى الإمبراطورية ـ إعداد: ديب علي حسن.
مراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي.
14 ـ إسرائيل والعرب حرب الخمسين عاماً. أهرون بريغمان ـ جيهان الطهري ـ ترجمة: سالم سليمان العيسى.
مراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي.
15 ـ أساطير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية C.I.A، فيليب آجي، تر: حمدي الصاحب.
16 ـ مخيم جنين من النكبة إلى الانتفاضة ـ علي بدوان.
17 ـ الفرَق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام ـ نهاد خياطة.
18 ـ المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم اليونان ـ سورية ـ مصر. دانييل. أ. باسوك ـ ترجمة: سعد رستم.
19 ـ التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسَيْن بولس ويوحنا ـ سعد رستم.

من منشورات

الأوائل

للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية

❖ **استراتيجية الأمن المائي العربي، دراسة في الهيدروجغراسيا العربية والهيدروأوسطية، تأليف : أ.د.إبراهيم أحمد سعيد ط1 2002 قياس24/17 عدد الصفحات 288.**

يعد كتاب استراتيجية الأمن المائي العربي من أهم الكتب التي تُضاف إلى مكتبتنا العربية، كونه يعالج بالدراسة والبحث مشكلات استثمار وتنمية الموارد المائية العربية وفق منهج علمي سلس ومبسّط. ويطرح قضايا استراتيجية مائية ملحة تمس الأمن القومي العربي، ويبيّن الخلفية المائية للمشروع الاستيطاني الصهيوني، ودور المياه في الجيوبولتيك الإسرائيلي سواء في المناطق المحيطة بفلسطين أم في منابع المياه العربية الاستراتيجية (الفرات والنيل). وتأتي أهمية الكتاب متميزة للاعتبارين الآتيين: التأكيد على المشاريع المائية العربية ـ العربية من جهة والعربية مع الدول المجاورة من جهة أخرى، مستبعدة الكيان الصهيوني من تلك المشاريع ـ وضع أسس التربية المائية لأول مرة في الأدبيات العربية انطلاقاً من الجذور الفكرية الدينية والتاريخية والثقافية والأخلاقية.

❖ **مائير كاهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي، تأليف: رفائيل ميرجي وفيليب سيمون، ترجمة: عائدة عم علي ط1 2003 عدد الصفحات .**

❖ **الدبلوماسية القديمة والمعاصرة، تأليف : د. علي عبد القوي الغفاري، ط1 2002 قياس24/17 عدد الصفحات 240.**

إن الدبلوماسية الجديدة ـ بعد أحداث سبتمبر ـ تُنبيء ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ أنها دبلوماسية القوة، التي فاقت توقُّعات العلماء والخبراء، والمعاهد الاستراتيجية المتخصصة في القضايا القانونية والدبلوماسية والعسكرية، وذلك ليس بغريب، بعد أن انفردت الولايات المتحدة الأمريكية ، باحتلال المرتبة الأولى في ترتيب أمور العالم، الذي يقف الآن أمام مرحلة جديدة، ونظام دولي جديد، تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بصياغته، وتعمل على فرضه على العالم كُلِّه تحت ذريعة محاربة الإرهاب.

❖ **أصول الجغرافيا الزراعية، تأليف : د. صالح وهبي، ط1 2001 قياس 24/17 عدد الصفحات 184.**

❖ **نظرية الاتحاد في التصوف الإسلامي، تأليف: محمد الراشد، ط1 2003 قياس24/17 عدد الصفحات**

❖ **وحدة الوجود من الغزالي إلى ابن عربي، تأليف: محمد الراشد، ط1 2003 قياس24/17 عدد الصفحات**

❖ **الرحالة ك طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تأليف: الكواكبي، تحقيق: د.محمد جمال طحان، ط1 2003 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات .**

❖ **امنحوني فرصة للكلام، تأليف: د. محمد جمال طحان، ط1 2003 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات .**

❖ **الخديعة الكبرى هل حقاً اليهود شعب الله المختار، تأليف: د. محمد جمال طحان، ط1 2003 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات .**

❖ الحقيقة بين النبوءة والسياسة، تأليف : محمد نضال الحافظ ط1 2003 قياس24/17 عدد الصفحات 400.

هل كان انهيار برجي مركز التجارة العالمي نبوءة؟ ما مصير من دعا إلى ضرب مكة المكرمة بقنبلة نووية؟ ما هي العلاقة بين العراق الآن وبابل زمن نبوخذ نصر؟ ما قصة النبوءات في آخر الزمان؟ ما هي تلك النبوءات الإنجيلية والتوراتية والقرآنية ؟ وما علاقتها بالسياسة العالمية ؟ ماذا يفعل اليهود والمسيحيون والمسلمون تجاه نبوءاتهم ؟ تعرّف الحقيقة المذهلة من خلال كتاب الحقيقة بين النبوءة والسياسة.

❖ أم القرى مؤتمر النهضة الإسلامية الأول، عبد الرحمن الكواكبي، تحقيق : د. محمد جمال طحان ط1 2002 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات 232.

الكواكبي واحد من أجدادنا الأفذاذ؛ رُوَّاد النهضة الذين حاولوا النهوض بالواقع إيماناً منهم بمسؤوليّة العلماء في توعية الناس ليقدروا على المطالبة بحقوقهم بعد أن يدركوا أنّهم بشر أحرار في صنع مصائرهم. مما نادى به الكواكبي في كتابه هذا : يجب ألاّ يصرّ أحد على رأيه الذاتي ، وألا يمانع في العدول عن خطئه ـ سبب الفتور هو تحوّل السياسة الإسلامية من ديمقراطية إلى ملكية مقيدة ، ثم إلى ملكية مطلقة ـ إن البليّة هي فقدنا الحرية ، حرية التعليم والخطابة والمطبوعات والمباحثات ـ كأنَّ مجرّد كون الأمير مسلماً يغني حتى عن العدل ، وكأنّ طاعته واجبة ولو كان يخرّب البلاد ، ويظلم العباد ـ إنّ طاعة أولي الأمر واجبة ، ولكنْ مع العدل ، فالحاكم العادل الكافر أفضل من المسلم الجائر وأولى بحكم المسلمين ـ صرنا نتبع الأشخاص بدلاً من التمسّك بديننا الحنيف ـ إن المنشأ لكل فساد هو انحلال السلطة القانونية وتسلّط فرد عليها ، فضلاً عن دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين أي الجهّال المتعممين ـ إن الاقتصار على العلوم الدينية يُضعفُ المسلمين ، ولابد من دراسة العلوم الرياضية والطبيعية أيضاً ـ إذ ترك الخطباء التحدّث في الأمور العمومية ، وعدّوا ذلك لغواً. وهكذا تأصّل فينا فَقْدُ الإحساس ـ إنّ السبب الأكبر للفتور هو تكبّر الأمراء وميلهم إلى العلماء المتملّقين المنافقين الذين يزيّنون لهم الاستبداد ـ إن أفضل الجهاد هو الحطُّ من قدر العلماء المنافقين عند العامة ، وتحويلهم لاحترام العلماء العاملين حتى لا يلبث أن يحترمهم الأمراء أيضاً ويأخذون بآرائهم. وهكذا؛ نجد أن أم القرى واحد من الكتب المذهلة ، إنْ حذفنا منه تاريخ تأليفه ، فلن نشكّ لحظة واحدة ، في أنّه قد أُنجز تواً ، وخصوصاً أنّ صاحبه قد وقّعه باسم السيد الفراتي.

❖ القرآن وتحديات العصر، تأليف : محمد الراشد ط1 2002 قياس 24/17 عدد الصفحات 288.

الإسلام الحضاري النابع من معطيات الوحي ممثلاً بالقرآن الكريم ...إسلام الانفتاح على طول امتداد الزمان السرمدي ليعم الخير كل بني الإنسان ...إسلام الحوار المفتوح بعيداً عن التمذهب والتشرذم والطائفية . . إسلام الانطلاق على محاور ...الوحي والعلم والعقل والحب ، ذلكم هو الصوت الذي يحمل لواءه المؤلف بعد رحلة الشك ومغامرة التمرد والإلحاد ليرسو في نهاية المطاف على شواطئ الإيمان المعقول الذي ينسج الحلم الأزلي على طول امتداد التاريخ . . حلم ميلاد الإنسان الحضاري مجدداً على سطح قريتنا الصغيرة الأرض. وهذا لا يتم ما لم ندرك أبعاد القرآن بمنطق العقل والعلم وإسدال الستار على المفاهيم الضبابية الخاطئة البعيدة عن منطق القرآن والتي لم تعد قادرة على مواكبة العصر. ولا يكتفي المؤلف بمناقشة عدد من المستشرقين والمفكرين الغربيين الذين أساؤوا إلى القرآن عن سوء فهم أو عن سوء طوية فحسب ، وإنما يسارع إلى تأكيد السقوط الأمريكي الموعود على ضوء المستقبل المنظور ، من خلال رؤيته لمنطق التاريخ واستلهامه لأبجديات القرآن...

❖ **مابين موسى وعزرا . كيف نشأت اليهودية؟ تأليف:عبد المجيد همو ط1 2003 قياس24/17 عدد الصفحات 288.**

موسى وبنو إسرائيل - القرآن الكريم لم يشر إلى اليهودية في زمن موسى - العهد القديم لم يشر إلى اليهودية في زمن موسى - حقيقة رسالة موسى - هل العهد القديم كتاب سماوي ؟ متى تم نسخ التوراة وتدوينها ؟ توراة موسى - الألواح وهل هي غير التوراة ؟ الزبور وداود - سليمان الحكيم - إثبات عدم يهودية إبراهيم وأبنائه - وإثبات عدم يهودية موسى والأسباط وداود وسليمان - متى ظهرت اليهودية في الكتاب المقدس ؟ كيف نشأت اليهودية - عزرا ونحميا أنشأا اليهودية - سمات اليهودية .

❖ **اليهودية بعد عزرا وكيف أُقِرَّتْ؟ تأليف : عبد المجيد همو ط1 2003 قياس 24/17 عدد الصفحات .**

تاريخ تدوين الأسفار كلها - التوراة والأخلاق - المعتقدات - هل هناك إله واحد يعبده اليهود أم هم يعبدون آلهة عدة ؟ الطقوس - الوصايا - الوصايا الأخلاقية - المحرمات من النساء - وصايا حول الزنى - وصايا مختلفة - الإيمان باليوم الآخر .

❖ **مفاهيم تلمودية نظرة اليهود إلى العالم، تأليف: عبد المجيد همو ط1 2003 قياس24/17 عدد الصفحات .**

متى كُتب التلمود؟ تعريفه - جمعه - تأليفه - ترجمته - أهميته - الردود عليه - التلمود والأمم الأخرى - التلمود والمسيحية - مسيح اليهود المخلص - التلمود والعرب - موضوعات تلمودية - موقف التلمود من يهوه - موقف التلمود من فلسطين التلمود والآخرة - التلمود والقبالة (تطور التلمود) ...

❖ **الله أم يهوه؟ أيهما إله اليهود؟ تأليف : عبد المجيد همو ط1 2003 قياس 24/17 عدد الصفحات136.**

تعدد الآلهةعند اليهود - إيل - يهوه - بعل - آلهة أخرى - إيل إله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب - ما صفاته؟يهوه إله اليهود : من أين أتى ؟ما صفات يهوه؟ : التسلط - الجهل - حب الجنس - الحزن - الكذب . . . إلخ . هل اليهود موحدون؟

❖ **الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات حتى الآن، تأليف : عبد المجيد همو ط1 2003 قياس 24/17 عدد الصفحات 208.**

اليهود وفرقهم قبل الإسلام - نشوء اليهودية وانقسامها - السامرية - الصدوقية - الحسيديون . الفريسيون - الأسنيون الغنوصيون - الكتبة - المتعصبون - الربانيون - التلموديون - القراءون - موسى ابن ميمون - الفاءون - القبالة - يهود الخزر الأشكناز - اللوثرية - المسيحية اليهودية - شهود يهوه - الصهيونية ونشأتها - وموضوعات أخرى مفصلة تفصيلاً دقيقاً تبين موقف اليهود من المسيحية - وكيف اضطهدوا المسيح وأتباعه . .

❖ **المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، تأليف : عبد المجيد همو ط1 2003 قياس 24/17 عدد الصفحات 288.**

هذا الكتاب يشرح بوضوح ما أحدثه اليهود من مجازر وإرهاب قديماً وحديثاً من خلال كتاب العهد القديم ووقائع الحال على مرور التاريخ حتى العصر الحديث ، من هذه المجازر : مجازر ما قبل موسى - مجازر نسبت إلى موسى مجازر يشوع - القضاة - صموئيل - مجازر نسبت إلى داود - مجازر يهوه - مدين - العجل - سنحاريب - الطوفان - إيزابيل ياهو - مجازر المكابيين - يهوديت - استر - الثورة الفرنسية - البلاشفة - مجازر فلسطين قبل الدولة المصطنعة - الاغتيالات اليهودية الإسرائيلية لزعماء فلسطين - تدمير القرى في فلسطين من قبل 1948 حتى 2000 - عبث الصهاينة بقرارات الأمم المتحدة ، وغيرها كثير . كتاب توثيقي من التوراة ومن كتب اليهود التي يؤمنون بها يوثق القتل والإرهاب اليهوديين وهو وصمة عار من جهة نظر الإنسانية في جبين اليهود وسجل مشرف من وجهة نظر اليهود في جبينهم .

❖ **مصير إسرائيل في النبوءات، تأليف : محمد عرب ط1 2002 قياس 24/17 عدد الصفحات 188.**
محاولة لاستطلاع تطور الأحداث العالمية باستشراف المستقبل على ساحة الكرة الأرضية من خلال قراءة السياسات الدولية المعاصرة ومقارنة هذه السياسات، بما سينجم عنها، مع النبوءات التي وردت في التوراة والأناجيل والقرآن والأحاديث النبوية الشريفة وكتب العارفين من الأئمة الذين اعتنوا بهذا العلم ونقلوا إلينا بعض أخباره من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى جعفر الصادق رضي الله عنه ومن ورث عن علومهم. كما يتابع الكتاب النبوءات عند الشيخ محيي الدين بن عربي الذي ستفاجئ القارئ إشاراته بدقتها وارتباطها بعصرنا الذي يمشي بخطى متزنة إلى مصير ربما سيغدو معلوماً لقارئ هذا الكتاب، والذي سيقود إلى نهاية الصهيونية كما أكدت قراءة نبوءات نوستراداموس.

❖ **11 أيلول 2001 والإعجاز العددي القرآني وقيام إسرائيل وزوالها.**
تأليف : عاطف علي صليبي ط 1 2003 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات160 .
دراسة علمية تعتمد الرَّقْم ولا تعتمد أيّ تأويل أو تفسير أو اجتهاد، يبيّن فيه المؤلف وبالرقم تاريخ قيام إسرائيل من القرآن الكريم وتاريخ زوالها، كما يبيّن التاريخ الواضح للتفجيرات التي حدثت في مبنيي مركز التجارة العالمي والبنتاغون في أمريكا، كما يثبت أن القرآن الكريم ليس كتاباً دينياً فقط، بل كتاب فيه تبيان كل شيء.

❖ **أمريكا . إسرائيل و 11 أيلول 2001 ديفيد ديوك، تر: سعد رستم ط1 2002 قياس21.5/14.5عدد الصفحات80.**
يؤكد مؤلف الكتاب الأمريكي أن إرهاب وتجسس إسرائيل هو الأشد خطراً على أمريكا، ويعدد أهم العمليات الإرهابية التي قامت بها إسرائيل ضد أمريكا. ويتهم الإسرائيليين والموساد بإخفائهم معلومات هامة عن المخابرات الأمريكية حول التخطيط لتفجيرات 11 أيلول 2001.

❖ **مخيم جنين من النكبة إلى الانتفاضة، تأليف:علي بدوان ط1 2002 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات 96.**
دراسة سياسية وتوثيقية بالتواريخ والأرقام والأسماء لما تعرضت له مدينة جنين ومخيمها على وجه الخصوص من همجية وتدمير من قبل الاحتلال الإسرائيلي. كما يعرض إلى قصة لجنة التحقيق الدولية وبالتفصيل، وإلى مداخلات هذا التحقيق ...إلى أن تم إلغاء تلك اللجنة ومحاولة طمس المجزرة الإسرائيلية في مخيم جنين.

❖ **أبو حيان التوحيدي إنساناً وأديباً، تأليف : محمد رجب السامرائي ط1 2002 قياس 14.5 / 21.5 عدد الصفحات 192.**
يتناول المؤلف في كتابه سيرة حياة التوحيدي والظلم الذي لحق به من ذوي الجاه والسلطان، وتفضيلهم مَن هو أدنى منه مرتبة أدبية وعلمية، كما يتعرض إلى التوحيدي كأديب فارس لايُشَقُّ له غبار في ميادين عديدة كالأدب والفلسفة.

❖ **المثقف وديمقراطية العبيد، تأليف: د. محمد جمال طحان ط1 2002 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات 144.**
في هذا الكتاب بعض الأحاديث عن المتاهات والمفازات، فيه ما يؤلم ويرهق، وفيه ما يدعو إلى المكابدة، ويحث على المعاناة. الجو مكفهر والغيوم داكنة وكذلك الهموم، من أجل ماذا ؟! من أجل الديمقراطية، ومن أجل الثقافة. . ولكنْ، فيه إلى جانب ذلك كله، وفوق ذلك كله تجربة قلم حي، وتجربة إنسان نابض بالبراءة والنزاهة، إنه الأمل في استمرار الدفاع عن الوطن، وعن المواطن فيه، الآن وفي المستقبل.

❖ **إشكالية وحدة الوجود في الفكر العربي الإسلامي (الله والإنسان والعالم في الحضارات الإنسانية) دراسة تحليلية رؤيوية، تأليف : محمد الراشد ط2 2002 قياس 24/17 عدد الصفحات 288.**
ما هو موقف العقل البشري من تلكم المحاور الكفيلة بتحقيق شرطه الوجودي في الحياة وفي الممات والمتمثلة برؤيته إزاء الله والإنسان والعالم؟ هذا ما سعى المؤلف إلى إبرازه على ضوء التساؤلات الأزلية. لماذا خلق الله الكون وما فيه؟ كيف تم الخلق الأول؟ لماذا خُلقنا وإلى أين المصير؟ ما السبيل إلى تحقيق خلاص فردي وجماعي في الحياة ويوم البعث

والنشور؟ وبالتالي، ما طبيعة العلاقة بين الله والإنسان والعالم؛ والتي من شأنها الإمساك بالمفاتيح الأساسية للوصول إلى إجابات حاسمة عن التساؤلات كلها التي يطرحها المتسائلون؟ هذا ما حاول المؤلف تجسيده من خلال الكم الفلسفي والثقافي للأمم والشعوب، وبخاصة على صعيد الفكر العربي الإسلامي. فهل فيكم من يتطلع إلى توليد إجابات تحقق للبشرية الحب والأمن وتوقير الحياة، وتحويل دوائر الرعب إلى دوائر سلام أبدي على طريق الخلود؟

❖ **الولايات المتحدة الأمريكية من الخيمة إلى الإمبراطورية. مرفق خريطة شاملة للولايات المتحدة.**

إعداد :ديب علي حسن، مراجعة وتدقيق : إسماعيل الكردي ط1 2002 قياس 24/17 عدد الصفحات 432.

قليلون هم الذين يعرفون أن الولايات المتحدة كان الاستعمار يجثم فوق صدرها، وأن حرباً أهلية دامية جرت فيها بين الشماليين والجنوبيين، وقليلون يعرفون ما هو دستورها ؟وما ولاياتها ؟وما مدنها ؟و ما ثرواتها ؟ وما قوانينها؟ وما تنوّع سكانها؟ وما. . . . ؟ وما. . . . ؟! الكتاب يسدّ فجوة في المكتبة العربية، ويبيّن كيف تم طرد الهنود الحمر وإبادتهم. وكيف نشأت دولة أمريكا. . ويعدد رؤساءها منذ الرئيس الأول إلى الآن. . يجب على كل عربي أن يقرأ ما هي الولايات المتحدة؟ وكيف نشأت؟ وكيف وصلت إلى ما وصلت إليه الآن.

❖ **الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام .**

تأليف: نهاد خياطة ط1 2002 قياس 14.5 / 21.5 عدد الصفحات 176.

لئن كان الإسلام عربي النشأة، وسوري الامتداد والإشعاع، فقد كانت المسيحية سورية النشأة والامتداد والإشعاع، لذا ومن حق كل سوري، وإن كان مسيحياً، أن يعتز بالإسلام، ومن حق كل سوري، وإن كان مسلماً أن يعتز بالمسيحية والعربي السوري من حقه أن يعتز بكلتيهما. وإذا كان من حقه أن يؤثر إحداهما على الأخرى فلأنه بذلك يستجيب لرؤيته التي يعينها له نموذجه، والإنسان لا يختار نموذجه كما لا يختار أبويه.

❖ **رمضان في الحضارة العربية الإسلامية.**

تأليف: محمد رجب السامرائي ط1 2002 قياس 14.5 / 21.5 عدد الصفحات 192 .

يرسم المؤلف صورة عن رمضان في ذاكرة الإنسان العربي في الزمان والمكان، ويسرد سيرته العطرة في المظان العربية القديمة والمعاصرة عن طريق التدوين لهذه المظاهر الاحتفالية به، وتدوين المظاهر الاحتفالية بعيد الفطر السعيد ومأكولاته وحلوياته في أكثر من 22 بلداً عربياً و إسلامياً.

❖ **المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم (اليونان. سورية. مصر).**

تأليف : دانييل باسوك، تر: سعد رستم ط1 2002 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات 80 .

يؤكد المؤلف الباحث الأمريكي باسوك في كتابه هذا أن عقيدة التجسد في المسيحية عقيدة خرافية، وفكرة وثنية دخيلة، نفذت إلى المسيحية من وثنية اليونان والرومان. ويرى أن رسالة المسيح بذاتها كانت رسالة أخلاقية توحيدية بسيطة، لا تعقيد فيها، فالمسيح نشأ يهودياً، مؤمناً وترعرع في بيئة توراتية متدينة، من ركائزها الأساسية التأكيد على وحدانية الله تعالى الخالصة، والفصل التام بينه وبين مخلوقاته من البشر. إن المسيح هو عبد الله، وليس ابناً لله، هو نبي الله، وليس ابناً لله...

❖ **التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا.**

تأليف : سعد رستم ط 1 2002 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات 256 .

يؤكد المؤلف من الأناجيل الأربعة ومن رسائل بولس ويوحنا أنَّ المسيح عيسى عليه السلام أكّد أن الله هو الإله الواحد الأحد وأنه -أي المسيح- بشر وإنسان ويؤكد المؤلف أن مَنْ يقرأ الأناجيل قراءة متمعنة لن يجد عبارة واحدة صريحة لسيدنا المسيح عليه السلام نفسه يدعو فيها أتباعه للإيمان بألوهيته وبلزوم عبادته، أو يصرح فيها لهم بأنه رب العالمين وإله الخلائق أجمعين المتجسد الذي انقلب بشراً، أو يصرح لهم فيها بعقيدة التثليث...

❖ **الذات الإلهية والمجازات القرآنية والنبوية وإزالة شبهة التشبيه والتجسيم من أساسها.**

تأليف: سعد رستم ط1 2002 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات 272 .

إن جماعة من قدماء أصحاب الحديث، عُرِفوا تاريخياً باسم الحشوية، لكثرة ما حشوا به الدين من أحاديث وأخبار آحادية فردية غريبة وجعلوها حجة في العقيدة والإيمان! فاغتروا بظاهر ما ورد في بعض الأحاديث والأخبار وقليل من الآيات القرآنية، من تعبيرات أضيف فيها اسم عضو من أعضاء الإنسان كالوجه أو الجنب أو اليد أو الساق أو القدم لله تعالى... إن الغرض من الكتاب، هو توضيح المعنى الصحيح للآيات التي اشتبه فهمها على الحشوية المجسمة، توضيحاً ينكشف به بجلاء التنزيه المطلق لله سبحانه وتعالى، وليس الغرض أبداً اتهام أحد في عقيدته أو تكفيره أو تضليله، وما كان أغنانا عن تضييع الوقت والجهد في مثل هذه الاختلافات في هذا العصر، لكن البعض سامحهم الله هم الذين شغلوا أو يشغلون المسلمين بهذه الخلافات مما أجبرنا على الخوض في هذه المسائل وحماية عقيدة الناشئة من أبنائنا من دعايتهم المتواصلة وكتبهم الكثيرة...

❖ **نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الصحيحين.**

تأليف: إسماعيل الكردي ط1 2002 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات 352 .

بمرور الزمن، وكما يحدث في كل تراث ديني مقدّس، تكونت هالة مهيبة مبالغ بها حول صحيح مسلم وصحيح بخاري فصار أي تحفّظ على عبارة وردت فيهما أو ردٍّ لسند أو حديث فيها، أو التشكيك بصدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم مهما أقام صاحبه على رأيه هذا من الدلائل العلمية والبراهين العقلية، واتبع في قوله سلفاً أو أسلافاً من العلماء المتقدمين، وعمل بما وضعوه من قواعد وشروط لقبول المتن، يُعَدُّ زيفاً وضلالاً وعدواناً على السُّنَّة! ! وسنرى - يقيناً - أنه وعلى الرغم من الدقة التي اتبعها الإمامان البخاري ومسلم في انتخاب الحديث واجتهادهما في تحرّي صحيح السند منه، لم يخل كتاباهما من عدد من الروايات المنتقدة سنداً أو التي لا يمكن القبول بصحتها متناً، طبقاً لقواعد نقد المتون التي قررها علماء الحديث.

❖ **سيرة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية).**

تأليف: بهاء الدين ابن شداد تحقيق: أحمد إيبش ط1 2002 قياس 24/17 عدد الصفحات .

تبقى سيرة البطل الخالد صلاح الدين الأيوبي وجهاده وحروبه مع الصليبيين، وانتصاره الأكبر في حطين، وفتحه للقدس تبقى واحدة من أنصع صفحات تاريخنا العربي الإسلامي الوضاء. في هذا الكتاب الرائع «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» ينقل لنا المؤلف بهاء الدين ابن شدّاد صورة حيّة ورواية مباشرة عن حياة بطلنا الكبير وأعماله وبطولاته. . ويصوّر لنا، كشاهد عيان ثَبْت صادق، مشاهد مؤثرة وعبراً بليغة عن المزايا العظيمة التي تحلّى بها السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، حتى احترمه الأعداء بَلْهَ الأصدقاء، فارتفع اسم صلاح الدين عالياً ليقترن بأمجاد جهاده، وليقترن بالقدس الشريف، وليغدو صاحبه - بكل جدارة - واحداً من أعظم الشخصيات التي أنجبتها أمتنا العربية الإسلامية، لا بل البشرية جمعاء على امتداد تاريخها. وكفى سلطاننا صلاح الدين فخراً أن الشهادة بفضله ونبله وتسامحه فضلاً عن شجاعته وقوته وحكمته كانت قد صدرت عن أعدائه قبل أصدقائه وأتباعه. إن سلطاننا الناصر صلاح الدين من النوادر النوادر الذين يقال فيهم : إنهم نسيج وحدهم. فهو - وبحق - نسيج وحده.

❖ **حوادث دمشق اليومية غداة الغزو العثماني للشام 926. 951 هـ صفحات مفقودة تنشر للمرة الأولى.**

تأليف: ابن طولون الصالحي الدمشقي تحقيق:أحمد إيبش ط1 2002 قياس 24/17 عدد الصفحات 432.

تحتل كتب (الحوادث اليومية) مكانة مرموقة في تواريخ البلدان العربية الإسلامية، وتتميز بصبغة شائقة وممتعة للقراءة

ومفيدة للبحث والدراسة. وهذه الكتب تقدم لنا صورة حية وصادقة عن حياة المجتمع وحركته السياسية والاقتصادية وحوادثه وغرائبه وطرائفه، فضلاً عن وصف واف للعادات والتقاليد ولأنماط الحياة السائدة آنذاك في الفترة التي يغطيها الكتاب. وهذا الكتاب الذي نقدمه اليوم، يمّثل جزءاً وافياً من القسم الضائع من كتاب ((مفاكهة الخلان في حوادث الزمان)) للمؤرخ الدمشقي الشهير ابن طولون الصالحي، وهذا القسم يُعَدُّ دون شك المصدر الأول لتأريخ مدينة دمشق في مطلع العهد العثماني بين عامي 926ـ951 هـ وهي فترة غامضة المعالم لم تصلنا عنها مصادر ووثائق كافية. فيأتي هذا الكتاب اليوم ليسد ثغرة هامة، وليضيف جزءاً هاماً إلى مكتبة المصادر المختصة بتاريخ دمشق وبلاد الشام، وليرسم فوق ذلك صورة حية وطريفة ودقيقة للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لدمشق إبان دخولها تحت حكم بني عثمان في عهد السلطان سليمان خان القانوني.

❖ **نقد الدين اليهودي، تأليف: جميل خرطبيل ط1 2002 قياس 14.5/21.5 عدد الصفحات 176 .**

في البدء لابُدَّ من القول: إن الإيديولوجية الدينية اليهودية، قامت على فكرة الإله الملتزم بالشعب المميز، والأرض الموعودة، أرض كنعان، كما في نصوص العهد القديم. واليهود بحسب النص الديني، مدعوون لاحتلال/ لاستعمار، أرض الغير، أرض كنعان، بالقوة، بعد إفناء أصحابها وأهلها الشرعيين. وذلك لإقامة وطن لهم تحقيقاً لإرادة يهوه. ولتبرير هذا الأمر، طرحَ الدينُ الوعدَ الإلهي، وقضيةَ الإيمان، والوثنية. وهذا يعني أن الإيديولوجيا الدينية اليهودية، قامت على اغتصاب حق الآخرين. وعلى أساس هذه النقطة الجوهرية، امتدّت / توسّعت/ تعمّقت، الديانة اليهودية بهدف تعزيز تلك الفكرة. .

❖ **إسرائيل والعرب حرب الخمسين عاماً.**

تأليف : بريغمان أهرون و جيهان الطهري ط1 2002 قياس24/17 عدد الصفحات 320 .

من أهم الكتب التي صدرت عالمياً والتي تتناول الصراع العربي الإسرائيلي. كيف قسمت فلسطين ؟ الاتصالات السرية في باريس. التخريب في مصر ـ المجابهة ـ حرب الأيام الستة ـ السادات يدهش العالم بالمصالحة ـ كامب ديفيد ـ أيلول الأسود ـ شارون والجميل ـ الحرب في لبنان. مكر صدام حسين ـ مؤتمر مدريد ـ الطريق الطويلة ـ المحادثات السرية في أوسلو .... الحلقة المفرغة ؟ النقاش مع سورية.

❖ **الحلقة المفقودة في سلسلة الحضارات القديمة للجزيرة العربية.**

تأليف: علي سكيف ط 1 2002 قياس 24/17 عدد الصفحات 208 .

اكتشاف جديد لم يصل إليه أي عالم أو مستشرق أو مؤرخ غربياً كان أم شرقياً!! الأمر الذي سيؤدي إلى الكشف عن حقائق هامة جداً ومنها على سبيل المثال لا الحصر : أ ـ من هو أول مكتشف للحرف والكتابة العربية؟ وأين؟ . . ومتى؟ . . ! وما هو المصدر الذي استُقيت منه الحروف؟! ب ـ وثائق إيبلا المكتشفة في سورية تبين أن إسرائيل ليس هو يعقوب وأن بني إسرائيل ليسوا هم أولاده أو من تكاثروا عنه، وهذا ماتشير إلية آيات القرآن الكريم. ج ـ حقائق أو دلائل تؤكد أن طوفان نوح كان نتيجة لحرب كونية استُخدمت فيها أسلحة تدمير شاملة تفوق بقدرتها التدميرية ما توصل إليه العالم اليوم. وأن العالم ربما يكون قد عرف الاستنساخ في زمن نوح عليه السلام. د ـ هل كان موسى عليه السلام ساحراً يستطيع أن يجعل العصا تنقلب إلى أفعى ويفجر بها الصخور فتنبع منها المياه، ويشق بها البحر فتظهر اليابسة ليمر عليها هو وأتباعه أم أن الحقيقة مخالفة لهذه الخرافات والأساطير؟ هـ ـ معلومات موثوقة تؤكد أن الأنبياء والرسل وأتباعهم وكتبهم جميعاً كانوا من العرب الخلّص وأن الكتب السماوية كافة نزلت باللغة والكتابة العربية. و ـ معلومات وحقائق أخرى تظهر لأول مرة تدحض مزاعم ونظريات المستشرقين التوراتيين والصهاينة ومن سار على دربهم وتبنى نظرياتهم من العلماء والمؤرخين العرب.

❖ **المرأة في حياة وشعر الجواهري، تأليف : ديب علي حسن ط1 2002 قياس21.5/14.5 عدد الصفحات 272 .**

رحل الجواهري آخر العمالقة في عالمنا الشعري، رحل وهو يحمل في قلبه الفرات ودجلة وأقمار بغداد، وغيوم الكوفة وليالي البصرة، حمل الأسى والحزن وتاريخاً من الجراح المسافرة، رحل ليلتحق بمن سبقوه من المبدعين الذين ضاقت بهم هذه الأرض الواسعة مع أنهم اختزلوا الدنيا بقارورة عطر دمشقي. بالقرب من دمشق وأحجارها استراحوا، لم يكن الجواهري إلا الفرات الذي غادر مجراه وفاضت أمواجه خارج بلاده، لكنه كان يرسلها ليلاً في خفقة القلب لتروي حقول القمح ولتمسح الأحزان. فوا عجباً لمن يمسح الأحزان وهو بحر متلاطم من الغربة والأسى. . . . في هذا الكتاب خلجات قلب الشاعر المحب، الشاعر الذي يرى أن المرأة العربية هي أشرف نساء الدنيا، وهو الشاعر الذي أعطى المرأة من عقله وقلبه وآمن بها سيدة تنشر شذاها حيث تستطيع، من لا يقرأ الجواهري الشاعر المحب، فسوف يبقى بعيداً عن تذوق روائعه التي نظن أنها من أجمل الشعر العربي. في هذا الكتاب باقة نضرة من بستان الجواهري آثرنا أن تكون فواحة بعطر من أحب من بغداد إلى لندن إلى. . إنه الشاعر الذي لا تغيب الشمس عن مملكته الشعرية نضالاً وحباً وإيماناً وتفاؤلاً بالقادم، وهذه باقة من ياسمينه.

❖ **الدليل إلى ألفية ابن مالك في النحو والصرف والإعراب (تبويب وتوضيح).**

تأليف:محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي إعداد:باسمة درمش ط1 2002 قياس24/17عدد الصفحات 160.

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي. اللغة العربية درّ ظاهر ومكنون، وحتى نحافظ على هذا الدر فإنه يتوجب علينا أن نحافظ على الصدفة التي تحتضن هذا الدر وتفرزه، أي نحافظ على قواعد اللغة العربية سليمة معافاة من أي خطأ أو لغو أو تشويه. وكتاب الدليل إلى ألفية ابن مالك يحوي قواعد اللغة العربية، نحوها وصرفها، في ألف بيت وبيتين من الشعر الموزون، كما يحوي تبويباً مفصلاً لكل قاعدة نحوية وصرفية لمباحث الألفية التي بلغت الأربعة والسبعين مبحثاً. الدليل إلى ألفية ابن مالك : أسلوب شعري يسهل حفظ قواعد لغتنا العربية. استحضار سريع ومكثف لقواعد لغتنا العربية.

❖ **قَتلُ المرتد الجريمة التي حَرَّمها الإسلام، تأليف : محمد منير إدلبي ط1 2002 قياس 20/14 عدد الصفحات 167 .**

الدين هو تحول في القلوب. والدين ليس سياسة ولا يسعى أتباعه إلى تشكيل أحزاب سياسية. كما أن الدين ليس وطنية ذات ولاءات محدودة، وليس هو بلداً ذا حدود جغرافية بل هو التحول الذي يكون لخير روح الإنسان وصالحها. إن بيت الدين هو في أعماق القلب. إنه فوق حكم وسيطرة السيف. وكما أن السيوف لا تستطيع تحريك الجبال، كذلك فإن القوة لا يمكنها أن تغير القلوب. وفي الوقت الذي كان فيه الاضطهاد باسم الدين هو الموضوع المتكرر في تاريخ العدوان الإنساني، فإن حرية الاعتقاد والضمير هو الموضوع المتكرر في القرآن الكريم. قال ربنا عز وجل : لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي. وقال أيضاً : قل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. (ومن يرتد منكم عن دينه، فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون). فهل يصح أن نعارض القرآن الكريم والحديث الصحيح والعقل الإنساني الواعي، وأن تحل هذه الجريمة التي تُعَلَّمُ في المدارس والمعاهد والجامعات ؟ !

❖ **انتبهوا... الدجال يجتاح العالم، تأليف:محمد منير إدلبي ط1 2002 قياس21.5/14.5 عدد الصفحات 176 .**

دراسة تحليلية علمية موثوقة تثبت بطلان الزعم القائل بأن الدجال إنسان واحد من لحم ودم. وتثبت في الوقت نفسه أن ما يسمى بالأعور الدجال قد ظهر في الأرض وأنه يجتاح العالم ويعيث فيه فساداً !!! ما تفسير الحديث الشريف : تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله؟ ثم تغزون فارس فيفتحها الله ؟ ثم تغزون الروم فيفتحها الله ؟ ثم تغزون الدجال فيفتحها الله؟

❖ **أبناء آدم من الجن والشياطين، تأليف: محمد منير إدلبي ط2 2003 قياس 24/17 عدد الصفحات**

يقول المؤلف: إن سفك الدم باسم الدين ليس بأقل خطورة على الجنس البشري من سفك الدم باسمه. إذ لا ينمو في أرض الخرافة إلا الوهم والخيال، فتذوي طاقة الإنسان وتموت، ويموت معها المجتمع المريض بها. وفي أرض العلم والبحث والتفكر والاستكشاف ينمو العقل ويزدهر الإبداع، وتأتي قوى الكون طائعة تخدم الإنسان في بيئته ومجتمعه، وهذا الكتاب دراسة تحليلية موثقة من القرآن الكريم والحديث الشريف تثبت بطلان الزعم القائل بوجود أشباح وأرواح خفية اسمها الجن والشياطين. ويجد القارئ فيه بياناً علمياً جديداً يتعلق بحقيقة ما يسمى جن الملك سليمان والنملة التي حادثته والهدهد الذي أتاه بالأخبار من سبأ، وحقيقة مفهوم إحضار عرش بلقيس، وحقيقة هاروت وماروت، وحقيقة مفهوم إبليس والشيطان وجنة آدم وشخصيته، وحقيقة خلق الإنسان وتطوره كما ويجد تحليلاً وكشفاً مميزاً للدجل المتعلق بما يسمى تحضير الجن والأرواح. ويستطيع القارئ العربي أن يفهم الحقيقة الإسلامية الرائعة المتعلقة بهذه المفاهيم على ضوء بيان القرآن الكريم والحديث الشريف، فيطمئن قلبه بإذن الله تعالى إلى هذا الفهم العلمي الصحيح.

❖ **مختارات قصصية من الأدب الألماني، تأليف: شتيفان هيم. شتيفان تسفايغ. كورت كوزنبرغ. رايز ماريّا ريلكي. باول إرنست، ترجمة: هيفاء شعيتاني ط1 2002 قياس20/14 عدد الصفحات 80.**

يتناول الكتاب قصصاً ست، هي قليلة في عددها، قصيرة في طولها، لكنها غنية بمضمونها، فهي تحمل في طياتها جانباً إنسانياً تنبض به قلوب البشر جميعاً، وهي على التوالي: آكلو لحوم البشر - أسطورة الحمامة الثالثة - نظرة ازدراء - ساسكولا - قطع طريق - دموع الحيوانات. وفي نهاية الكتيب نبذة عن المؤلفين الألمان. والقصص موجّهة لليافعين والمراهقين والشباب والكهول، أي أنها تحلّق بخيال الناس كلهم ومن مختلف أعمارهم.

❖ **بوشكين والقرآن، تأليف: مالك صقور ط1 2002 قياس21.5/14.5 عدد الصفحات 221.**

كان القرآن الكريم وآياته الملاذ الروحي لبوشكين في سني محنته، عندما نُفي وحوصر من الجهات جميعها: رجال القيصر، والسلطات المحلية، ورجال الدين وأبيه، وذلك في أثناء التحضير لانتفاضة الديسمبريين ضد القيصر. حينئذ برزت له شخصية الرسول العربي(ص) مرشداً روحياً وأخلاقياً ونضالياً. لقد أعجب بوشكين شاعر روسيا العظيم بشخص الرسول الكريم، اليتيم الذي أصبح قائداً عظيماً، ومحارباً شجاعاً، عطوفاً رحيماً على الفقراء والمساكين ومثالاً للتواضع والرحمة. كما وجد في القرآن الكريم ملهماً لإبداعه الشعري الذي أضحى ماسة براقة في تاج الشعر العربي الإنساني. يُعَدّ هذا البحث من أولى الأبحاث التي تناولت هذه الموضوعة الهامة.

❖ **دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين، تأليف: د.موسى العبيدان ط1 2002 قياس24/17 عدد الصفحات 371.**

يُعَدّ اهتمام الأصوليين بالمباحث الدلالية سمة تميز بحثهم اللغوي، وكانت نتائجهم ذات قيمة علمية عالية، مثل التعميم والتخصيص، والغموض والوضوح، والتغير الدلالي، والحقيقة والمجاز، والمشترك اللفظي، والعلاقة بين اللفظ والمعنى، والقصد ... وقد درسوا المعنى على المستويين المعجمي والتركيبي ضمن القرائن السياقية. الكتاب ينطلق أساساً من ضرورة اعادة قراءة التراث، فجاء قراءة عصرية للتراث الأصولي في مجال علم الدلالة، أي قراءته في محيط ظروفه وملابساته التاريخية والاجتماعية. فجمع البحث بذلك بين الأصالة والمعاصرة.

❖ **أسرع الحاسبين ملامح جديدة للإعجاز العددي في القرآن الكريم.**
تأليف: عاطف صليبي ط1 2002 قياس 24/17 عدد الصفحات 330.

مرفق مع الكتاب قرص كمبيوتر يحتوي على برامج التراميز وبرامج القسمة. الاكتشاف المعجز في القرن الواحد والعشرين. فهو درس الحروف المقطعة التي كشفت أن القرآن الكريم مرمز (مشفر) ثم درس كيفية اكتشاف التراميز

القرآنية الثلاث (الشيفرات). (وما فرطنا في الكتاب من شيء) الآية 18 من سورة الأنعام. (إن هو إلا ذكر للعالمين، ولتعلمن نبأه بعد حين) الآيات 87 ـ 88 من سورة ص. وهوكتاب يجب أن يقتنيه كل مسلم ومسلمة. وستتم ترجمته إلى الإنكليزية والفرنسية والألمانية.. إن شاء الله.

❖ **أفكار غيرت العالم تاريخ الحضارة عبر أعلامها.**

تأليف: د. محمد جمال طحان ط1 2002 قياس 20/14 عدد الصفحات 250 .

يرصد الكتاب أهم الأفكار والنظريات العلمية والأدبية والفنية التي كان لها دور رئيس في تغيير نظرتنا إلى العالم، أو في تغيير أسلوبنا في التعامل معه. ويحاول الكتاب أن يقدم الأفكار بشكل مبسط لا ينفرمنه المستمع غير المختص، بل يحضُّه الفضول لاكتشاف المزيد، كما يعرض المؤلف الكتاب بجمل مكثفة لا يملّ المختص من قراءاتها. بعض أفكار الكتاب: الزراعة منذ وجود الإنسان. بوادر التفكير في بابل ومصر. اليونان. السفسطائيون.. سقراط، أوهام الخطيئة والخلاص.. أفلاطون.. أرسطو. سمات المرحلة اليونانية. بين بيرون ونيرون. الطب. من الجاهلية إلى الإسلام. الرازي. الفارابي. المعري. ابن سينا... الغزالي. ابن باجه. ابن طفيل. ابن رشد.. التصوف.. ابن النفيس. توما الأكويني. ابن خلدون. نستخلص من الكتاب أن الأفكار العظيمة والنظريات العلمية هي مكتسبات إنسانية لا هويَّة لها، بدليل أن أصحابها مختلفو الجنسيات والمشارب والأديان والانتماءات، انطلقوا من محيطهم الضيق إلى العالم الرحب حيث عمَّت أفكارهم ونظرياتهم العلم، مجتازة الحدود كلها.

❖ **الكتاب التذكاري للدكتور نعيم اليافي**، تأليف: مجموعة من الأدباء والدارسين ط1 2002 قياس 24/17 الصفحات 192 .

سيقع القارئ في هذا الكتاب على ملامح من قدرة هذا المعام على فهم الظاهرة الأدبية فهماً بلغ من السعة والعمق والسطوع، حَدّاً كاد يتجاوز في جملته الشائع المعروف من فهمها، في مرحلته الزمنية. فقد ربط بينها وبين حركة الفكر في سياقاتها العامة: الاجتماعية والثقافية والسياسية. واستعان بالفلسفة وبحقائق علم النفس وعلم الجمال في تعميق هذا الفهم. فوضع هذه الظاهرة ضمن شروطها المؤثرة، في درس نشأتها وتحولها. وربما استلمح، من فهمها أيضاً، لمحات تصل بينها وبين حركة الفنون الأخرى في المرحلة نفسها.

❖ **ظاهرة النص القرآني تاريخ ومعاصرة** رد على كتاب النص القرآني: أمام إشكالية البنية والقراءة للدكتور طيب تيزيني .

تأليف:سامر إسلامبولي ط 1 2002 قياس21.5/14.5 عدد الصفحات 160.

كيف جمع النص القرآني؟! توحيد القراءات والرسم للنص القرآني. كيف نشأت القراءات؟ بيان أن اختلاف القراءات لا يؤثر على الأحكام. توثيق النص القرآني من التاريخية إلى الواقعية. وهمية وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم وذلك لأنه كتاب أحكمت آياته. الكتاب دراسة علمية تحليلية تثبت أن القرآن الكريم ثابت منذ نزوله، ولم يتعرض إلى الاختراق أبداً. والدليل الأقوى على هذا هو أنه بين أيدينا وهو قابل للدراسة والتأكد من صحة مضمونه على صعيد الآفاق والأنفس وكيفية إثبات أن مضمونه لا يمكن أن يكون خطأ ومناقضاً لمحل خطابه أبداً لأن النص الرباني لا يمكن أن يتناقض مع محل خطابه ولا بأي شكل من الأشكال.

❖ **الآحاد. النسخ. الإجماع** (دراسة نقدية لمفاهيم أصولية)، تأليف:سامر إسلامبولي ط1 2002 قياس21.5/14.5 عدد الصفحات160

ما فائدة الخبر الظني؟ ما موقف القرآن من خبر الآحاد الظني؟ ما موقف الصحابة والعلماء من الخبر الظني؟ نقاش رسالة الألباني في أن حديث الآحاد حجة بنفسه. ما خطورة وجود فكرة الناسخ والمنسوخ في القرآن؟ هل النسخ ممكن للنص الخاتمي؟ نماذج من الآيات التي قيل إنها منسوخة ورد ذلك. ما تفسير: (ما ننسخ من آية أو ننسها)؟ (يمحو الله ما يشاء ويثبت)؟ (وإذا بدلنا آية مكان آية)؟ (اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم)؟ إثبات أنه لا ناسخ

ولا منسوخ في القرآن ذلك الكتاب الذي أحكمت آياته . . . ما هو الإجماع ؟ وما مصدريته ؟ وما مفهومه كمصدر رباني ؟ مناقشة الإجماع عند الإمام الشافعي . . . . نماذج من إجماع الصحابة وآل البيت وعلماء الأمة . . نقد قاعدة (الأصل في الأفعال التقيد) . ماذا ترتب على الإدعاء بأن الإجماع مصدر شرعي إلهي ؟

❖ **المرأة مفاهيم ينبغي أن تُصَحَّحَ**، تأليف:سامر إسلامبولي ط 1 1999 ط 2 2001 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات160.

تفسير آيات : غض البصر . حفظ الفروج . إبداء الزينة . ضرب الخمار . هل حقاً أن الرسول الكريم قال : إني رأيت أكثر أهل النار من النساء ؟ أنتن ناقصات عقل ودين؟! يقطع الصلاة الكلب والحمار والمرأة ؟! كيف يكون إذنها سكوتها وهي لم تنطق بحرف؟! السياسة والنساء ومنصب الرئاسة . ما قصة ما أفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة ؟! ماذا اشترط الله لتعدد الزوجات؟ وكيف أهمل المسلمون شروط الله تعالى ؟!

❖ **تحرير العقل من النقل قراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم.**

تأليف:سامر إسلامبولي ط1 2000 ط 2 2001 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات 272 .

هل نعتمد العقل أم النقل؟! ما الفرق بين السُّنة والحديث؟! ما هي العصمة ؟ وهل هناك أئمة معصومون ؟! هل سحر اليهودُ الرسولَ الكريمَ؟ هل حقاً أن الرسول الكريم نسي آيات ثم تذكرها؟! هل حقاً أن الرسول الكريم قال: إنما الشؤم في ثلاثة؛ في الفرس والمرأة والدار؟! هل صحيحا البخاري ومسلم مقدسان لايجوز المساس بهما أو نقدهما؟!

❖ **الألوهية والحاكمية دراسة علمية من خلال القرآن الكريم.**

تأليف:سامر إسلامبولي ط1 2000 قياس20/14 عدد الصفحات352 .

كيف ندرس مفهومي التوحيد والإيمان باليوم الآخر؟ما هي الأهمية الكبرى لهذين المفهومين اجتماعياً وتعبدياً؟ لم دمج المسلمون ما هو بشري بما هو رباني في السياسة؟! من أعطى الحق لهم بالحكم بتكفير فلان وتزندق فلان وارتداد فلان؟! ما الألوهية؟ ما الربانية؟ما الحاكمية؟ ما حاكمية الله؟ما حاكمية الإنسان؟ ما معنى (الرحمن على العرش استوى) ؟

❖ **المسؤولية في القانون الجنائي الاقتصادي دراسة مقارنة بين القوانين العربية والقانون الفرنسي.**

تأليف: محمود داوود يعقوب ط1 2001 قياس 24/17 عدد الصفحات 432 .

تُعَدُّ المسؤولية الجنائية من الدعامات الأساسية التي يرتكز عليها مبدأ المعاقبة حقاً وممارسة وهي بالتالي السند الأصلي للقانون الجنائي، بل هي سبب وجوده، وهي أيضاً المحور الأساسي الذي تدور حوله الفلسفة والسياسة الجنائية . وهذا الكتاب (المسؤولية في القانون الجنائي الاقتصادي) هو دراسة مقارنة بين القوانين العربية في سورية ومصر مع الاستشهاد المطوّل أحياناً بالقوانين الجنائية في لبنان والعراق والكويت واليمن والأردن والجزائر والسودان والمغرب والسعودية والإمارات وقطر والبحرين وليبيا . . وبين القانون الجنائي الفرنسي .

❖ **الحياة هي في مكان آخر**، تأليف: ميلان كونديرا، تر: معن عاقل ط1 2001 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات 368.

لم تستسلم من قبل لأي جسد آخر بهذه الطريقة، ولم يستسلم أي جسد آخر لها من قبل بهذه الطريقة . كان بوسع العاشق أن يستمتع ببطنها، إلا أنه لم يسكنه قط، وبوسعه أن يلمس نهدها، إلا أنه لم يشرب منه قط . آه يا للإرضاع ! راحت تراقب بشغف حركات الفم الخالي من الأسنان الشبيهة بحركات السمكة، وتتخيل أن ابنها، وهو يشرب حليبها، يشرب في الوقت ذاته أفكارها وتصوراتها وأحلامها . إنها حال فردوسية . . كانت تسهر بحرص على جشاء ابنها وبوله وبرازه، وليس هذا اعتناء ممرضة مهتمة بصحة طفل، إنما كانت تسهر على نشاطات الجسد الصغير بشغف .

❖ **الوصايا المغدورة** (الترجمة الكاملة)، تأليف: ميلان كونديرا تر: معن عاقل ط 1 2000 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات 288.

هذه الدراسة النقدية مكتوبة بشكل رواية على مدى تسعة أجزاء مستقلة، تتقدم الشخصيات ذاتها وتتلاقى: سترافينسكي وكافكا وأنسير ميه ويرود، همنغواي مع كاتب سيرته. . وفن الرواية هو البطل الرئيس للكتاب والذي يبحث الحالات الهامة في عصرنا: الدعاوى الأخلاقية التي أقيمت ضد فن هذا العصر من سيلين إلى ماياكوفسكي. . الحياء بوصفه مفهوماً جوهرياً لعصر مؤسَّس على الفرد. . القوة الغامضة لإرادة الموت، الوصايا، الوصايا المغدورة. وُلد ميلان كونديرا في تشيكوسلوفاكيا، واستقر في فرنسا عام 1975، ويُعدُّ من أشهر الروائيين في هذا القرن، وكتب هذا الكتاب باللغة الفرنسية. وهو من الروائيين المثيرين للجدل في العالم.

❖ **المحاورة، تأليف: ميلان كونديرا ترجمة: معن عاقل ط1 2000 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات 176 .**

وضعت بعد ذلك كفيها على وركيها، وزلقتهما على امتداد الجذع. رفعتهما فوق الرأس، ثم تسلقت يدها اليمنى على امتداد ذراعها اليسرى المرفوعة ويدها اليسرى على امتداد ذراعها اليمنى، وأنهت حركة الذراعين. . أعادت بعد ذلك يديها إلى وركيها، وزلقتهما على امتداد الساقين، رفعت الساق اليمنى ثم الساق اليسرى وهي منحنية. ثم نظرت إلى المدير وحركت الذراع اليمنى ملقية إليه بتنورتها الوهمية. مَدَّ المدير يده وأحكم قبضته، وأرسل بيده الأخرى قبلة. كانت متفاخرة بعريها الوهمي، ولم تعد تنظر إلى أحد، راحت تنظر إلى جسدها المتموج، وعيناها نصف مغمضتين، ورأسها مائل جانباً. . . تحطمت بعد ذلك وضعية الزهو. .

❖ **العبادات في الأديان السماوية (اليهودية. المسيحية. الإسلام).**

تأليف:عبد الرزاق رحيم صلال الموحي ط 1 2001 قياس 24/17 عدد الصفحات 368 .

وهذا الكتاب هام جداً جداً لأنه يسدُّ ثغرة كبيرة في مكتبتنا العربية الإسلامية، بل والعالمية. والباحث في دراسته هذه والموثقة توثيقاً دقيقاً يتناول مفهوم العبادات في الأديان الثلاثة وفي ديانات مندثرة مثل ديانة المصريين القدماء والعراقيين القدماء واليونانيين القدماء والرومانيين القدماء، وفي ديانات ما زال لها معتنقون ومؤيدون إلى الآن مثل الديانة الهندوسية والبوذية والصينية والزرادشتية والصابئية. فكم من الناس والمثقفين يعرف كيف يصلّي اليهود؟ وكيف يزكّون؟ وكيف يتطهَّرون. وإلى أين يحجّون؟ وكيف يصومون؟ وكيف يتوضؤون ؟ وكذلك الأمر بالنسبة للمسيحيين و. . . هذه الدراسة دراسة مقارنة هامة تبين وبالنصوص الموثقة من التوراة والأناجيل والقرآن الكريم والسنة النبوية ما أصاب بعض الديانات السماوية من تحريف وابتعاد عمّا نزل أصلاً في كتبها السماوية، حتى وصل بعضهم إلى تحليل ما حُرِّمَ في كتبهم، وتحريم ما أُحلَّ؟ وتبديل ما ليس يُبدّل رغم وجود دلائل قاطعة في كتب تلك العبادات حُرِّفَت فيما بعد. ولا شك أنه، وبعد قراءة الدراسة، سيتضح تماماً جانب هام من جوانب تاريخ العبادات المقارن في العالم.

❖ **المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات.**

تأليف : ديب علي حسن ط1 2000 ط 2 2001 ط3 2002 قياس24/17 عدد الصفحات 352 .

المرأة في التوراة (إبراهيم وسارة وهاجر، يعقوب وراحيل والزواج من أختين، يهوذا يزني بكنته ثامر، أمنون يغتصب أخته ثامار) سالومي ورأس يوحنا المعمدان، المرأة اليهودية في الحياة الدينية المعاصرة. المرأة في الجيش الإسرائيلي، حاخامات يهود يديرون شبكات الدعارة و المخدرات في العالم. كيف حاولت إسرائيل تصدير عبادة الشيطان إلى مصر؟ تفاصيل العملية القذرة لاتهام سفير مصر في إسرائيل بمحاولة اغتصاب راقصة إسرائيلية. الكتاب دراسة موثوقة تبين وتفضح وتعري كيف لعب حاخامات يهود بالنساء اليهوديات وعن طيب خاطرهن منذ وُجِد اليهود إلى الآن.

❖ **تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي**، تأليف:د. محمد حسين محاسنة ط1 2001 قياس 24/17 عدد الصفحات384.

هو دراسة لفترة غفل عنها المؤرخون تماماً، حتى بدت ضبابية وهي من أهم الفترات في تاريخ مدينة دمشق لأنها كانت في معظمها صراعاً مذهبياً بين السنة والإسماعيلية، وهي فترة استجلى فيها المؤلف الدكتور محمد حسين محاسنة خفايا صراعات كثيرة من الفاطميين إلى القرامطة إلى الأتراك والتركمان إلى جماعات الأحداث الدمشقية وقد تناول الباحث بداية جغرافية المدينة وخططها وبداية بنائها ومناخها ومياهها. . ثم انتقل إلى الفتح الفاطمي لها وإلى الأحداث الخطيرة التي رافقت هذا الفتح، ثم تحدث عن التنظيمات الإدارية والمالية ثم الحياة الاقتصادية ثم الثقافية.

❖ **القصر المسحور (سيد الباب السابع).**

تأليف : إيفلين بريزوبيللين، ترجمة : فاطمة عابدين ط1 2001 قياس24/17 عدد الصفحات 176.

للأديبة الفرنسية إيفلين بريزوبيللين، ترجمة السيدة فاطمة عابدين، وهي رواية رائعة ومن عيون الأدب العالمي للفتيان، والرواية من جهة تحاول: أن تكون خيالية، ومن جهة أخرى فإن ما فيها من إغناءات فكرية تفتح آفاق فكر الفتيان وتدخل القيم التي فيها إلى خيالهم بصورة سلسة لتصبح معتقدات تترسخ في وجدانهم وعقولهم، إنها قصة خيالية من نوع مميز جداً تثير اهتمام الفتيان بشكل رائع، قصة فتى عانى مع جده الكثير من أجل قيم ومبادئ ومثل عليا تدعو لحب الوطن والسلام، وتدعو لمحاربة الشر أينما وُجد ولمقاومة الظلم والطغيان والتمييز العنصري. الرواية ـ بصدق ـ أقرب إلى الكمال، والذي أوصلها إلى هذا الأسلوبُ الواضحُ السَّلِسُ، واللغةُ السهلةُ الممتنعةُ، وصدقُ الترجمة، إضافة إلى مقدرة المترجمة الفائقة في تعريبها.

❖ **بين ابن المقفع ولافونتين** (مدخل إلى دراسة مقارنة)، تأليف:فاطمة عابدين ط1 2001 قياس24/17 عدد الصفحات 136 .

الكتاب مقتطفات من كليلة ودمنة لابن المقفع، ومقتطفات من أعمال لافونتين الشعرية، شاعر فرنسا العظيم، والهدف من إبراز هذه المقتطفات هو إثبات أن الأفكار واحدة لدى الإنسانية، وإن اختلفت وسائل التعبير عنها. والكتاب موجه لليافعين والتلاميذ والمُدَرّسين. ولا شك أن الكبار أيضاً سيجدون فيه ما يهذب النفس، ويعمق الحكمة في نفوس صارت ظمأى لأدب يسمو بالنفس ويرفعها.

❖ **ببغاء أمريكو، تأليف:هوجيت بيروت، تر : فاطمة عابدين ط1 2001 قياس24/17عدد الصفحات 128.**

❖ **بيت ساحور ذكريات.. حكايات.. وصور، تأليف:غطاس أبو عيطة ط1 2001 قياس20/14 عدد الصفحات206.**

❖ **دراسات في تاريخ وآثار فلسطين وقائع الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية.**

المحرر العلمي : د.شوقي شعث ط1 2001 قياس 24/17 عدد الصفحات 466 .

هذا هو المجلد الرابع في هذه السلسلة، وهو يسدُّ فراغاً كبيراً في الدراسات التاريخية والأثرية الفلسطينية تصدّى لكتابتها أشهر الباحثين في الوطن العربي مثل: د. شاكر مصطفى، د. محمد أبو الفرج العش، د. صفوان التل، د. معاوية إبراهيم، د. زيدان كفافي، د. عبد العزيز محمود، د. محمد خير ياسين ومصطفى سليمان. وحرّر هذه البحوث د. شوقي شعث. تناولت البحوث الموضوعات التالية: العصر الحجري القديم حتى نهاية العصر البرونزي القديم ـ آثار فلسطين في العصر البرونزي الحديث ـ فلسطين في العصور العربية الإسلامية ـ النقود العربية الإسلامية ـ الفنون الإسلامية المبكرة في فلسطين ـ الأسواق والخانات في فلسطين في العهود الإسلامية.

❖ **نهاية عظماء العرب في العصور الوسطى.**

تأليف:د.إبراهيم سعيد ود. علي أحمد تقديم الدكتور أسعد علي ط1 2001 قياس 24/17 عدد الصفحات 176.

هو محاولة جريئة للكشف عن الأسباب والعوامل التي دفعت بأشخاص كبار ـ في بعض الأحيان ـ للإقدام على فعل القتل والإجرام من أجل غايات شخصية أو كان خلفها التعصب الشعوبي ضد العرب وكذلك المكائد اليهودية الدائمة ومحاولات سيطرة رأس المال على العقيدة.

❖ **مقدمة في الجغرافية البشرية، تأليف:د.إبراهيم أحمد سعيد ط1 2001 قياس24/17 عدد الصفحات 244.**

هو كتاب : يتصدى لأهم المشكلات التي تواجه عالم اليوم : النمو السكاني (الولادات ـ الوفيات ـ الهجرة) ويعرف الكتاب خصائص الهجرة الدولية واتجاهاتها وانعكاساتها على المجتمعات الدولية ، ويتعرض لأهم المدارس الفكرية في النمو السكاني كالمالتوسية والكنزية والمادية والحجم الأمثل للسكان ، ويبين أن هناك عوامل طبيعية واقتصادية وتاريخية وسياسية لتوزع السكان ، وهو دراسة معمقة لآليات تطور المجتمعات ومراحل نموها مع نماذج من مجتمعات الحرف الاقتصادية المتعددة بدءاً من حرف الصيد والجمع والالتقاط وحتى المجتمع الاشتراكي .

❖ **سيبويه النحوي حياته . كتابه . مصادر ترجمته ومراجعها .**

تأليف: هيثم الشيخ عبدو ط 1 2000 قياس 24/17 عدد الصفحات 176.

❖ **الشعر والتلقي دراسات في الرؤى والمكونات، تأليف:د.نعيم اليافي ط1 2000 قياس24/17 عدد الصفحات 271.**

يتابع المفكر والناقد د. اليافي رحلته الدؤوب في عالم النقد والأدب والفكر من خلال ثلاث دراسات متنوعة قاسمها المشترك فن الشعر ، وقد اتجه مؤلفها في معالجته ثلاثة اتجاهات : الأول : علاقة الشعر بمتلقيه ، وهو بحث في صلب نظرية الأدب والنقد ونقد النقد . والثاني : يحاول القبض فيه على أمر يخصّ مضمون الشعر وموضوعه في زمان ومكان وتجربة محددة . والثالث : سعي للتاريخ والنقد والرصد الشمولي لحركة الشعر الحديث في سورية ولبنان . والدراسات الثلاث تتكامل من حيث كون الشعر محورها الرئيس ، إضافة إلى انتمائها للتنظيروالتطبيق النقدي ، وهذا شأن د. اليافي منذ بواكيره النقدية إلى يومنا هذا ، فهو يؤمن بأهمية تواشج النظري والعملي وتلاحمهما في النقد والأدب والفكر والحياة .

❖ **رحلة إلى الأعماق حوارات في الفكر والثقافة والأدب، تأليف: د.نعيم اليافي ط1 2000 قياس21.5/14.5 عدد الصفحات 236 .**

يشكل الحوار حاجة فكرية ومعرفية وحياتية ، وتأكيداً لذلك ، فقد اختار المفكر د. اليافي ثلّة الحوارات التي أُجريت معه في الفترة الأخيرة ، ويستطيع المتابع أن يجد الكثير من الأفكار القابلة للنقاش التي تنظمها مجموعة من الرؤى والأفكار والآليات التي عُرفت عن د. اليافي . ويُعَدُّ الكتاب لبنة ضرورية في مشروع المؤلف الفكري والنقدي . من حوارات الكتاب : نحو وعي لغوي جديد ـ تعليم الفصحى ـ مسرحنا والمستقبل ـ النقد الأكاديمي والنقد والتراث ـ المرأة والتحرر ـ تعدد الزوجات ـ الحداثة والتراث ـ الثقافة والتحرير ـ تحرير القدس يبدأ بالتفجير من الداخل .

❖ **مفهوم الجامعة، تأليف: د.نعيم اليافي ط1 2000 قياس20/14 عدد الصفحات 76 .**

تُعَدُّ الأفكار المثارة في هذا الكتاب مهمة وضرورية لأنها تعبّر عن رؤى أستاذ جامعي خبر الجامعة مفهوماً وطرقاً وأساليب وقضايا . ويشير د. اليافي إلى مختلف الإشكاليات التي تعاني منها الجامعة ، وقد فعل ذلك بأسلوبه المعهود حيث الوضوح والجرأة والدقة وعمق الرؤيا . مما تناوله د. اليافي : المؤسسة الجامعية ـ المعلم والطالب ـ الدرس الجامعي ـ صياغة المفهوم وحدة الرؤية ـ فضاء المستقبل ـ الواقع والتطلع .

❖ **مظاهر اجتماعية في بعض روايات العجيلي، تأليف: شاهر امرير ط1 2000 قياس 20/14 عدد الصفحات 120 .**

يسعى هذا البحث إلى إلقاء الضوء على بعض روايات الأديب المعروف عبد السلام العجيلي . وهو إذ يتفرغ للحديث عن بعض المظاهر الاجتماعية ، فلأن مؤلفه مقتنع بأن للمجتمع في أدب العجيلي مكانة خاصة . والروايات المدروسة هي : المغمورون . ألوان الحب الثلاثة . أزاهير تشرين المدماة . باسمة بين الدموع . آراء في الحب .

❖ **ليلة في غرفة تشريح الجثث سبع حكايات في الحياة والموت والأمل.**

الكاتب الياباني يوشيو ساكاب، تر: موسى الزعبي ط 1 1999 قياس 27/17 عدد الصفحات 415 .

هذا الكتاب مؤلف من سبع حكايات عن الحياة في زمن الحرب في اليابان . وهي مختارة لوصف الحياة والموت وحتى البعث والحساب ، وهي تظهر كيف أن الكائنات البشرية تقع في أخطاء حمقاء لا تحصى ، فالحياة القلقة تقع فريسة مشاكل الشوق الشديد والإجحاف والتمييز العنصري وفوق كل ذلك رعب ومآسي الحرب . إنها لمحة إلى الشعب الياباني الذي عاش في مطلع القرن العشرين ، ومات الملايين منه وسط الدمار والخراب . يقول المؤلف : أقدم هذا الكتاب للقراء ، وأدعوهم للتفكير في عالم اليوم وعالم الأبدية ، ولا أطمح من عملي هذا بالحصول على مكافأة أو سعادة ، بل خدمة للإنسانية المعذبة السائرة نحو الأبد المجهول .

❖ **تاريخ الشركس وآل أنزور الأديغة والشيشان والداغستان والأستين.**

تأليف : محمد عبد الحميد الحمد ط 1 . 2002 قياس 24/17 عدد الصفحات 208 .

من هم الشركس ؟ الأساطير والطقوس والموروث الثقافي . النشاط الزراعي والتركيب الاجتماعي . تاريخ الشركس النضالي . أولئك آبائي فجئني بمثلهم . الشركس والثورة . الهجرة إلى سورية .

❖ **إخوان الصفا والتوحيد العلوي، تأليف : محمد عبد الحميد الحمد ط 1 . 2000 قياس 24/17 عدد الصفحات 208 .**

من هم العلويون؟ العلويون هم طائفة مسلمة من شيعة أهل البيت ، ينتمون إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بالولاية وبعضهم بالنسب . والعلويون أو الشيعة كلمتان مترادفتان مثل كلمتي الإمامية والجعفرية ، فكل شيعي هو علوي العقيدة ، وكل علوي هو شيعي المذهب .

❖ **الديانة اليزيدية بين الإسلام والمانوية، تأليف : محمد عبد الحميد الحمد ط 1 . 2002 قياس 24/17 عدد الصفحات 270.**

دراسة موثقة للمذهب اليزيدي في سيرورته التاريخية ، يبين فيها أن المذهب لم يخرج عن عباءة الإسلام ، وأن اليزيديين قوم منزهون لله تعالى ، وتفند كل التهم التي ألحقت بهم من خصومهم خارج (الأثنوس) ، وتبين أن ما أضافه بعض أبناء الطائفة لا يقل خطراً على المذهب عما أضافه أعداؤهم ، ويوضح الأسباب . ويتضح لنا في سياق البحث كيف غلفت بعض الدراسات بهالة ضبابية ، جعلت تعاليم وفكر المذهب أقرب إلى الأسطورة منه إلى الحقيقة .

❖ **محاكم الجزاء الدولية وجرائم حكّام إسرائيل، تأليف: ظافر بن خضراء ط 1 . 2002 قياس 20/14 عدد الصفحات 176.**

يتجه هذا البحث ، نحو مناقشة موضوع يكتسب أهمية متزايدة ، ويمثل وجهاً من أوجه الصراع العربي ـ الصهيوني المفتوح ، هو الوجه القانوني المتعلق بمحاكمة مجرمي الحرب الصهاينة أمام المحاكم الدولية المختصة . إذ بعد تقصير طويل في هذا الميدان ، بدأ بعض العرب بالتنبه إليه ، فكان تحريك الدعوى ضد الإرهابي أرئيل شارون أمام القضاء البلجيكي ، فيما تتزايد الدعوات من أجل تقديم شارون وأمثاله من مجرمي الحرب الصهاينة للمحاكمة أمام محكمة الجزاء الدولية .

❖ **إشارات حمراء، تأليف: رزان المغربي ط1 2002 قياس 14.5 / 21.5 عدد الصفحات 88.**

مقطوعات شعرية تسمو ، وترتفع بالنفس البشرية إلى سماء العاطفة النبيلة .

❖ **الجياد تلتهم البحر، تأليف : رزان المغربي ط1 2002 قياس 14.5 / 21.5 عدد الصفحات 96.**

قصص قصيرة تعبر عما يشوب حياة الناس من تقلبات سريعة على مختلف الصعد الاجتماعية والفكرية .

❖ **حل الاختلاف بين الشيعة والسنة في مسألة الإمامة.**

تأليف : مصطفى حسيني طباطبائي، ترجمة : سعد رستم ط1 2002 قياس17/12عدد الصفحات 80.

هل الإمامة أمر منفصل عن الإمارة والحكومة أم لا ؟ كيف كان سلوك أئمة أهل البيت عليهم السلام مع ولاة الأمور وحكام المسلمين في عصرهم ؟ كيف كان سلوك أئمة الشيعة من أهل البيت تجاه فقهاء وأئمة أهل السنة وعامتهم ؟ وما هي التعليمات التي كان الأئمة يقولونها لتلامذتهم ومحبيهم في هذا الشأن ؟ هل الخطأ في موضوع الإمامة يوجب حقاً الخسران العظيم في الآخرة والمصير إلى النار أم لا ؟

❖ **الشعرية قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي.**

تأليف : د. أحمد جاسم الحسين ط1 2001 قياس 24/17 عدد الصفحات 218 .

يبدو معنياً بسؤال هام : كيف يمكن توظيف التطورات النقدية الحديثة في قراءة تراثنا وكشف جمالياته ؟ يجتهد مؤلفه في محاولة الإجابة عن هذا السؤال وغيره من الأسئلة التي تخص البنيوية وسواها من مناهج نقدية حديثة . .

ويصبُّ الباحث جهوده التطبيقية بخاصة على نصوص الشاعر ابن المعتز، محاولاً كشف مكنوناتها وجمالياتها عبر تركيزه على العناصر الفنية : الصورة واللغة والإيقاع التي تشكل معاً محاور هذا الكتاب الذي يمت بوشائج قوية إلى نظرية الأدب والمنهج البنيوي . . عبر لغة نقدية يبدو أنها تحرص على مصطلحاتها ومفاهيمها ورؤاها، أما النقد التطبيقي واستنطاق النصوص وتأويلها فَيُشكّلُ جُلَّ هذا الكتاب .

❖ **سورية واللاجئون الفلسطينيون العرب المقيمون.**

تأليف : المحامي ظافر بن خضراء ط2. 2002 قياس 21.5/14.5 عدد الصفحات 192 .

هذا الكتاب يقدم كدراسة قانونية عن أوضاع اللاجئين في سورية في طبعته الثانية، حيث يأتي المحامي ظافر بن خضراء بالنصوص القانونية، على ما يتمتع به الفلسطينيون في الدول العربية التي لجؤوا إليها بعد عام 1948، ويخص سوريا، مقارنة مع بعض الدول العربية بأوضاع قانونية مختلفة، باختلاف الدول التي لجؤوا إليها، حيث لم يُسمح لهم بالعمل وحرية التملك العقاري وغيره، بينما سوريا لم تترك أي تمايز بينهم وبين مواطنيها، وتمتع الفلسطيني بكامل الحقوق المدنية والعسكرية، مع بعض الاستثناءات انطلاقاً من موقفهم القومي الملتزم بالقضية الفلسطينية وضرورة حفاظهم على حقهم في العودة وتقرير المصير وبناء دولتهم الفلسطينية المستقلة على كامل التراب الوطني الفلسطيني، وعاصمتهم القدس.